الخيرات الحسان

في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النّعمان

للعلاّمة الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكّي الشافعي

المتوفى سنة ٩٧٤ هـ

يليه

مُقدّمة عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة

للسّيّد محمّد مُرتضى الزبيدي (المتوفى سنة ١٢٠٥هـ)

علّق عليه

محمّد عاشق إلهي البرني

ويليه

«المواهب الشريفة في مناقب الإمام أبي حنيفة رحمه الله»

للمُعلّق





الخيرات الحسان

في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان

للعلامة الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي

المتوفى سنة ٩٧٤ هـ

يليه

مقدمة عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة

للسيد محمد مرتضى الزبيدي (المتوفى سنة ١٢٠٥هـ)

علق عليه

محمد عاشق إلهي البرني

ويليه

«المواهب الشريفة في مناقب الإمام أبي حنيفة رحمه الله»

للمعلق

الخيرات الحسان

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
طبعة جديدة مصححة ومنقحة لعام
2003

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف : ٨٢٤٩٧٣/٤ - ص.ب ٧٤ ٨٢٨٧
فاكس ٦٠٣٠١٣ كود بيروت ٠٠٩٦١١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التعليق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه سادات المتقين وحملة الدين المتين، ومن تبعهم بإحسان من المحدثين والفقهاء المجتهدين.

أما بعد: فإن سراج الأمة وإمام الأئمة أبا حنيفة النعمان بن ثابت ـ رفع الله درجاته في أعلى عليين ـ كان كبير الشأن في الرواية والدراية وحفظ السنن والآثار ومعرفة وجوه الاستنباط والعلم بالناسخ والمنسوخ، كما أقر به الأئمة الكبار ممن عاصره ومن بعده، ومع هذا العلم الوافر كان من أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة وأعبدهم وأخشعهم لربه تعالى وأسخاهم لخلق الله جلّ وعلا، واشتهر بالورع والتقوى والخوف والخشية والإنابة إلى الله تعالى، كما هو معروف عند أهل العلم بالسير والتواريخ، وأثنى عليه كبار المحدثين والفقهاء كما ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه وآخرون في تآليفهم.

وقد ألفتْ كتبٌ أفرد فيها مؤلفوها مناقبه وتذكاره وأدرجوا فيها خصاله وخلاله وجهوده في التفقه والتفقيه واجتهاده في العبادة وغير ذلك، كالإمام أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي المتوفى ٣٢١ هـ، والقاضي أبو القاسم محمد بن الحسن بن كأس المتوفى ٣٢٤ هـ، وسمى كتابه «تحفة السلطان في مناقب النعمان»، والحافظ

ابن أبي العوام عبد الله بن محمد بن أحمد السعدي،، وسمى كتابه «فضائل أبي حنيفة وأصحابه»، والإمام أبي عبد الله أحمد بن علي الصيمري شيخ الخطيب المتوفى ٤٣٦ هـ، وسمى كتابه «أخبار أبي حنيفة وأصحابه»، وكالشيخ موفق بن أحمد الخوارزمي المكي المتوفى ٥٦٨ هـ، والحافظ محمد بن محمد المعروف بالكردري المتوفى ٨٣٧ هـ، وعلي بن سلطان محمد القاري المتوفى ١٠١٤ هـ، وهؤلاء من الحنفية، وأما من غيرهم فقد ألف أبو المظفر يوسف بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي المتوفى ٦٥٤ هـ «الانتصار لإمام أئمة الأمصار»، والحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ «مناقب أبي حنيفة وصاحبيه»، والحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١ هـ «تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة»، ومحمد بن يوسف الصالحي الدمشقي المتوفى ٩٤٢ هـ «عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان»، والعلامة الجليل الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي المتوفى ٩٧٣ هـ «الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان»، وهذه الكتب الثلاثة مطبوعة معروفة يستفيد منها العلماء وطلبة العلم.

فأما الذين ذكروا مناقبه ومآثره فيما ألفوا في السير والتراجم، أو في كتب غيرها فجمع عظيم، كالحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ هـ في تاريخه، والحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» و «سير أعلام النبلاء»، وكالحافظ يوسف بن عبد البر أبي عمرو النمري القرطبي المتوفى ٤٦٣ هـ في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء»، وفي «جامع بيان العلم وفضله»، وكالإمام أبي الحسن أحمد بن محمد القدوري البغدادي

المتوفى ٤٢٨ هـ ذكر مناقبه في أول شرحه على مختصر الكرخي، وكالإمام أبي عبد الله الحسين بن محمد ابن خسرو البلخي المتوفى ٥٢٦ هـ ذكرها في أوائل كتابه «المسند»، وكالإمام أبي زكريا شرف الدين محيي الدين النووي المتوفى ٦٧٦ هـ في «تهذيب الأسماء واللغات»، وكالقاضي شمس الدين أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان المتوفى ٦٨١ هـ، وكالمؤرخ الشهير أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ هـ في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» وغيرهم من أصحاب العلم والفضل، وهذه الكتب ألفت في العربية، وفي غير العربية تأليفات كثيرة في مناقبه وفضائله كالفارسية والتركية والأردوية.

ولقد وفقني الله تعالى قبل أربع سنين أن علقت على كتاب الجلال السيوطي أعني «تبييض الصحيفة» تعليقاً مفيداً بين موجز ومطنب، وتلقاه العلماء الفحول بالقبول، ولما فرغت من ذلك التعليق ألقى الله تعالى في روعي أن أعلق على كتاب الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي أعني «الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان»، فشمرت عن ساعد الجد وأكملت التعليق في مدة يسيرة، اقتبست من التعليق الأول الذي مر ذكره آنفاً، وأضفت فوائد ثمينة من الكتب المتفرقة، وأحلت على المراجع والمصادر التي أهملها الهيتمي ـ رحمه الله تعالى ـ، فإنه لم يذكرها إلا نادراً، وذكر في مفتتح كتابه أنه لخص كتاب صاحبه محمد الشامي الدمشقي، فاكتفى بهذه الإحالة واقتصر عليها، وإني فتشت المظانّ وأحلت على المصادر بقيد الجلد والصفحات فازداد نفعه وتمّ. والحمد لله على ما ألهم وعلم وأنعم وكرم.

والله تعالى أسأل أن ينفع به كما نفع بأصله، وهو

المستعان وعليه التكلان، وهو الميسر لكل عسير، وعلى كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وأنا العبد المحتاج إلى ربه

محمد عاشق إلهي البرني

عفا الله عنه وعافاه وجعل آخرته خيراً من أولاه

تحريراً في المدينة المنورة ٨/٩/١٤١١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختص العلماء بوراثة الأنبياء والتخلق بأخلاقهم، وجعلهم القدوة للكافة في معاشهم ومعادهم، وميز المجتهدين منهم بقيامهم بمصالحهم، وإيضاح الحق لهم في مصادرهم ومواردهم، وباضطرار الخلق إليهم في قوام ما به حياة أرواحهم وأبدانهم، فهم الملوك لا بل الملوك تحت أقدامهم وفي أسر رأيهم وأقلامهم، وهم النجوم لا بل النجوم تستمد من أنوارهم، وهم الشموس لا بل الشموس تستضيء من أضوائهم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أترقى بها في كمالات معارفهم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المذيع لمعالي مناقبهم وكمالهم، والمفيض عليهم من سوابق التوفيق لاقتفاء آثاره في سائر أحوالهم، ما سبقوا به من سواهم إلى الخلافة الكبرى عنه في الهداية والإمداد للخلق ببواطنهم وظواهرهم، ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين حازوا من قصب السبق في مضمار الكمالات الصمدانية والمعارف المصطفوية ما صاروا به القدوة الكبرى والمحجة البيضاء لأوائل الخلق وأواخرهم، صلاة وسلاماً دائمين بدوام العلماء وظهور سؤددهم ومآثرهم.

وبعد: فإنه ورد علينا من منذ سنين بمكة المشرفة زادها الله تشريفاً وتكريماً، وجلالة ومهابة وتعظيماً، رجل

من فضلاء القسطنطينية وصلحائهم لجمعه بين العلوم النقلية والعقلية، والقوانين الطبية والرسمية، وعلوم الأخلاق والمواهب، والأحوال والمطالب، التي فاز بها القوم، السالمون من الاعتراض واللوم، ساداتنا الصوفية، وأئمتنا الطائفة الجنيدية، فساجلنا وساجلناه مساجلة الأحبة الذين هم على سرر متقابلون، ومن بحار المعارف يغترفون، إلى أن انجرّ الكلام إلى الأئمة الجامعين بين العلوم الرسمية والمعارف الوهبية، المتحفين بدوام الشهود، وهوامع الكرم والجود.

فقال ذلك الفاضل العالم الكامل: أود منكم مختصراً جامعاً، ودستوراً لطيفاً مانعاً، يشتمل على تلخيص ما أطال به الأئمة في مناقب الإمام الأعظم، والقدوة المقدم، أبي حنيفة النعمان سقى الله مرقده شآبيب الرحمة والرضوان، وأسكنه أعلى فراديس الجنان.

فبادرت إلى امتثال أمره المحتّم، وبذلت الجهد في تلخيص تلك المناقب بأنه مقصد أهم، فجاء بحمد الله مختصراً لطيفاً، وأنموذجاً شريفاً، فكتب منه نسخة وذهب به إلى بلده[١] أعظم بلاد الإسلام، ومحط رحال العلماء الأعلام، ومنبع الأفاضل، ومفزع الأماثل.

ثم كتبه الناس بعده واقتفوا أثره ومجده، وتفرقوا به في البلدان، ولم يبق عندي إلا نسخة الأصل، والله المستعان، فاستعارها بعض الحنفية ليكتبها ويردها، ثم سافر بها غير ملتفت إلى عظيم وزر فقدها، فتأثرت لذلك، وأعدت النظر فيما لأئمة المناقب من المسالك، إلى أن ظفرت بكتاب جامع فيها لصاحبنا الشيخ العلامة،

(١) أراد به بلاد الخلافة العثمانية.

الصالح الفهامة، الثقة المطلع، والحافظ المتبع، الشيخ محمد[١] الشامي الدمشقي ثم المصري، فلخصت مقاصده، ونقحت مصادره وموارده، في هذا الكتاب البديع، الجامع المحكم المنيع وسميته: «الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» رحمه الله تعالى، ورتبته على مقدمات ثلاث وأربعين فصلاً:.

(١) هو العالم الزاهد الشيخ شمس الدين محمد الشامي المتمسك بالسنة المحمدية نزيل التربة البرقوقية، المتوفى ٩٤٢ هـ، ذكر ترجمته ابن العماد في شذرات الذهب ٨/ ٢٥٠ وسرد أسماء تأليفاته، منها السيرة النبوية التي جمعها من ألف كتاب، ومنها عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان، ومنها الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ومنها عين الإصابة في معرفة الصحابة، ومنها غير ذلك، والكتاب الذي اختصره المؤلف رحمه الله تعالى هو عقود الجمان الذي ألفه شمس الدين الشامي في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان.

المقدمة الأولى

اعلم أن بعض المتعصبين ممن لم يمنح توفيقاً جاءني بكتاب منسوب للإمام الغزالي فيه من التعصب الفظيع والحط الشنيع على إمام المسلمين وأوحد الأئمة المجتهدين أبي حنيفة رحمه الله ما تصم عنه الآذان، ويقول عند سماعه الموفق المنصف ليت ذلك ما كان، كيف وقد أدى ذلك شمس الأئمة الكردري إلى أن بسط الكلام في رد ذلك الكتاب، وقابل مؤلفه مقابلة الفاسد بالفاسد فشنع على الشافعي رحمه الله أعظم من ذلك التشنيع، وبسط الكلام بما لا يحمد من الصنيع، كل ذلك منه بناء على أن ذلك الغزالي هو الإمام محمد حجة الإسلام، وليس هو هو لما يأتي في إحيائه من مدح أبي حنيفة وترجمته بما يليق بعلى كماله، وأيضاً فلأن النسخة التي رأيتها مكتوب عليها أن هذا الكتاب تصنيف محمود الغزالي، ومحمود هذا ليس بحجة الإسلام، ومن ثمة كتب على حاشية تلك النسخة هذا شخص معتزلي اسمه محمود الغزالي وليس هو حجة الإسلام.

قال بعض محققي الحنفية ممن أخذ العلم عن المولى سعد الدين التفتازاني(١): ونفرض أن ذلك صدر عن الغزالي حجة الإسلام فهذا إنما صدر عنه حين كان متلبساً بعلوم الجدل وحظوظ طلبة العلم، وأما في

(١) هو مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني، منسوب إلى تفتازان بلدة بخراسان، المتوفى ٧٩٢ هـ بسمرقند ونقل إلى سرخس، له كتب شهيرة متداولة منها التلويح حاشية التوضيح، والشرحان على تلخيص المفتاح، وشرح العقائد النسفية، وشرح الشمسية، والإرشاد في النحو، وحاشية على الكشاف وغير ذلك، كان من محاسن الزمان، لم تر العيون مثله في الأعلام والأعيان، وهو الأستاذ على الإطلاق والمشار إليه بالإتفاق، والمشهور في بطون الأوراق، اشتهرت تصانيفه في الأرض وأتت بالطول والعرض. (من الفوائد البهية ص ١٣٥). قال في معجم البلدان (٢/ ٣٥): تفتازان قرية كبيرة من نواحي نسا هـ.

آخر أمره حين تخلى(١) عن تلك الحظوظ وأفيضت عليه سجال المعارف والشهود، فقد عرف الحق لأهله وأقره في محله، والدليل على ذلك كلامه في الإحياء(٢) انتهى.

ولا بأس بذكر خلاصة كلامه في الإحياء ليعلم نزاهة مؤلفه حجة الإسلام مما نسب إليه، وقبل ذلك نقدم عليه مقدمة وهي أن بعض علماء الهند اختصر الإحياء اختصاراً بليغاً سماه عين العلم لم يسبق إلى مثل اختصاره مع تعدد مختصريه، فإنه أشار إلى مقاصده في أوراق قليلة تكاد أن تكون من جوامع الكلم، فلذا وضعت على كتابه شرحاً له لأنه لفرط ما فيه من الإيجاز، يكاد أن يعد من الألغاز، وعبارة ذلك المختصر مع عبارة شرحي له وتمام العبارة سيأتي في آخر الورقة الثانية.

والأولى(٣) أن يختار من الأئمة الأربعة من ظن أنه أفضل الأربعة وأعلمهم، لأن نفسه حينئذ تنقاد إلى قوله، وتخضع لرأيه وتبادر إلى امتثاله، والعمل به أكثر.

ثم كل من أبي حنيفة ومالك والشافعي رحمة الله عليهم امتاز بإقليم لا يعرف فيه غير أتباعه أو يكون أتباعه فيه أكثر كإقليم الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعي رحمه الله، وكالغرب على سعته بالنسبة لمالك رحمه الله، وكالروم والهند وما وراء النهر بالنسبة لأبي حنيفة رحمه الله، ومن ثمة قال المصنف: كأبي حنيفة رحمه الله عندنا معشر الحنفية، فقد ورد من طرق يأتي الكلام عليها مبسوطاً قريباً. «أبو حنيفة سراج أمتي».

وفضله رحمه الله وما اشتهر عنه من العبادة والورع والزهد والسخاء ودقة النظر وحدّة الفكر يغني عن أن يستدل لفضله بما أطبق المحدثون على وضعه، وسمع في المنام الباري تعالى يقول: «أنا عند علم أبي حنيفة» أي بالحفظ والقبول والرضاء وإنزال البركة فيه وفي الآخذين به.

---

(١) ذكر ذلك حجة الإسلام الغزالي بنفسه في كتابه «المنقذ من الضلال» فراجعه إن شئت.

(٢) راجع من الإحياء آخر الباب الثاني من كتاب العلم.

(٣) الظاهر أن هذا بداية عبارة مختصر الإحياء مع شرح المؤلف.

وسلم المخالفون سبقه في الفقه، ومن ثمة قال الشافعي رحمه الله: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة». وقال أيضاً: من أراد الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه، وقال أيضاً: قلت لمالك: كيف رأيت أبا حنيفة؟ فقال: رأيت رجلاً لو كلمك في السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته.

ولما دخل الشافعي بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير، وفي رواية أن الركعتين كانتا صلاة الصبح وأنه لم يقنت، فقيل له في ذلك، فقال: أدباً مع هذا الإمام أن أظهر خلافه بحضرته(١).

وقال الفضيل بن عياض ـ وناهيك به جلالة ـ كان أبو حنيفة معروفاً بالفقه مشهوراً بالورع، ومن عظيم ورعه ما قال الإمام عبد الله بن المبارك: أنه أراد شراء أمة فمكث عشرين سنة يستخير ويشاور من أي سبي يشتري(٢).

وقال النضر بن شميل: كان الناس نياماً عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة(٣). ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد، فقال للمنصور: هذا عالم الدنيا، فقال له المنصور: عمن أخذت العلم؟ قال عن أصحاب عبد الله بن مسعود عن ابن مسعود، فقال له المنصور: لقد استوثقت(٤). ومع ذلك أراد هلاكه في وقائع جرت له معه وراوده على أن يلي القضاء فلم يقبل فضرب مائة سوط وحبس إلى أن مات في الحبس على قول، وضرب أيضاً عشرين سوطاً على أن يلي أمر بيت المال فأبى أن يقبل.

وكان يقول: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس

---

(١) ذكر الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى: أن تلك الصلاة كانت صلاة الفجر وأن الشافعي لم يقنت تأدباً مع أبي حنيفة رحمه الله تعالى (حجة الله البالغة [١/ ١٥٩]) وقوله في المتن: لم يرفع يديه في التكبير معناه في تكبير الركوع، فليحفظ.

(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٣).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٤).

(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ٥٩ وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٤) وزاد الصيمري والخطيب ابن عباس بعد ابن مسعود، وكأنه سقط عن الكاتب فطبعه الناشرون كذلك.

والعين، أو عن أصحابه أخذنا ببعض أقوالهم ولم نخرج عنها أو عن التابعين زاحمناهم[١].

وكان يقوم كل الليل بعد أن كان يحيى نصفه، فأشار إليه إنسان وهو يمشي فقال: «هذا هو الذي يحيي كل الليل». فلم يزل بعده يحيي كل الليل، وقال: أنا أستحي من الله أن أوصف بعبادة ليست فيّ[٢].

وقال بعضهم: ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة من أبي حنيفة، إنما كان الليل والنهار في طلب الآخرة[٣]. وسمع هاتفاً في المنام ـ وهو في الكعبة ـ يقول: يا أبا حنيفة! أخلصت خدمتي وأحسنت معرفتي فقد غفرت لك أي لما كنت عليه من إخلاص الخدمة بإحياء كل الليل، وصيام أكثر الدهر، وبذل الجهد في نشر العلم على الوجه الأكمل، وإحسان المعرفة بإتقان العلوم الظاهرة والباطنة والإخلاص فيها، ورفض الدنيا والإعراض عنها رأساً، والإقبال على الآخرة، وبذل الوسع في تحصيل أسبابها.

ومَن هذه صفاته أقرب إلى رجاء المغفرة له على وجه مخصوص لا يبقى له ذرة تقصير، ولمن اتبعك ببركة إخلاصك وإحسانك المذكورين إلى قيام الساعة، وفي هذا من البشرى له ولأتباعه ما يحمل الموفق منهم على بذل طاقته في اقتفاء آثار إمامه فيما كان عليه من تلك الأخلاق العلية، والصفات الطاهرة الزكية التي قل أن تجتمع إلا للعارفين والأئمة المجتهدين.

وتلمذ له كبار من المشايخ الأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين كالإمام الجليل المجمع على جلالته وبراعته وتقدمه وزهده عبد الله بن المبارك، وكالإمام مالك بن أنس ـ وناهيك بهؤلاء الأئمة ـ وكالإمام مسعر بن كدام، وزفر، وأبي يوسف، ومحمد، وغيرهم.

وتحمل لتقلد القضاء أي لأجل أن يتولاه، وكذا مفاتيح خزائن بيت المال ما تحمل من العقوبة والضرب الشديد لما أبى عن ذلك إيثاراً

---

(١) عقود الجمان (ص ١٧٣).
(٢) راجع تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٥) وأخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤١).
(٣) ذكره الصيمري في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» عن عبد المجيد بن أبي رواد (ص ٤٣).

لعذاب الدنيا على عذاب الآخرة، ومن ثمة لما ذكر عند عبد الله بن المبارك قال: أتذكرون رجلاً عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففرّ منها وما خالط الظلمة مع سؤالهم له في ذلك وإلحاحهم عليه وتهديده إن لم يفعل، وما قبل منهم شيئاً قط وإن قلّ(١).

ومن ثمة لما أرسل إليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن القحطبة ـ ولم يمكنه ردها ـ أوصى ابنه حماداً أنه إذا مات ودفن يردها للحسن، ففعل فقال له: رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحاً على دينه(٢).

وما اشتغل بالدعوة أي بدعوة الناس إلى مذهبه إلا بالإشارة النبوية في المنام إليه ليدعوهم إلى مذهبه بعد ما قصد الانزواء والاستخفاء عنهم تواضعاً واحتقاراً لنفسه عن أن يجعل لها حظاً أو يرى منها أو لها حسناً يستحق أن يجعل دعاية الناس إلى الاقتداء والعمل به.

فلما جاء الإذن ممن فوضت إليه قسمة خزائن الله تعالى على مستحقيها علم أن ذلك أمر حتم لا بد منه فدعا الناس إليه حتى ظهر مذهبه وانتشر، وكثرت أتباعه وخذلت حساده ونفع الله به شرقاً وغرباً وعجماً وعرباً، ورزق حظاً وافراً في أتباعه فقاموا بتحرير أصول مذهب وفروعه، وأمعنوا النظر في منقوله ومعقوله، حتى صار بحمد الله محكم القواعد معدن الفوائد، ويؤيد ذلك ما حكاه بعض أصحاب المناقب أن ثابتاً والده أتى به وهو صغير لعلي كرم الله وجهه فدعا له بالبركة ولذريته فكان ما أوتيه أبو حنيفة من بركة تلك الدعوة(٣).

وما استظل بحائط المديون حين أتاه متقاضياً تورعاً منه عن أن يرتفق بشيء من آثار هدية وإعلاماً للمدين أنه لا يرغب في رفق منه، فإن قبوله منه وإن قل بطريق الشرع ينافي كمال المروءة والورع ومحاسن الأخلاق.

وكان له رحمه الله من ذلك ومن تجنب الشبهة ما أمكنه الحظ

(١) راجع «مناقب أبي حنيفة وصاحبيه» للحافظ الذهبي (ص ١٥).

(٢) راجع «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» للصيمري، والحسن بن قحطبة هو أحد قواد الدولة العباسية كما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٧/٤٠٣) وذكر وفاته في ١٨١ هـ، وكذا ذكر ابن العماد في شذرات الذهب (١/ ٢٩٥)، وقال: كان من كبار قواد المنصور.

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢).

الوافر، ومن ثمة تصدق بجميع مال أتى به وكيله إليه لما خلط به ثمن ثوب معيب بيع حال كونه مخفياً عيبه من بائعه[١]، فهو وإن لم يكن عليه إثم لجهله لكن فيه شبهة ما، وإنما لم يرد ثمنه لمشتريه ويسترده كأنه للجهل بالمشتري مع اليأس من العلم به، فتصدق به لما يأتي مبسوطاً في باب التوبة[٢]. قيل: وكان المال ثلاثين ألفاً، ووقع له نظائر لذلك متعددة كما في كتب المناقب.

ومن عظيم ورعه ما مر من قصة الجارية التي أراد أن يشتريها، ومن ذلك أيضاً أنه ترك لحم الغنم لما فقدت شاة في الكوفة إلى أن علم موتها لأنه سأل عن أكثر ما تعيش فقيل له سبع سنين فترك أكل لحمها سبع سنين تورعاً منه[٣]، لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام، فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه، إذ هذا هو شأن أكل الحرام، وإن انتفى الإثم للجهل بعين الحرام، ولأجل ذلك فاز أهل الورع بما سبقوا به غيرهم من نور القلوب، وتأهلهم لشهود المحبوب، وقيامهم في خدمته بحسب طاقتهم، وإعراضهم عن القواطع عنه طوق مقدرتهم، وليس ما ذكر من مناقب هذا الإمام يراد به حصر مناقبه فيه، بل هو قطرة من بحر لا ساحل له.

ومن غررها أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، فقيل له: ما الذي قوّاك على هذا؟ قال: إني دعوت الله بأسمائه على حروف المعجم، وهي مجموعة في كل من آيتين، الأولى: ﴿**محمد رسول الله**﴾ إلى آخر سورة الفتح، والثانية: ﴿**ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً**﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وأنه كان يختم في رمضان ستين ختمة، ختمة بالليل وختمة بالنهار، إلى غير ذلك من مناقب أخر له يعسر تعدادها، فرحمه الله ورضي الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه.

انتهى كلام مختصر الإحياء مع شرحي له، ويعلم براءة الإمام الغزالي حجة الإسلام مما نسب إليه من التعصب. حاشاه الله منه.

---

(١) مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للحافظ الذهبي (ص ٢٥).

(٢) أي من كتاب إحياء العلوم.

(٣) عقود الجمان (ص ٢٤٤).

المقدمة الثانية

في بيان أمور يعم نفعها، ويقبح بالطالب جهلها، إذ به يقع في ورطة عظيمة ومهواة قبيحة غير مستقيمة، فتعين إيرادها أولاً، وأيضاح ما له بها تعلق مجملاً ومفصلاً.

منها: عليك أيها الموفق إن أردت النجاة في الآخرة والسلام من خطر الوقيعة في أحد أولياء الله تعالى ووراث نبيه محمد ﷺ وشرّف وكرّم أن تعتقد أن كل واحد من الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين على هدى من الله ورضوان، وأنهم كلهم مأجورون في سائر الحالات باتفاق أئمة النقل والبرهان.

وقد روى البيهقي أنه ﷺ قال: مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به، فلا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة ماضية مني، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأيما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة[1].

ففيه إخباره ﷺ باختلاف المذاهب بعده في الفروع من زمن أصحابه الذي هو زمان الهدى والإرشاد المشهود له من مشرفهم بأنه خير القرون على الإطلاق، ويلزم من اختلافهم اختلاف من بعدهم، لأن كل صحابي مشهور بالفقه والرواية أخذ بقوله ومذهبه جماعة، ومع ذلك رضي به ﷺ وأقرهم عليه ومدحهم حتى جعل نفس ذلك الاختلاف رحمة للأمة، وخيّرهم في الأخذ بقول من شاؤا من أصحابه اللازم له الأخذ بقول من أرادوا من المجتهدين بعدهم، الجارين على

---

(١) رواه البيهقي في المدخل (ص ١٦٣) عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله عنه بسند فيه ضعفاء، والضحاك لم يلق ابن عباس وذكر ابن سعد في طبقاته عن القاسم بن محمد قال: كان اختلاف أصحاب محمد ﷺ رحمة للناس، وراجع الكفاية للخطيب البغدادي.

منوالهم والسالكين لمسالكهم في أقوالهم وأفعالهم.

وقد أقر ﷺ اختلاف أصحابه في وقائع جرت لهم في زمنه ولم يعترض أحداً فيما قاله ورآه مخالفاً لما قاله نظيره ورآه، كما يشهد بذلك وقائع كثيرة وشهيرة.

من ذلك: قصة اختلافهم في أسرى بدر، فأبو بكر ومن تبعه أشاروا بأخذ الفداء منهم، وعمر ومن تبعه أشاروا بقتلهم، فحكم ﷺ بالأول ونزل القرآن بتفضيل الرأي الثاني مع تقرير الرأي الأول.

ففيه أوضح دليل على تصويب الرأيين وإن كلاً من المجتهدين مصيب، ولو كان الرأي خطأ لم يحكمْ به ﷺ، وقد أخبر تعالى بأنه عين حكمة بقوله: ﴿لَوْلاَ كتابٌ مِنَ الله سبَقَ﴾ وطيب الفداء بقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمتُمْ حَلالاً طيباً﴾ وإنما وقع العتب على اختيار غير الأفضل.

ومن ثمة كان أكثر ما يقع الترجيح في المذاهب بالنظر إلى الأفضل من حيث قوة الأدلة والقرب من الإحتياط والورع، وذلك في مسائل معدودة لا من حيث مجموع المذهب، وأما بالنظر إلى التصويب فكله صواب وحق لا شبهة فيه.

ومن هذا كانت طريق الصوفية أعدل الطرق وأفضلها، وهي الأخذ بالأشد والأحوط في كل مسألة بحيث يخرجون من جميع الأقاويل، ويأتون بعبادة مجمع على صحتها.

ويوافق ذلك قول أئمتنا يُسن الخروج من كل خلاف لم يضعف مدركه ولم يخالف سنة صحيحة أي مخالفة صريحة لا يمكن تأويلها، وقد صرحوا بأنه يُسن الوضوء من كل ما قيل إنه ناقض، وكان ابن سريج يغسل أذنيه مع وجهه ويمسحهما مع رأسه ويمسحهما منفردتين احتياطاً في الكل وخروجاً من الخلاف.

ومن ذلك: أيضاً قصة اختلافهم في قوله ﷺ حين أراد غزو بني قريظة: لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة[١]. فإنهم لما خرجوا من

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب).

المدينة إليهم وقد ضاق وقت الظهر اختلفوا فصلى جماعة منهم الظهر خشية خروج وقتها، واحتجوا بأنه ﷺ إنما قال ذلك تحريضاً على الاستعجال، ولم يرد إخراج الصلاة عن وقتها، فاستنبطوا من النص معنى بينوا به أن الحصر في قوله: «إلا في بني قريظة». إضافي لا حقيقي، وامتنع آخرون عن صلاة الظهر إلى أن وصلوا بني قريظة بعد دخول وقت العصر، واحتجوا بأنه ﷺ أطلق الحصر ولم يبينه فكان المراد به حقيقته، ثم بلغه اختلافهم وفعلهم فلم ينكر على أحد من الفريقين وأقر كلاً على ما فهمه إشارة إلى أن الكل مجتهدون مأجورون على هدى من الله تعالى، فلا لوم على أحد منهم ولا ينسب إليه خلل ولا تقصير، لا سيما مع استحضارك لقوله ﷺ: فأيما أخذتم به اهتديتم فجعل الكل مهتدين، فكيف مع ذلك ينسب لأحد منهم خطأ أو تقصير.

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: كان اختلاف أصحاب محمد ﷺ رحمة للناس. وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال: ما يسرني باختلاف أصحاب محمد ﷺ حمر النعم. رواه البيهقي بلفظ: ما يسرني أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة[١].

ولما أراد هارون الرشيد أن يعلق موطأ مالك في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، قال له مالك: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان، وإن اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة، كل يتبع ما صح عنده وكل مصيب وكل على هدى، فقال له هارون: وفقك الله يا أبا عبد الله.

ووقع له ذلك مع المنصور أيضاً لما أراد أن يرسل إلى كل مصر نسخة من كتب مالك ويأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره، فقال له مالك: لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، ودانوا بها من اختلاف الناس فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم[٢].

---

(١) قول عمر بن عبد العزيز هذا ذكره الشامي في ردِّ المحتار (١/ ٤٧) ناقلاً عن السيوطي.

(٢) ذكره ابن عبد البر في الانتقاء (ص ٤١).

وبما تقرر يظهر اتجاه القول بأن كل مجتهد مصيب، وإن حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد، وهو أحد القولين للأئمة الأربعة، ونسب ترجيحه لأكثر الشافعية والحنفية والباقلاني، ولا ينافيه الخبر الصحيح المصرح بأن للمصيب أجرين وللمخطىء أجراً، لأنه محمول كما قال الحافظ الجلال السيوطي على أن المخطىء من المجتهدين إنما أخطأ في عدم إدراكه الأفضل والأولى كما عتب على الصحابة في اختيار الفداء، لأنه غير الأفضل مع أنه حكم صواب.

وقد قال الفقهاء فيمن صلى رباعية إلى أربع جهات[1] كل ركعة إلى جهة بالاجتهاد لا قضاء عليه مع القطع بأن ثلاث ركعات منها إلى غير القبلة، واختلف اجتهاد عمر رضي الله عنه في الحد يقضي فيه بقضايا مختلفة، وكان يقول: «ذلك على ما قضينا، وهذا على ما نقضي».

وأخرج البيهقي مرسلاً أن رسول الله ﷺ كان يقضي القضاء وينزل القرآن بغير ما قضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الأول. انتهى.

وفيما قاله واستدل به نظر واضح لا سيما ما ذكره آخراً، إذ اجتهاده ﷺ معصوم من الخطأ على الصواب بخلاف اجتهاد غيره، ونقل الكردري عن الشافعي رحمه الله أن المجتهدين القائلين بحكمين متباينين بمنزلة رسولين جاءا بشريعتين مختلفتين وكلاهما حق وصدق.

وقال الإمام المازري: القول بأن الحق في طرفين هو ما عليه أكثر أهل التحقيق من العلماء والمتكلمين، وهو مروي عن الأئمة الأربعة، واحتجوا بأنه ﷺ جعل له أجراً ولو لم يصب لم يؤجر، وأجابوا عن إطلاق الخطأ في الخبر بأنه محمول على من ذهل عن النص واجتهد فيما لا يسوغ الاجتهاد فيه من القطعيات مما خالف الإجماع، فإن مثل هذا إذا اتفق الخطأ فيه هو الذي يصح إطلاق الخطأ فيه، وأما من اجتهد في مسألة ليس فيها نص أي قاطع ولا إجماع فلا يطلق عليه الخطأ، وأطال الإمام المازري في تقرير ذلك.

وفي الشفاء لعياض: القول بتصويب المجتهدين هو الحق

---

(١) أي لأجل اشتباه القبلة.

والصواب عندنا، وقد قال صاحب جمع الجوامع والمتكلمون عليه: ونعتقد أن أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد والسفيانين والأوزاعي وابن جرير وسائر أئمة المسلمين على هدى من الله تعالى، ولا التفات إلى من تكلم فيهم بما هم بريئون منه، فقد أوتوا من العلوم اللدنية والمواهب الإلهية والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغزيرة والدين والورع والعبادة والزهادة والجلالة بالمحل الذي لا يسامى. انتهى.

ورأى بعض الأئمة النبيّ ﷺ وسأله عن اختلاف المجتهدين، فقال: «كل في اجتهاده مصيب»، فذكر له الرائي قول أبي حنيفة: «المجتهدان مصيبان والحق في واحد»، وقول الشافعي: «المجتهدان مصيب ومخطىء معفو عنه»، فقال ﷺ: هما قريبان في المعنى وإن كانا مختلفين في اللفظ، فقلت: أيهما أولى بالأخذ من الفريقين، فقال ﷺ: كلاهما على الحق.

ومنها: عليك أيضاً أن تعتقد أن اختلاف أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة في الفروع نعمة كبيرة، ورحمة واسعة، وفضيلة واضحة، وله سر لطيف أدركه العلماء العاملون وعمي عنه الجاهلون. حتى قال بعضهم: إن النبي ﷺ جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة.

ووجه ذلك أن الله تعالى خص هذه الشريعة برفعه عن أهلها الآصار والأثقال التي كانت على الأمم قبلها، كتحتم القصاص في شريعة موسى عليه السلام لأنه أرسل بالجلال الصرف، وتحتم الدية في شريعة عيسى عليه السلام، والتخير بينهما في شريعتنا، وكقرض محل النجاسة من البدن[١] في شرعهم وغسلها بالماء في شرعنا، وكامتناع النسخ في شريعة اليهود وجوازه في شرعنا، ومن ثمة استعظموا نسخ القبلة، وككتبهم فإنها لا تقرأ إلا على حرف واحد، وكتابنا يقرأ على حروف سبعة بل عشرة[٢].

---

(١) كذا ذكر بعض المفسرين أن بني إسرائيل كانوا مأمورين بقطع محل النجاسة من البدن. وهو بعيد جداً، لأن من يبول كل يوم ثم يقطع موضع البول من عضوه لا يبقى عضوه بعد أيام، فكيف يتناسل؟ نعم قطع محل النجاسة من الثوب هذا أمر ممكن كما ذكره البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾. والذي وقع في بعض الروايات من ذكر قطع الجلد، فالمراد به قطع الخف والفرو.

(٢) إشارة إلى ما رواه البخاري (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف) إن رسول الله ﷺ قال: أقرأني =

كل ذلك لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾ وقوله عزّ قائلاً: ﴿وَمَا جَعَلَ عليكُمْ فِي الدِين مِنْ حَرَجٍ﴾ وقال ﷺ: بعثت بالحنيفية السمحة[١].

فمن سماحتها ويسرها ورفع الآصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا في الفروع لكون المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الأمر عليهم بالتزام شيء واحد، وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح ويمدح عليه، وحتى أن من رأى له فسحة في غير مذهبه جاز له بشرطه الانتقال إليه والعمل به.

وكل هذه نعم عظيمة الموقع واسعة الرفق، لا سيما وهي مؤذنة بغاية رفعته ﷺ، وتميزه على بقية الأنبياء بالتوسعة لأجله على أمته بتخييرهم في الأمر الواحد بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم، لتصويب كل مجتهد منهم ومدحه وإن فرض خطأه.

وقد قرر السبكي أن جميع الشرائع السابقة شرائع له ﷺ، والأنبياء صلوات الله عليهم كالنواب عنه، لأنه نبي وآدم بين الروح والجسد[٢].

فهو إذ ذاك نبي الأنبياء وهذا هو معنى قوله ﷺ: «بعثت إلى الناس

= جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيد ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف. وفي رواية: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه، قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٦): لا زلت استشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن فيه النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله تعالى. ثم ذكر ما سنح في قلبه، وأطال الكلام ورد في أثناء كلامه أن يكون المراد بالسبعة قراءات القراء السبعة المشهورين الذين جمع قراءاتهم ابن مجاهد في كتابه، ونقل الحافظ في الفتح (٩/ ٢٣) عن القرطبي عن ابن حيان: أنه بلغ الاختلاف في معنى الأحرف إلى خمسة وثلاثين قولاً، وأطال الكلام في خمس عشرة صفحات، وسبقهم في شرح الحديث الإمام أبو جعفر الطحاوي في «بيان مشكل الآثار» شرحاً وافياً، وما زاد المؤلف ههنا لفظ «العشرة» فإنما هو يستقيم على قول من قال: إن المراد بالسبعة هو التكثير لا التحديد. والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) روى الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٦) مرفوعاً: إني لم أبعث باليهودية والنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة.

(٢) إشارة إلى ما رواه الترمذي: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول الله! متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد». قال الترمذي: حديث حسن صحيح. (رواه الترمذي في أوائل أبواب المناقب).

كافة»(١) فهو مبعوث إلى الخلق كلهم من لدن آدم إلى قيام الساعة. انتهى.

وإذا تقرر أن شرائع الأنبياء شرائع له زيادة في تعظيمه فالشرائع التي استنبطها أصحابه وتابعوهم بإحسان من أقواله وأفعاله على تنوعها شرائع متعددة له من باب أولى، خصوصاً وقد أخبر بوقوعها ووعد بالهداية على الأخذ بها ورضي بها ومدحنا عليها، وجعل ذلك رحمة أي رحمة ومنة أي منة، كما مر بيان ذلك. ومن ثمة لما جعل اختلاف هذه الأمة رحمة أخبر بأن اختلاف الأمم السابقة هلاك وعذاب، أي لأنهم لم يوسع لهم كما وسع لهذه الأمة فكان اختلافهم محض كذب وتقوّل على أنبيائهم بما هم بريئون منهم.

ومنها: يتأكد عليك غاية التأكد الذي لا رخصة فيه أن لا تفضل بعض المذاهب على بعض تفضيلاً يؤدي إلى تنقيص المفضّل عليه، فإن ذلك يؤدي إلى المقت والخزي في الدنيا والآخرة، وسيأتي عن الله تعالى أنه قال: «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب». وعلماء المسلمين العاملون كلهم أولياء الله تعالى من غير شك ولا ريب.

وكثيراً ما يؤدي التفضيل إلى الخصام القبيح بين السفهاء ومن لا خلاق لهم ولا دين ولا تقوى، إلى أن يظهر من بعضهم قبيح العصبية وحمية الجاهلية. ويفضي ذلك بهم إلى ترجيح مذهب إمامه وإطلاق لسانه في غيره بعدم أدب وغفلة تامة عما يترتب بسبب ذلك من المقت والخزي، وإلى أن ينتصر بعض مقلدي مخالفه لإمامه فيرد على الأول ويطلق لسانه فيه ويتعدى إلى إمامه ويطلق لسانه فيه، زاعماً أن ذلك من باب مقابلة الفاسد بالفاسد.

ولو عرض كلام كل منهما على إمامه لزجره عنه وتبرأ منه وهجره لأجله لوقوعه بقبيح ما ارتكبه في شَرَك المقت والردى، إذ ربما أيس من موته على الهدى. وقد أخبر ابن عباس رضي الله عنهما بأن سبب هلاك الأمم السابقة مراؤهم وخصوماتهم في دين الله.

---

(١) أخرجه البخاري بهذا اللفظ قبل ـ باب ـ نوم المرأة في المسجد، وأخرجه في التيمم بلفظ: «إلى الناس عامة».

حفظنا الله من وعير[١] هذه المسالك، وحشرنا في زمرة أولئك الأئمة فإننا نحبهم ونعظمهم بما نرجو به أن نحشر معهم على الآرائك، إذ من أحب قوماً حشر معهم كما أخبر به مورثهم ومشرفهم، وكفى من انتقص أحداً منهم أن يحرم هذه المرافقة في ذلك المجمع الأكبر، وأن ينادى عليه فيه: هذا عدو أولياء الله فليس له إلا الخزي والعذاب في المحشر.

---

(١) الوعر ضد السهل، كالوعِر والواعر والوعير واستوعروا طريقهم رأوه وعرا (من القاموس).

المقدمة الثالثة

فيما ورد من تبشير النبي ﷺ بالإمام أبي حنيفة رحمه الله

إعلم أن أعظم ذلك وأجله وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخاري[١] ومسلم عن أبي هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازي[٢] والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة[٣] والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه[٤] أن النبي ﷺ قال: «لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس».

ولفظ الشيرازي وأبي نعيم: لو كان العلم معلقاً عند الثريا. ولفظ الطبراني عن قيس: لا تناله العرب لناله رجال من أبناء فارس. ولفظ مسلم: لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس.

قال الحافظ المحقق الجلال السيوطي:

هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة رحمه الله وفي الفضيلة التامة له، نظير الحديث الذي في مالك رحمه الله، وهو قوله ﷺ: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الجمعة، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، وأبو نعيم في ترجمة شهر بن حوشب.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي صاحب كتاب «الألقاب» المتوفى سنة ٤٠٧، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي (١٠٥٦).

(٣) حديث قيس بن سعد أخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٥): رجاله رجال الصحيح.

(٤) راجع مجمع الزوائد (١٠/ ٦٥).

(٥) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه (في أبواب العلم) وقال: هذا حديث حسن صحيح، ثم قال: وقد روى عن ابن عيينة أنه قال في هذا: «من عالم المدينة» أنه مالك بن أنس، قال إسحاق بن موسى: سمعت ابن عيينة قال: هو العمري الزاهد، واسمه عبد العزيز بن عبد الله، وسمعت يحيى بن موسى يقول: قال عبد الرزاق: هو مالك بن أنس. اهـ.

والحديث الذي في الشافعي رحمه الله، وهو قوله ﷺ: «لا تسبوا قريشاً، فإن عالمها يملأ الأرض علماً»[(١)] وهو حديث حسن له طرق كثيرة. وزعم بعضهم وضعه[(٢)]، وزيفوه وشنعوا على زاعمه ومخترعه.

قال العلماء: عالم المدينة في الحديث الأول مالك، وعالم قريش في الحديث الثاني الشافعي.

قال بعض تلامذة الجلال: وما جزم به شيخنا من أن الإمام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه، لأنه لم يبلغ أحد أي في زمنه من أبناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه.

وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث أخبر بما سيقع، وليس المراد بفارس البلد المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس، وسيأتي أن جد

= وأخرج حديث أبي هريرة هذا الحاكم في المستدرك (١/ ٩١) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، قال الحاكم: وقد كان ابن عيينة يقول: نرى هذا العالم مالك بن أنس اهـ. واختلف قول ابن عيينة على ما ذكره الترمذي، فقال تارة: هو مالك بن أنس، وقال مرة: إنه العمري. وجزم عبد الرزاق أنه مالك، وهو أليق بمعنى الحديث، لأن مالكاً بث علم النبي ﷺ وقصده الناس من بلاد شاسعة، فأما العمري الزاهد فلم يعرف في الرواية والدراية وضرب أكباد الإبل إليه مثل ما اشتهر في ذلك مالك رحمهما الله تعالى. وأطال القاضي عياض رحمه الله تعالى الكلام على هذا الحديث في ترتيب المدارك (١/ ٦٨) وذكر ألفاظه وطرقه وذكر حديث أبي موسى وجابر بن عبد الله في هذا المعنى، واحتج بثلاثة أوجه على أن المراد بهذا الحديث هو مالك بن أنس رحمه الله تعالى. ثم ليعلم أن المطبوع في نسخ الترمذي أن اسم الزاهد العمري عبد العزيز بن عبد الله، والصحيح أن العمري هو ابنه وهو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي العمري، رضي الله عنهم. راجع التهذيب للحافظ ابن حجر (٥/ ٣٠٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٦).

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (ص ٤٠) عن الجارود عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعاً بلفظ: لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً، اللهم إنك أذقت أولها عذاباً أو وبالاً فأذق آخرها نوالاً. وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٦٠) بسند الطيالسي. قال السخاوي في المقاصد بعد عزوه إلى الطيالسي: والجارود مجهول، والراوي عنه مختلف فيه، ثم قال: وله شواهد عن أبي هريرة في تاريخ بغداد للخطيب من حديث وهب بن كيسان عنه رفعه: اللهم اهد قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً، اللهم كما أذقتهم عذاباً فأذقهم نوالاً، دعا بها ثلاث مرات. وراويه عن وهب فيه ضعف، وعن علي وابن عباس وكلاهما في المدخل للبيهقي وثانيهما عند أحمد والترمذي، وقال: حسن بلفظ: «اللهم اهد قريشاً، فإن علم العالم منهم يسع طباق الأرض في آخرين». وهو منطبق على إمامنا الشافعي إلى أن قال: قد جمع شيخنا (ابن حجر) طرقه في كتاب سماه «لذة العيش في طرق حديث الأئمة من قريش» اهـ.

(٢) الذي حكم بوضعه هو الصغاني، كما ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة.

الإمام أبي حنيفة منهم على ما عليه الأكثرون. وفي خبر عن الديلمي: خير العجم فارس[١].

قال الجلال: وبهذا الخبر أي المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروي في حق أبي حنيفة رحمه الله.

قال تلميذه المذكور: أشار شيخنا بهذا إلى رد ما ذكره بعض أصحاب المناقب ممن ليس له دراية بعلم الحديث، فإن في سنده كذابين وضاعين.

ولفظ خبرهم: يكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة النعمان، هو سراج أمتي إلى يوم القيامة.

وفي لفظ: يكون في أمتي رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتي هو سراج أمتي. وفي لفظ: سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى أبا حنيفة يحيي دين الله تعالى وسنتي على يديه. وفي لفظ: في كل قرن من أمتي سابقون وأبو حنيفة سابق هذه الأمة. وفي لفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما: يطلع بعد رسول الله ﷺ بدر على جميع خراسان يكنى بأبي حنيفة. وفي لفظ آخر عنه: إن الرأي لحسن، وإنه يكون بعدنا رأي حنيف يجرى به الأحكام ما بقي الإسلام وإنه كرأينا وأحكامنا، يقوم به رجل يقال له النعمان بن ثابت الكوفي ويكنى بأبي حنيفة، وهو من أهل الكوفة، جهيد في العلم والفقه، يصرف الأحكام على وجهها حنيفي الدين والرأي الحسن.

وفي لفظ عن ابن سيرين: أنه لما قص عليه منامه الآتي، قال له: اكشف عن ظهرك ويسارك، فكشف فرأى بين كتفيه أو عضد يساره خالاً، فقال: صدقت أنت أبو حنيفة الذي قال رسول الله ﷺ في حقه: يخرج من أمتي رجل يقال له أبو حنيفة، بين كتفيه وفي رواية على يساره خال يحيي دين الله تعالى وسنتي على يديه.

وهذه كلها موضوعات لا تروج على من له أدنى إلمام بنقد الحديث، وقد أوردها ابن الجوزي في الموضوعات[٢]، وأقره الذهبي

---

(١) ذكره الصالحي في عقود الجمان (ص ٤٥) ناقلاً عن كتاب الفردوس.

(٢) راجع كتاب الموضوعات لابن الجوزي (٢/٤٨).

وشيخنا الحافظ الجلال السيوطي في مختصريهما والحافظ أبو الفضل شيخ الإسلام ابن حجر في لسان الميزان، وتبعهم الإمام الحافظ الذي انتهت إليه رياسة مذهب أبي حنيفة في زمنه الشيخ قاسم الحنفي[١].

ومن ثمة لم يورد شيئاً منها أئمة الحديث الذين صنفوا في مناقبه كالطحاوي وصاحب طبقات الحنفية محي الدين القرشي[٢] وآخرين كلهم حنفيون ثقات أثبات نقاد لهم اطلاع كثير. انتهى حاصل كلام تلميذ الجلال رحمهما الله تعالى.

ومن اطلع على ما يأتي في هذا الكتاب من أحوال الإمام أبي حنيفة وكراماته وأخلاقه وسيرته علم أنه غني عن أن يستشهد على فضله بخبر موضوع أو لفظ موضوع لا سيما مع ما تقرر من حديث البخاري ومسلم وغيرهما المحمول على أبي حنيفة كنظرائه من العجم وكمن هو أعلى منه وأجل كسلمان الفارسي رحمه الله.

ومما يصلح على عظم شأن أبي حنيفة رحمه الله ما روي عنه ﷺ أنه قال: ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة[٣]. ومن ثمة قال شمس الأئمة الكردري بفتح الكاف إن هذا الحديث محمول على أبي حنيفة، لأنه مات تلك السنة، رحمة الله عليه.

(١) هو زين الدين قاسم بن قطلوبغا المصري الحنفي المولود ٨٠٢ هـ والمتوفى ٨٧٩ هـ أخذ عن ابن الهمام وغيره من علماء عصره، وأخذ عنه من لا يحصى كثرة، صنف التصانيف المفيدة، فمن تصانيفه: شرح درر البحار وتخريج أحاديث الاختيار ورجال شرح معاني الآثار وثقات الرجال وشرح منظومة ابن الجزري في علم الحديث، وبالجملة فهو من حسنات الدهر رحمه الله تعالى. (من شذرات الذهب ٧/ ٣٢٦).

(٢) هو محيي الدين عبد القادر بن أبي الوفاء محمد القرشي المصري الحنفي المتوفى ٧٧٥ هـ صاحب الجواهر المضية في طبقات الحنفية. (من كشف الظنون).

(٣) لم أر من خرج هذا الحديث.

الفصل الأول

في بيان الأسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب

الأول:

ما جاء عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ بسند حسن، بل ذكره مسلم في مقدمة صحيحه، وابن خزيمة في صحيحه، قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم.

وفي رواية للخرائطي: أنزل الناس منازلهم في الخير والشر. وفي أخرى: أنزلوا الناس منازلهم[١] وراؤا الناس بعقولكم. وجاء عن علي كرم الله وجهه: من أنزل الناس منازلهم رفع المؤنة عن نفسه.

الثاني:

أنه وقع في تاريخ الخطيب ومنتظم أبي الفرج ابن الجوزي ذكر أشياء تنافي كمال أبي حنيفة رحمه الله، على أن الخطيب ذكر من فضائله بعد ذلك[٢] بأسانيده المشهورة ما يبهر العقل ذكره، بل كل من جاء بعده إنما يستمد في ترجمة الإمام منه.

وكذلك وقع في المنخول المنسوب للإمام الغزالي حجة الإسلام ذكر أشياء من ذلك، وإنما قلنا المنسوب لأنه لم يصح نسبة جميع ما في هذا الكتاب إليه. فيحتمل أن تكون تلك الألفاظ الشنيعة اختلقت عليه بدليل أنه مدحه في كتاب إحياء علوم الدين المتواتر عنه بما يليق بكمال أبي حنيفة رحمه الله.

---

(١) أخرجه أبو داود بهذا اللفظ في كتاب الأدب (باب في تنزيل الناس منازلهم) ثم قال: ميمون الذي روى هذا الحديث عن عائشة، لم يدرك عائشة.

(٢) كذا في الأصل، والصحيح (قبل ذلك) لأن الخطيب ذكر ترجمة الإمام أبي حنيفة في مائة صفحة، وجاءت هذه الصفحات في المجلد الثالث عشر من آخر سطر ص ٣٢٣ إلى أواخر ص ٤٢٣ فساق مناقبه الجليلة التي تبهر العقل كما قال المؤلف إلى ص ٣٦٨ ثم ساق ما يعارضها وينافيها من المثالب التي تنبو عنه الأسماع وتنفر منه القلوب، وسيجيء ذكر من رد على الخطيب في ذيل الفصل التاسع والثلاثين من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأجاب بعض المحققين من الحنفية كما مر بأنه بتقدير صدور هذا من الغزالي فهو في حال ابتداء أمره حين كان على شأن الفقهاء المتعصبين، فلما توقى عن ذلك وطهر أخلاقه ووصل إلى ما وصل إليه من الكمالات رجع عن ذلك وذكر الحق في كتاب الإحياء.

كما يدل لذلك قوله فيما حدث من الخلافيات والمجادلات فيها والتحريرات والتصنيفات: فإياك وأن تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فإنه الداء العضال، وهو الذي رد الفقهاء كلهم لطلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها. وهذا الكلام ربما يسمع من قائله، فيقال: الناس أعداء ما جهلوا، ولا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت، واقبل هذه النصيحة ممن ضيع عمره فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً، ثم ألهمه الله تعالى رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه. انتهى.

وكذلك وقع كما مر بسط الكلام فيه من بعض المتعصبين ممن يسمى بالغزالي حتى ظُن أنه الإمام حجة الإسلام، وليس كذلك، وإنما هو شخص آخر مجهول، له تأليف مستقل في الحط الشنيع على أبي حنيف رحمه الله مع نزاهته وبراءته عما نسب إليه فيه. على أنه غير بعيد أن بعض الزنادقة والمحرومين من الخير اختلق ذلك ونسبه إلى ذلك الإمام الكبير والعلم الشهير الذي هو حجة الإسلام ليروج على الناس ما افتراه، فكان بسبب ذلك ممن أضله الله وأعماه.

فحينئذ تعين على كل من قدر على تزييف ما في الكتب وتسفيهه أن يبطل جميع ما فيها، وأن يكذب واضعيها ومختلقيها بما أطبق عليه العلماء المعتبرون والأئمة المجتهدون من تعظيم ذلك الإمام الأعظم والحبر المقدم امتثالاً للأحاديث السابقة واللاحقة.

الثالث:

تبيين خطأ المتعصبين في قولهم: ما تكلمنا في أبي حنيفة وغيره إلا لأن ذلك متعين علمه علينا لتباين أحوال الرجال وتمايز أوصافهم التي عليها مدار الرواية والنقد والكمال.

وكلامهم هذا من منوال كلام الخوارج الذي قال فيه علي كرم الله

وجهه لما احتجوا عليه به: «كلمة حق أريد بها باطل».(١)

فكذلك كلام أولئك كلام حق في نفسه لكن أريد به باطل وأي باطل إذا لم يعتمدوا في ذلك إلا على كلمات صدرت من بعض معاصريه في حقه حسداً له على ما آتاه الله تعالى في فضله. ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

وكذا صدر من بعض من جاء بعده كلمات نسبوها إليه، لا تصدر ممن له أدنى كمال بل دين، وليس قصدهم إلا شينه وإخمال ذكره ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾.

وكفاهم في زجرهم ونكالهم ما جاء عن النبي ﷺ بسند جيد: أيما رجل أشاع على رجل بكلمة وهو منها بريء يشينه بها في الدنيا، كان حقاً على الله تعالى أن يحبسه في جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال(٢).

وفي رواية صحيحة: من قال في مؤمن بما ليس فيه أسكنه الله تعالى ردغة الخبال حتى يخرج مما قال، وليس بخارج. وردغة الخبال: بفتح فسكون الدال المهملة فمعجمة فخاء معجمة مفتوحة فموحدة، عصارة أهل النار، كما في حديث مرفوع.

الرابع:

تبيين أنه رحمه الله كسائر أئمة الإسلام ممن صدق عليهم قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

ووجه ذلك الصدق أن كلاً من أولئك الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين صحت عنه كمالات باهرة للعقول وأحوال وكرامات لا ينكرها إلا المعاند الجهول، فهم الأولياء على الحقيقة، والجامعون بين الحقيقة والشريعة.

---

(١) إشارة إلى ما قالت الخوارج لعلي رضي الله عنه حين رضي بالتحكيم فإنهم قرؤا قول الله تعالى شأنه: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ واحتجوا بذلك على علي رضي الله عنه، فقال: كلمة حق أريد بها الباطل.

(٢) ذكره الغزالي في إحيائه، ولم أر من أخرج بهذا اللفظ، وأخرج أبو داود في كتاب الأدب من سننه (باب من رد عن مسلم غيبته): من رمى مسلماً بشيء يريد شينه به، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال.

وإذ قد تمهد ذلك، فمنتقص أحد منهم ممن حقت عليهم كلمة الطرد والمقت، كيف وهو قد أدخل نفسه فيما لا طاقة له به من محاربة الله تعالى ورسوله، ومن حارب الله هلك هلاكاً أبدياً، نعوذ بالله من ذلك. والدليل على هذا ما رواه الأئمة البخاري[1] وغيره من طرق كثيرة تزيد على خمسة عشر طريقاً عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله تعالى قال: «من عادى» أو أذل أو آذى أو أهان ــ روايات ــ «لي ولياً» وفي رواية: «ولي المؤمنين». «فقد آذنته» أي أعلمته بالحرب. وفي رواية: «فقد استحل محاربتي». وفي أخرى: «فقد بارزني بالمحاربة».

وقوله: «لي» ظرف لغو، ويجوز أن يكون مستقراً لأنه حال قدمت على صاحبها لتنكيره، والمحاربة فيه من باب يخادعون الله وعاقبت اللص، وحكمة إيثاره المخاطبة بما يفهم، إذ الحرب ينشأ عن العداوة الناشئة عن المخالفة وغايتها اللازمة لها الهلاك، أي من كره من أحببته عاداني وعاندني، ومن عاندني فقد تعرض لإهلاكي إياه أشد الهلاك وأفظعه، فأطلق الحرب وأريد لازمها.

وإذ قد علمت هذا علمت أن فيه من الوعيد الشديد والزجر الأكيد والمنع البليغ ما يحمل من له أدنى مسكة من عقل فضلاً عن دين على أن يتجنب الخوض في شيء مما ينتقص به أحداً من أئمة الإسلام ومصابيح الظلام، وأن يبالغ في البعد عن إيذائهم بوجه من الوجوه، فإنه يؤذي الأموات ما يؤذي الأحياء[2].

---

(١) روى البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه (باب التواضع) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته (الحديث) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٦٩) بلفظ: فقد استحل محاربتي. ثم قال: رواه البزار واللفظ له وأحمد والطبراني في الأوسط الخ. وفي كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري: عن معاذ بن جبل قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال: اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة (الحديث). قال المنذري: (١/٦٨) رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي في كتاب الزهد له وغيره. قال الحاكم صحيح ولا علة له اهـ. قلت: أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (باب من ترجى له السلامة من الفتن) وأخرجه الحاكم في كتاب الرقاق (٤/٣٢٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) ذكر الغزالي في الإحياء (كتاب آفات اللسان) نهى رسول الله ﷺ عن أن تسب قتلى بدر من المشركين، فقال: لا تسبوا هؤلاء، فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء، ألا =

وكيف يسع أحداً أن يقدم على شيء من ذلك، والله تعالى يقول: إني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث للجرو.

وفي رواية عند الإمام أحمد رحمه الله عن وهب بن منبه، قال: قال الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام حين كلمه ربه جلّ وعلا: إعلم أن من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وناواني وعرض نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقاومني، أو يظن الذي يبارزني أن يعجزني، أو يسبقني أو يفوتني، كيف وأنا ثائر لهم في الدنيا والآخرة، فلا أكل نصرتهم إلى غيري. فتأمل، ثم تأمل، واحذر أن تخوض غمرة هذه اللجة المهلكة، فإن الله تعالى لا يبالي في أي واد هلكت.

ومن ثمة قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري: «لحوم العلماء مسمومة، وهتك أستار منتقصيهم معلومة». وقال أيضاً: «لحوم العلماء سم، من شمها مرض ومن ذاقها مات». قال: وقد جمع العلماء فضائلهم واعتنوا بسيرهم وأخبارهم، فمن قرأ فضائل أبي حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله بعد فضائل الصحابة والتابعين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ واعتنى بها ووقف على كريم سيرهم وهديهم كان ذلك له عملاً زاكياً، نفعنا الله تعالى بحب جميعهم.

ومن لم يحفظ من أخبارهم إلا ما يذكر من قول بعضهم في بعض على الحسد والهفوات والغضب حرم التوفيق ودخل في الغيبة وحاد عن الطريق، جعلنا الله وإياك ممن يستمع القول فيتبع أحسنه. آمين.

الخامس:

أن أئمة حفاظاً ترجموا لهذا الإمام وأطالوا في ترجمته قديماً وحديثاً فقصدت أن أنتظم في سلكهم لتعود عليّ بركة هذا الإمام كما عادت عليهم، وقد روى ابن الجوزي عن سفيان بن عيينة أنه قال: «عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة».

= إن البذاء لؤم اهـ. قال الحافظ العراقي في تخريجه: أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث محمد ابن علي الباقر مرسلاً، ورجاله ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح: لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا اهـ.

ألخص جميع ما ذكروه بأوجز عبارة وأبلغ إشارة معرضاً عن ذكر الأسانيد معولاً على ما بسطوه منها في كتبهم مما يزيل الشك والتردد، لإعراض الناس عن المطولات وإكبابهم على المختصرات. لما أن الهمم قد تقاصرت، والأغراض الفاسدة المنافية للدأب في العلوم قد تكاثرت، فلا ترى إلا ولهاناً أمسك أشعة القمر يحسبها قضبان الذهب، أو غريقاً في بحر شهواته التي أشغلته عن التطلع إلى أدنى كمال أو أدب.

الفصل الثاني

في ذكر نسبه

اختلفوا فيه، فقال أكثرهم وصححه المحققون إنه من العجم، وعليه ما أخرج الخطيب عن عمر بن حماد ولده أنه ابن ثابت بن زوطي أي بضم الزاي كموسى، وبفتحها كسلمى ابن ماه من أهل كابل أي بضم الموحدة بلدة من إقليم بناحية الهند.

ملكه بنو تيم الله بن ثعلبة فأسلم فأعتقوه وولد ثابت على الإسلام وقيل من أهل الأنبار بفتح الهمزة، ثم انتقل لنَسَا بفتح أوليه وبالقصر، فولد له بها أبو حنيفة، فلما ترعرع انتقل به. وقيل من أهل ترمذ. ولا مانع أنه نزل هذه البلاد الأربعة فنقل كل ما حفظه، وترمذ بتثليث أوله وضم الميم وكسرها وبالذال المعجمة مدينة على طرف جيحون.

وأخرج أيضاً عن إسماعيل بن حماد أخي عمر المذكور أنه قال: إن ثابت بن النعمان بن المرزبان، أي بفتح فسكون فضم الزاي وقد يفتح ـ معرب ـ الرئيس من أبناء فارس الأحرار، ووالله ما وقع لنا رق قط.

ذهب ثابت إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه صغيراً فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون استجاب ذلك فينا.

وأهدى النعمان إلى علي كرم الله وجهه فالوذجا يوم النيروز، أي بفتح أوله معرب يوم جديد من أعيادهم فقال: نوروزنا كل يوم. وقيل: كان في المهرجان أي معرب محبة الروح هكذا مركب من مهر بكسر أوله وجان. فقال علي كرم الله وجهه: مهرجونا كل يوم[1] وتخالف الأخوين في أن والد ثابت النعمانُ أو زوطي وجده المرزبان أوماه أجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون لكل اسمان، أو اسم ولقب، أو معنى زوطي النعمان والمرزبان ماه.

---

(١) راجع تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

وتخالفهما في مس الرق يجاب عنه بأن من أثبته أراد في الجد ومن نفاه أراد في الأب الذي هو ثابت، لكن قال ولد لإسماعيل المذكور أنهم موالي وأن المسبى من كابل هو ثابت فاشترته امرأة من بني تيم الله فاعتقته .

وقيل ثابت بن طاوس بن هرمز ملك بني ساسان . وقيل إنه عربي فزوطي من بني حيى بن زيد بن أسد .

وفي نسخة ابن راشد الأنصاري[1] ـ ورد ـ وقد رجح جماعة من أصحاب المناقب ما مر عن حفيديه، فإنهما أعرف بنسب جدهما .

---

(١) في عقود الجمان (ص ٣٩) وفي بعض النسخ: ابن راشد الأنصاري ولم يوافق على ذلك اهـ.

الفصل الثالث

في مولده

الأكثرون على أنه ولد سنة ثمانين بالكوفة في خلافة عبد الملك ابن مروان. وردوا ما شذ به بعضهم أنه ولد سنة إحدى وستين[١].

(١) قال العلامة الكوثري رحمه الله في تأنيب الخطيب ص ٢٠: حكى بدر الدين العيني في «تاريخه الكبير» ثلاث روايات في ميلاده. وهي: سنة إحدى وستين، وسنة سبعين، وسنة ثمانين، والاختلاف شديد في مواليد رجال الصدر الأول لتقدم عصرهم على عهد تدوين تاريخ الرجال ومصداق ذلك في وفيات الصحابة فضلاً عن مواليدهم. والأكثرون على أن أبا حنيفة ولد سنة ثمانين ترجيحاً منهم لأحدث التواريخ المروية في المواليد وأقدمها في الوفيات أخذاً بالأحوط في الحكم بالإتصال أو بالانقطاع، لكن هذا إذا لم يوجد ما يؤيد إحدى الروايات.
وهنا أمور تخدش ما اختار الأكثرون.
منها: ما فعله الحافظ أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار المتوفى سنة ٣٣١ في جزئه الذي سماه (ما رواه الأكابر عن مالك) حيث عد حماد بن أبي حنيفة من هؤلاء الأكابر فساق حديثاً بطريق حماد بن أبي حنيفة عن مالك، وحماد هذا وإن توفي قبل مالك بنحو ثلاث سنين لكن عده من الأكابر بالنظر إلى مالك لا يتم إلا إذا كان ميلاده قبل ميلاد مالك أيضاً، فيجب أن يكون ميلاد أبي حنيفة قبل سنة ثمانين بمدة لا تقل عن عشر سنين ليصح أن يكون ميلاد حماد ابنه قبل ميلاد مالك، وابن مخلد من الحفاظ البارعين ومن شيوخ الدارقطني فلا يحيد عن التحقيق فيما يكتب، وجزؤه المذكور محفوظ بظاهرية دمشق في قسم المجاميع رقم ٩٨ وعليه تسميعات وخطوط كثيرة من حملة الرواية.
ومنها: أن العقيلي (١/ ٣٠٤) روى في ترجمة حماد بن أبي سلمى ما يفيد أن إبراهيم ابن يزيد النخعي لما مات اجتمع خمسة من أهل الكوفة فيهم عمر بن قيس الماصر وأبو حنيفة فجمعوا نحو أربعين ألف درهم ثم أعطوه حماد بن أبي سليمان ليستعين به ويتفرغ لرياسة جماعة في العلم، وكانت وفاة إبراهيم النخعي سنة خمس وتسعين ولو كان ميلاد أبي حنيفة سنة ثمانين لكانت سنه عند وفاة النخعي خمس عشرة سنة.
ومن يكون في مثل هذه السن لا يتصور أن يهتم هذا الإهتمام بمن يخلف النخعي بل لا بد وأن يكون القائمون بمثل هذا الأمر من كبار تلامذة النخعي فبالنظر إلى مشاطرة أبي حنيفة لهؤلاء في ذلك لا بد من أن تكون سنه أكبر من هذا السن.
ومنها: أنه قد تضافرت الروايات على أن أبا حنيفة قبل انصرافه إلى الفقه كان جدلياً يشتغل بعلم الكلام حتى هبط البصرة نحو عشرين مرة ليناظر القدرية وغيرهم، ثم انصرف إلى الفقه، ومن تكون سنه عند وفاة النخعي كما ذكرناه لا يمكن له الاشتغال الطويل بالجدل قبل انصرافه إلى الفقه.

....

= فيترجح لهذه الأسباب وغيرها أن ميلاده قبل سنة ثمانين، ولعل الأرجح في ميلاده هو سنة سبعين. والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى بحذف[1].

وقال أيضاً قبل صفحة: وقد ألف في رواية أبي حنيفة لأحاديث عن جملة من الصحابة مباشرة جماعة من القدماء من أمثال أبي حامد محمد بن هارون الحضرمي، وأبي الحسين علي بن أحمد بن عيسى النهفقي، وأبي معشر عبد الكريم الطبري المقرى*، وأبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن أحمد السرخسي وغيرهم وإلى هذه الرواية في ميلاده يكون ميل هؤلاء*، وإلا ما ساغت روايتهم لبعض تلك الأحاديث في عداد مسموعاته عن بعض هؤلاء الصحابة مباشرة. والثلاثة الأول من مرويات ابن حجر في «المعجم المفهرس» كما أنها من مرويات ابن طولون في الفهرست الأوسط والأخير من مرويات سبط ابن الجوزي في الانتصار والترجيح.

وفي مادة الخزاز من أنساب ابن السمعاني (٥/ ١١١) المطبوع بالزنكغراف ذكر سنة سبعين في ميلاده، وإن ذكر في مواضع من الكتاب سنة ثمانين كميلاد له فلعله وزع الروايات على مواضع من الكتاب.

(١) فيتم أنه تابعي على التقديرين. (ز).

الفصل الرابع

في اسمه

اتفقوا على أنه النعمان. وفيه سر لطيف، إذ أصل النعمان الدم الذي به قوام البدن، ومن ثمة ذهب بعضهم إلى أنه الروح، فأبو حنيفة رحمه الله به قوام الفقه، ومنه منشأ مداركه وعويصاته، أو نبت أحمر طيب الريح الشقيق، أو الأرجوان بضم الهمزة، فأبو حنيفة رحمه الله طابت خلاله وبلغ الغاية كماله، أو فعلان من النعمة، فأبو حنيفة نعمة الله على خلقه، وتحذف أل عند التنكير والنداء والإضافة وحذفها لغير ذلك نادر، وقال ابن مالك: حذفها وإثباتها سيان، واعترض[١].

وعلى أن كنيته أبو حنيفة مؤنث حنيف، وهو الناسك أو المسلم لأن الحنف الميل، والمسلم مائل إلى الدين الحق.

قيل: سبب تكنيته بذلك ملازمته للدواة المسماة حنيفة بلغة العراق. وقيل: كانت له بنت تسمى بذلك. وردّ بأنه لا يعلم له ولد ذكر ولا أنثى غير حماد.

وأخرج الخطيب[٢] وغيره عنه بسند فيه انقطاع[٣]: لا يكنى بكنيتي بعدي إلا مجنون، قالوا: فرأينا عدة تكنوا بها وكانت عقولهم ضعيفة، وعورضوا بأنه كنى بها نحو ثلاثين كانوا أئمة كالإتقاني والدينوري، ولم يسبق[٤] بهذه الكنية، نعم وجدت لتابعين مجهولين.

---

(١) قال الصالحي في عقود الجمان (ص ٤١) ذكر صاحب الألفية: «النعمان» فيما إثبات «أل» فيه وحذفها سيان، وانتقده عليه الشيخ بدر الدين بن أم قاسم بما يراجع منه اهـ.

(٢) راجع تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣١).

(٣) وجه الانقطاع أنه روى ذلك عن إبراهيم بن عمر بن حماد بن أبي حنيفة، قال الصالحي في عقود الجمان (ص ٤١) في صحة ذلك عن الإمام أبي حنيفة نظر، وإبراهيم لم يدرك أبيه، فروايته منقطعة، وقد كنى بذلك جماعة من أئمة العلماء نحو ثلاثين، منهم الإمام العلامة المحقق الشيخ قوام الدين الإيقاني وأبو حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات اهـ.

(٤) قال الصالحي: ولا أعلم بعد الفحص الشديد أن أحداً من المشهورين تكنى بأبي حنيفة قبل الإمام النعمان بن ثابت، فهو أول من كنى بها منهم، وقولي «في المشهورين» احتراز من اثنين أدركا بعض الصحابة، قال الذهبي في آخر الميزان وابن حجر في اللسان: إنهما مجهولان. والله تعالى أعلم بالصواب.

الفصل الخامس

في صورته

قال أبو يوسف رحمه الله: كان ربعة من أحسن الناس صورة، وأبلغهم نطقاً، وأكملهم إيراداً، وأحلاهم نغمة، وأبينهم حجة على ما يريد[(١)].

وقال حماد ولده: كان طويلاً يعلوه سمرة، جميلاً حسن الوجه هيوباً، لا يتكلم إلا جواباً ولا يخوض فيما لا يعنيه[(٢)].

ولا تنافي بين كونه ربعة وبين كونه طويلاً لأنه قد يكون مع كونه ربعة أقرب إلى الطول كما حررته في شرح شمائل الترمذي.

وقال ابن المبارك: كان حسن الوجه حسن الثياب[(٣)].

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه. (ص ٣) وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٠).

(٢) عقود الجمان (ص ٤٣).

(٣) المصدر السابق.

الفصل السادس

فيمن أدركه من الصحابة رضي الله عنهم

صح كما قاله الذهبي: أنه رأى أنس بن مالك وهو صغير[١] وفي رواية: رأيته مراراً وكان يخضب بالحمرة، وأكثر المحدثين على أن التابعي من لقى الصحابي وإن لم يصحبه، وصححه النووي كابن الصلاح[٢] وجاء من طرق أنه روى عن أنس أحاديث ثلاثة، لكن قال أئمة الحديث: مدارها على من اتهمه الأئمة بوضع الأحاديث[٣]، وفي

(١) راجع تذكرة الحفاظ (١٦٨/١) ومناقب أبي حنيفة وصاحبيه (ص ٤١) كلاهما للذهبي، وعقود الجمان (ص ٤٩). وقال البيهقي في المدخل (١٥٧) وبقي أنس بن مالك بعد النبي ﷺ مدة كثيرة حتى احتاج الناس إليه وانتشر ذلك منه في العراق ثم في جميع الآفاق اهـ.

(٢) وممن أقر برؤيته أنساً ابن سعد، والدارقطني، وأبو نعيم الإصفهاني، وابن عبد البر، والخطيب، وابن الجوزي والسمعاني، وعبد الغني المقدسي، وسبط ابن الجوزي، وفضل الله التوربشتي، والنووي، واليافعي، والذهبي، والزين العراقي، والولي العراقي، وابن الوزير، وبدر الدين العيني، وابن حجر في فتيا له ـ نقلها السيوطي في تبييض الصحيفة ـ والشهاب القسطلاني، والسيوطي وابن حجر المكي، وغيرهم، فتكون محاولة إنكار كونه تابعياً مكابرة أو جهلاً بنصوص هؤلاء (تأنيب الخطيب ص ٥٩) أقول: رؤية الصحابي يكتفى به في كون الرجل تابعياً، وجعله الحافظ ابن حجر في شرح النخبة القول المختار، وقال النووي في تقريبه في تعريف التابعي: قيل: هو من صحب الصحابي، وقيل: من لقيه، وهو الأظهر اهـ.

قال السيوطي في تدريب الراوي: قال العراقي: وعليه (أي على القول الثاني) عمل الأكثرين من أهل الحديث، فقد ذكر مسلم وابن حبان الأعمش في طبقة التابعين: رأى أنساً وإن لم يصح له سماع المسند عنه، وعده أيضاً فيهم الحافظ عبد الغني، وعد فيهم يحيى بن أبي كثير لكونه لقي أنساً، وموسى بن أبي عائشة لكونه لقي عمرو بن حريث اهـ.

وكيف لا يكون ممن له رؤية الصحابي تابعياً، وقد قال النبي ﷺ: إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة. . . الحديث (رواه مسلم) فجعل النبي ﷺ أويساً خير التابعين ولم يعرف له رحمه الله شيء غير الرؤية، ونفس رؤية الصحابي فيه فضل كبير وإن لم يسمع منه كما ذكر المؤلف رحمه الله في ذلك حديثين في ابتداء الفصل الثاني عشر.

(٣) ذكر الأحاديث الثلاثة أبو المؤيد الخوارزمي في جامع المسانيد (٨٣/١ ـ ٨٤ ـ ٨٥) والموفق المكي في المناقب (ص ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠) والسيوطي في تبييض الصحيفة (ص ٢٧) والصالحي في عقود الجمان (ص ٥٤ ـ ٥٦) وهي هذه: [١] طلب العلم فريضة على كل مسلم. [٢] الدال على الخير كفاعله. [٣] إن الله يحب إغاثة اللهفان.

فتاوى شيخ الإسلام ابن حجر أنه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين فهو من طبقة التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له كالأوزاعي بالشام والحمادين بالبصرة والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة الشريفة والليث بن سعد بمصر انتهى[1].

وحينئذ فهو من أعيان التابعين الذين شملهم قوله تعالى: ﴿والَّذينَ اتبعُوهُم بإحسَان رضي الله عنهُم ورضوا عنهُ وأعدَّ لهُم جناتٍ تجري تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً ذلك الفَوز العظيم﴾.

وذكر جماعة ممن صنف في المناقب وغيرهم أنه سمع أيضاً من جماعة من الصحابة غير أنس رضي الله تعالى عنه.

منهم عمرو بن حريث، واعترض بأن الصحيح أنه مات سنة خمس وثمانين، والقول بأنه عاش إلى سنة ثمان وتسعين لم يثبت، وأجيب بأن الصواب الذي عليه جمهور المحدثين واستقر عليه العمل أن الصغير إذا ميز صح سماعه وإن كان ابن خمس سنين[2].

= والحديث الأول أخرجه عن أنس بن مالك ابن ماجه في سننه (باب فضل العلماء والحث على طلب العلم) قال السيوطي في تبييض الصحيفة ناقلاً عن الجمال المزي: إنه روى من طرق يبلغ رتبة الحسن، ثم قال السيوطي: وعندي أنه بلغ رتبة الصحيح، وإني وقفت له على نحو خمسين طريقاً، وقد جمعتها في جزء اهـ. وهو مروي عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد، وابن عباس والحسين بن علي أيضاً رضي الله عنهم كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٩ ـ ١٢٠) والحديث الثاني والثالث أخرجهما البزار كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٣٧) وروى الطبراني حديث «الدال على الخير كفاعله» عن سهل بن سعد كما في مجمع الزوائد بعد حديث أنس رضي الله عنه.

(١) ذكر هذه الفتيا الحافظ الجلال السيوطي في تبييض الصحيفة في أوائل الكتاب والصالحي في عقود الجمان (ص ٥٠).

(٢) وقد بوب البخاري في صحيحه «باب متى يصح سماع الصغير» ثم أخرج حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أقبلت على أتان ناهزت الإحتلام الحديث، وحديث محمود بن الربيع قال: عقلت مجة من النبي ﷺ في وجهي وأنا ابن خمس من دلو. وقد ذكرنا من قبل الإختلاف الواقع في ميلاد أبي حنيفة رحمه الله تعالى فقيل سنة ٦١ هـ، وقيل سنة ٧٠ هـ، وقيل سنة ٨٠ هـ، وهو الأشهر وعليه الأكثر، ونسب القول الأول إلى الشذوذ، وعلى القول الأول والثاني يرتفع كثير من الإشكالات التي تورد على لقاء أبي حنيفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم.
قال صاحب تأنيب الخطيب: وذكر أبو نعيم الأصفهاني في جملة من رأي أبو حنيفة من الصحابة: أنساً وعبد الله بن الحارث، وابن أبي أوفى كما روى سبط ابن الجوزي عن ذاكر بن=

ومنهم عبد الله بن أنيس الجهني، واعترض بأنه مات سنة أربع وخمسين وأجيب بأن هذا اسم لخمسة من الصحابة[١] فلعل من روى عنه أبو حنيفة واحد غير الجهني المشهور، وردّ بأن غير هذا لم يدخل الكوفة. وأخرج بعضهم بسنده إلى أبي حنيفة قال: ولدت سنة ثمانين وقدم عبد الله بن أنيس صاحب رسول الله ﷺ الكوفة سنة أربع وتسعين ورأيته وسمعت منه عن رسول الله ﷺ: حبك الشيء يعمي ويصم[٢].

واعترض بأن هذا السند مجهول، وبأن الذي دخل الكوفة ابن أنيس الجهني، وقد تقرر أنه مات قبل ولادة أبي حنيفة بدهر.

ومنهم عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي بفتح الجيم وسكون الزاي وبالهمزة والزبيدي بضم الزاي مصغراً[٣].

= كامل عن أبي علي الحداد عنه في كتابه الانتصار والترجيح، هذا على تقدير أن ميلاد أبي حنيفة سنة ثمانين، وأما إذا كان ميلاده سنة إحدى وستين أو سنة سبعين كما في روايتي ابن داود وابن حبان فتكون دائرة رؤيته للصحابة أوسع، وقد توسع في بيان من عاصره من الصحابة على الرواية الأولى أبو القاسم ابن أبي العوام في كتابه «فضائل أبي حنيفة وأصحابه» اهـ.

(١) راجع الإصابة للحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/٢٧٨.

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه مرفوعاً، وسكت عليه، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (حديث رقم ٣٨١) وقد بالغ الصغاني وحكم عليه بالوضع وقد ضعفه غير واحد ويكفينا سكوت أبي داود عليه، فليس بموضوع بل ولا شديد الضعف، فهو حسن اهـ. وذكره صاحب جامع المسانيد بثلاث أسانيد عن أبي داود الطيالسي عن أبي حنيفة عن عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه. (راجع ١/٧٨ ـ ٧٩).

(٣) وذكر صاحب جامع المسانيد من مرويات أبي حنيفة حديثاً عن عبد الله بن جزء فقال: قال أبو حنيفة رحمه الله: ولدت سنة ثمانين وحججت مع أبي سنة ست وتسعين وأنا ابن ست عشرة سنة، فلما دخلت المسجد الحرام رأيت حلقة عظيمة فقلت لأبي: حلقة من هذه؟ قال حلقة عبد الله بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ، فتقدمت فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب اهـ.

وذكر هذا الحديث ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» (باب جامع في فضل العلم) بسنده عن أبي يوسف قال: سمعت أبا حنيفة يقول: حججت مع أبي الخ، ثم قال: قال أبو عمر: ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي أن أبا حنيفة رأى أنس بن مالك وعبد الله بن الحارث بن جزء اهـ. وقال ابن العماد في شذرات الذهب (١/٢٢٨): ذكر الحافظ العامري في تأليفه «الرياض المستطابة» وكذلك ملخصه صالح بن صلاح العلائي ومن خطه نقلت إن الإمام أبا حنيفة رأى عبد الله بن الحارث بن جزء الصحابي وسمع منه قوله ﷺ: من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب اهـ. وقال البيهقي في المدخل (ص ١٧٠): ويقال إنه لقي عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي وأنس بن مالك رضي الله عنه وكان ذا رأي ولسان في الجدل اهـ. فهذا يرد على من أنكر لقاءه.

واعترض بأنه مات سنة ست وثمانين بمصر أي بسقط أبي تراب قرية من الغربية قريب سمنود والمحلة وكان مقيماً بها.

وأما ما جاء عن أبي حنيفة من أنه حج مع أبيه سنة ست وتسعين وأنه رأى عبد الله هذا يدرس بالمسجد الحرام وسمع منه حديثاً فرده جماعة منهم الشيخ قاسم الحنفي من مشايخ مشايخنا بأن سند ذلك فيه قلب وتحريف، وفيه كذاب إتفاقاً وبأن ابن جزء مات بمصر ولأبي حنيفة ست سنين، وبأن عبد الله بن جزء، لم يدخل الكوفة في تلك المدة.

ومنهم جابر بن عبد الله، واعترض بأنه مات سنة تسع وسبعين قبل ولادة أبي حنيفة بسنة، ومن ثمة قالوا في الحديث المروي عن أبي حنيفة عن جابر أنه ﷺ أمر من لم يرزق ولداً بكثرة الاستغفار والصدقة ففعل فولد له تسعة ذكور إنه حديث موضوع[1].

ومنهم عبد الله بن أبي أوفى، وتعقب بأنه مات سنة خمس أو سبع وثمانين، وأجيب بما مر في عمرو بن حريث، ومن ثمة جاء عن أبي حنيفة أنه روى عن عبد الله هذا الحديث المتواتر: من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة أي بفتح الميم بنى الله له بيتاً في الجنة[2] قال بعضهم: لعل أبا حنيفة سمعه منه وعمره خمس أو سبع.

ومنهم واثلة بكسر المثلثة ابن الأسقع بالقاف، روى عنه حديثين، لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك[3]، دع ما يريبك إلى ما لا

---

(١) ذكر هذا الحديث عن أبي حنيفة عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه صاحب جامع المسانيد (١/ ٨٧) وقال: أخرجه القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي في مسنده والحافظ الحسين بن محمد بن خسرو البلخي في مسنده.

(٢) هذا الحديث أخرجه الشيخان وآخرون بألفاظ متقاربة في المعنى وإن كان بعضها متفاوتاً في اللفظ، وهو مروي عن كثير من الصحابة، منهم أبو بكر وعثمان وعلي وعائشة وابن عمر وابن عمرو وأبو أمامة رضي الله تعالى عنهم (راجع مجمع الزوائد) وذكره صاحب جامع المسانيد عن أبي حنيفة عن عبد الله بن أبي أوفى بأربعة أسانيد (١/ ٥٢)، وعبد الله بن أبي أوفى توفي بالكوفة سنة ٨٧ هـ، وعلى هذا يكون عمر أبي حنيفة رحمه الله تعالى يومئذ عند وفاة ابن أبي أوفى سبع سنين وعلى قول ابن علية (الذي قال إن ميلاده سنة ٦١ هـ) خمساً وعشرين سنة وهو بالكوفة، ومذهب المحدثين أن سماع ابن خمس سنين صحيح، فلا وجه لمنع صحة رواية أبي حنيفة عن عبد الله بن أبي أوفى. والله تعالى أعلم. (جامع المسانيد ٢/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨).

(٣) هذا الحديث مروي ومعروف عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله تعالى عنه ـ، رواه الترمذي في=

يريبك[(١)] الأول رواه الترمذي من وجه آخر وحسنه، والثاني جاء من رواية جمع من الصحابة وصححه الأئمة، واعترض بأنه مات سنة ثلاث أو خمس وثمانين، وجوابه ما مر آنفاً.

ومنهم معقل بن يسار، واعترض بأنه مات في إمارة معاوية رضي الله عنه ومعاوية مات سنة ستين[(٢)].

ومنهم أبو الطفيل عامر بن واثلة، ووفاته سنة ثنتين ومائة بمكة وهو آخر الصحابة موتاً[(٣)].

ومنهم عائشة بنت عجرد، واعترض بأن حاصل كلام الذهبي وشيخ الإسلام ابن حجر أن هذه لا صحبة لها وأنها لا تكاد تعرف، وبذلك ردّ ما روى أن أبا حنيفة روى عنها هذا الحديث الصحيح: أكثر جند الله تعالى في الأرض الجراد لا آكله ولا أحرمه[(٤)].

= أبواب صفة القيامة عن مكحول عن واثلة رضي الله تعالى عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة أنه رواه الطبراني وابن أبي الدنيا أيضاً اهـ.

(١) هذا الحديث مروي عن جمع من الصحابة كما ذكره السيوطي في تبييض الصحيفة، وقال: متنه صحيح، وقد صححه الترمذي وابن حبان والحاكم والضياء من حديث الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما اهـ. قلت: أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب البيوع (٢/ ١٣) وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، وهو مروي عن أنس وابن عمر ووابصة بن معبد أيضاً كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد، وهو مروي عن واثلة أيضاً رواه عنه أبو حنيفة وغيره، وذكر الهيثمي (١٠/ ٢٩٤) روايتين عن واثلة بهذا اللفظ.

(٢) قال الكردري في مناقب أبي حنيفة (ص ١٨): ذكر في المناقب أنه [يعني أبا حنيفة] قال: سمعت معقلاً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: علامات المؤمن ثلاث: إذا قال صدق، وإذا وعد وفى، وإذا أؤتمن أدى، وعلامات المنافق ثلاث: إذا قال كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، ثم استشكل الكردري لقاء أبي حنيفة معقلاً وقال إن معقلاً مات بالبصرة في زمن زياد بن عبد الله أو معاوية رضي الله عنه فيكون موته سنة سبع وستين أو سبعين، وولادة الإمام سنة ثمانين فلا يتحقق الملاقاة، ثم أجاب وقال: يتحقق السماع على قول من قال أنه (يعني أبا حنيفة) ولد سنة إحدى وستين ومات (معقل) سنة سبع (بعد ستين) فيكون الإمام يوم السماع ابن ست سنين، فيتحقق السماع كما ذكرنا، على أن الحمل على الإرسال ممكن الخ ما قال.

(٣) لما كان وفاة أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه في سنة ١٠٢ هـ كان من الممكن الذي يغلب على الظن لقاء أبي حنيفة إياه ـ خاصة في سفر حجه الذي كان مع أبيه في سنة ٩٦ هـ ـ ولا حاجة إلى إنكار ما أثبته راوي الاتصال مع المعاصرة وإمكان اللقاء.

(٤) قوله ﷺ: أكثر جند الله في الأرض الجراد، لا آكله ولا أحرمه. قال السيوطي في تبييض الصحيفة: هذا الحديث متنه صحيح، أخرجه أبو داود من حديث سلمان، وصححه الضياء في المختارة اهـ. =

ومنهم سهل بن سعد، ووفاته سنة ثمان وثمانين وقيل بعدها.

ومنهم السائب بن خلاد بن سويد، ووفاته سنة إحدى وتسعين.

ومنهم السائب بن يزيد بن سعيد، ووفاته سنة إحدى أو اثنتين أو أربع وتسعين.

ومنهم عبد الله بن بسرة، ووفاته سنة ست وتسعين.

ومنهم محمود بن الربيع، ووفاته سنة تسع وتسعين.

ومنهم عبد الله بن جعفر، واعترض بأنه مات سنة ثمانين بأرض حمص.

ومنهم أبو أمامة، واعترض بأنه مات سنة إحدى وثمانين بأرض حمص.

تنبيه:

قال بعض متأخري المحدثين ممن صنف في مناقب الإمام أبو حنيفة كتاباً حافلاً ما حاصله: جزم[1] خلائق من أئمة الحديث بأنه لم

= قلت: أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة (باب في أكل الجراد) وأشار إلى إرساله حيث قال: رواه المعتمر عن أبيه عن أبي عثمان عن النبي ﷺ ولم يذكر سلمان اهـ، ورواه أبو حنيفة عن عائشة بنت عجرد رضي الله عنها، كما ذكر الحافظ مرتضى الزبيدي في «عقود الجواهر المنيفة» وقال: أبو حنيفة سمع عائشة بنت عجرد تقول: قال رسول الله ﷺ: أكثر جند الله تعالى في الأرض الجراد، لا آكله ولا أحرمه. ثم قال الزبيدي: كذا رواه ابن خسرو، وسماع الإمام من ابنة عجرد ثابت نقله ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن يحيى بن معين، وأخرج أبو داود من حديث سلمان الفارسي قال: وروي عنه مرسلاً. وأخرجه ابن ماجه مسنداً اهـ. قلت: أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيد (باب صيد الحيتان).

قال ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ٥٠٥): روى يحيى بن معين أن أبا حنيفة الفقيه سمع عائشة تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أكثر جنود الله في الأرض الجراد لا آكله ولا أحرمه، وقد روي عن أبي حنيفة عن عثمان بن راشد عن عائشة بنت عجرد عن ابن عباس وهي من التابعين ذكرها كثير من العلماء اهـ. وثبت مما ذكره ابن الأثير أن عائشة بنت عجرد رضي الله عنها معروفة لكن اختلف في كونها صحابية أو تابعية، فعدها يحيى بن معين في الصحابيات وآخرون ـ وهم الأكثرون ـ في التابعين على رغم من ينكر وجودها. أو يقول: إنها لا تكاد تعرف.

(١) قلت: جزمهم هذا غير مجزوم به، فقد دريت مما ذكرنا في التعليق أن يحيى بن معين أثبت لقاء أبي حنيفة عائشة بنت عجرد وروايته عنها رضي الله تعالى عنها. وأثبت ابن عبد البر لقاءه عبد الله بن جزء الزبيدي وروايته عنه، كما أثبته ابن العماد أيضاً في شذرات الذهب، وأثبت آخرون لقاء غيرهما من الصحابة وإدراكه لجمع من الصحابة أقربه المحققون، وراوي الاتصال مقدم على راوي الإرسال والانقطاع، كما قال المؤلف، وإمكان اللقاء والمعاصرة يكتفى به في=

يسمع من أحد من الصحابة شيئاً، واحتجوا بأشياء، منها أن أئمة أصحابه الأكابر كأبي يوسف ومحمد وابن المبارك وعبد الرزاق وغيرهم لم ينقلوا عنه شيئاً من ذلك، ولو كان لنقلوه، فإنه مما يتنافس فيه المحدثون ويعظم افتخارهم به، فإن كل سند فيه أنه سمع من صحابي لا يخلو من كذاب وبأشياء أخر، قالوا وأما رؤيته لأنس وإدراكه لجماعة من الصحابة بالسن فصحيحان لا شك فيهما.

وما وقع للعيني أنه أثبت سماعه من الصحابة رده عليه صاحبه الشيخ الحافظ قاسم الحنفي، والظاهر أن سبب عدم سماعه ممن أدركه من الصحابة أنه أول أمره اشتغل بالاكتساب حتى أرشده الشعبي لما رأى من باهر نجابته إلى الاشتغال بالعلم، ولا يسع من له أدنى إلمام بعلم الحديث أن يذكر خلاف ما ذكرته. انتهى حاصل كلام ذلك المحدث.

وقاعدة المحدثين أن راوي الاتصال مقدم على راوي الإرسال والانقطاع لأن معه زيادة علم تؤيد ما قاله العيني، فاحفظ ذلك فإنه مهم[1].

= رواة الاتصال على مذهب الإمام مسلم بن الحجاج وغيره. ومن المعلوم أن مثل الإمام أبي حنيفة يحرص ويرغب في لقاء أهل العلم وأهل الفضل والفضيلة، فكيف يتصور أنه أدرك أصحاب النبي ﷺ مع كون بعضهم في الكوفة فلم يجتهد للقاءهم، وكيف يتصور أنه لقيهم ولم يأخذ منهم، ويدل على حرصه رحمه الله تعالى أنه لما رأى حلقة في المسجد الحرام سأل أباه حلقة من هذه؟ فلما أخبر أنها حلقة الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث بن جزء تقدم إليه وسمع منه الحديث، فالذين يثبتون لقاءه أنساً رضي الله عنه وينفون السماع منه والذين يقرون بأنه أدرك بالسن جماعة من الصحابة وينكرون لقاءه إياهم وسماعه منهم إنكارهم هذا شهادة على النفي، واحتجاجهم بأنه لم يذكر هذا اللقاء والسماع فلان وفلان ليس بشيء، وحجتهم داحضة لأنه استدلال بالعدم، قال الكردري في مناقبه (ص ٢٥): فالحاصل أن جماعة من المحدثين أنكروا ملاقاته من الصحابة رضي الله عنهم، وأصحابه أثبتوه بالأسانيد الصحاح والحسان، وهم أعرف بأحواله منهم، والمثبت أولى من النافي اهـ.

(١) جمع أبو معشر عبد الكريم المقرىء المتوفى سنة ٤٧٨ هـ رحمه الله تعالى جزءاً فيما رواه أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الصحابة، ونقل السيوطي في تبييض الصحيفة الأحاديث التي ذكرها أبو معشر في جزءه وقال قبل إيرادها: حاصل ما ذكر هو (الحافظ ابن حجر وغيره) الحكم على أسانيد ذلك بالضعف وعدم الصحة لا بالبطلان، وحينئذ فسهل الأمر في إيرادها لأن الضعيف يجوز روايته ويطلق أنه وارد كما صرحوا، فلنوردها ونتكلم عليها حديثاً حديثاً (ثم ذكر السيوطي تلك الأحاديث) وظهر من كلام السيوطي أن أسانيدها ضعيفة لا يحكم عليها بالبطلان، وعلى هذا فقول من قال: «أن كل سند فيه أنه سمع من صحابي لا يخلو من كذاب» مبالغة واجتراء في غير محله.

الفصل السابع

في ذكر شيوخه

هم كثيرون لا يسع هذا المختصر ذكرهم، وقد ذكر منهم الإمام أبو حفص الكبير أربعة آلاف شيخ، وقال غيره: له أربعة آلاف شيخ من التابعين، فما بالك بغيرهم(١).

---

(١) لا يشك العارف بتواريخ الأمصار والواقف على أخبار الرواة وآثار الأخيار أن ما ذكر أصحاب السير والمناقب في تذكرة الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من كثرة شيوخه ليس بمستبعد، لأن البلد الذي ولد به ونشأ ـ أعني الكوفة ـ كان مركزاً كبيراً للفقهاء والمحدثين، وهذا مما لا ينكره إلا الجاهل بتواريخ البلدان وسير الأعلام وتراجم الأعيان.

ولما فتح العراق في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أمر ببناء الكوفة فبنيت سنة ١٧ هـ وأسكن حولها الفصح من قبائل العرب، وبعث عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه إلى الكوفة ليعلم أهلها القرآن والسنة ويفقههم في الدين، قائلاً لهم: وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي، ومنزلة عبد الله في العلم عظيمة جداً في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. فقد قال النبي ﷺ: تمسكوا بعهد ابن أم عبد. وقال ﷺ: من أراد أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد. وقال عمر رضي الله عنه: كنيف ملىء علماً، فعني ابن مسعود رضي الله عنه بتعليم أهل الكوفة القرآن والسنن وتفقيههم من بناء الكوفة إلى أواخر خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ غاية لا مزيد لها، إلى أن امتلأت الكوفة بالقراء والمحدثين والفقهاء بحيث أبلغ ثقات أهل العلم عدد من تفقه عليه وعلى أصحابه نحو أربعة آلاف عالم، وكان هناك معه أمثال سعد بن أبي وقاص، وحذيفة، وعمار، وسلمان، وأبي موسى من أصفياء الصحابة رضي الله عنهم، يساعدون في مهمته، حتى إن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما انتقل إلى الكوفة سُرَّ من كثرة فقهائها، وقال رحم الله ابن أم عبد قد ملأ هذه القرية علماً. وفي لفظ: أصحاب ابن مسعود سُرج هذه القرية. ولم يكن علي بن أبي طالب بأقل عناية بالعلم من ابن مسعود رضي الله عنهما، فوالى تفقيههم إلى أن أصبحت الكوفة لا مثيل لها في أمصار المسلمين في كثرة المحدثين والفقهاء والقائمين بعلوم القرآن وعلوم اللغة العربية فيها بعد أن اتخذها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة وبعد أن انتقل إليها أصفياء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وذكر العجلي أنه نزل الكوفة من الصحابة ألف وخمسمائة من أصحاب النبي ﷺ، وقال مسروق ابن الأجدع التابعي الكبير: وجدت علم أصحاب محمد ﷺ ينتهي إلى ستة، إلى علي، وعبد الله، وعمر، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء، وأبي بن كعب، ثم وجدت علم هؤلاء الستة انتهى إلى علي بن أبي طالب وعبد الله رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وذكر أبو محمد الرامهرمزي في «الفاصل» عن أنس بن سيرين قال: أتيت الكوفة فرأيت فيها أربعة آلاف يطلبون=

منهم الليث بن سعد، وكذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة على ما

= الحديث وأربع مائة قد فقهوا، وذكر أيضاً الرامهرمزي في «الفاصل» عن عفان قال: قدمنا الكوفة فأقمنا أربعة أشهر ولو أردنا أن نكتب مائة ألف حديث لكتبناها، فما كتبنا إلا قدر خمسين ألف حديث، ثم اعلم أن أحاديث الحرمين الشريفين مشتركة بين علماء الأمصار في تلك الطبقات لكثرة حجهم، وكم بينهم من حج أربعين حجة وعمرة وأكثر، ومنهم أبو حنيفة رحمه الله حج خمساً وخمسين حجة، ويقول الإمام البخاري رحمه الله تعالى: لا أحصي ما دخلت الكوفة في طلب الحديث حينما يذكر عدد ما دخل في الأمصار، وقد دونت العربية في الكوفة والبصرة، فأهل الكوفة راعوا تدوين جميع اللهجات العربية ليستعينوا بذلك على فهم أسرار الكتاب والسنة ووجوه القراءة، وأهل البصرة انتهجوا مسلك التخير من اللهجات، فعلم بذلك مركز الكوفة في الحديث والفقه، ومما يدل على تفوق أهل الكوفة في القرآن واعتناء أهلها بكتاب الله تعالى أن الأئمة السبعة من القراء الكرام ثلاثة منهم من أهل الكوفة أعني عاصم بن أبي النجود وحمزة بن حبيب وعلي بن حمزة الكسائي، وزد خلفاً العاشر من بين العشرة[1]. وذكر محمد بن يوسف الصالحي في عقود الجمان «ص ٣١٢» أن ابن هبيرة لما ضرب أبا حنيفة رحمه الله تعالى ركب أبي حنيفة إلى مكة، وكان ذلك في سنة ١٣٠ هـ، فأقام بمكة إلى أن صارت الخلافة للعباسية فقدم أبو حنيفة الكوفة في زمن أبي جعفر، وقد ولي أبو جعفر الخلافة في أول سنة ١٣٧ هـ فكان قيام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في مكة المكرمة في هذه المرة قريباً من سبع سنين، سوى ما كان يأتيها حاجاً في كل سنة حتى بلغ عدد حجاته خمساً وخمسين حجة، ومعلوم أن الحرمين الشريفين لم يزل الحجاج والعمار يأتونهما من كل فج عميق، وفيهم مفسرون ومحدثون وفقهاء ومجتهدون، فلو أخذ أبو حنيفة المولع بعلوم الكتاب والسنة في كل حجة من سبعين شيخاً يقرب عدد الشيوخ إلى أربعة آلاف، سوى من أخذ عنه في الكوفة الممتلئة بالعلوم وسوى ما أخذ من الذين قدموا مكة المكرمة في غير موسم الحج في قيامه هناك سبع سنين، قال الذهبي في مناقب أبي حنيفة وصاحبيه «ص ١١٠»: وروي عنه من المحدثين والفقهاء عدة لا يحصون، فمن أقرانه مغيرة بن مقسم وزكريا ومسعر بن كدام وسفيان الثوري ومالك بن مغول ويونس بن أبي إسحاق، وممن بعدهم زائدة وشريك والحسن بن صالح وأبو بكر وابن عياش وحفص بن غياث وجرير بن عبد الحميد وأبو معاوية والمحاربي وحفص بن عبد الرحمن السلمي وعبيد الله بن موسى وأبو أسامة وابن نمير وجعفر بن عون وإسحاق بن سليمان الرازي، واطلب تراجمهم من تذكرة الحفاظ للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني رحمهم الله تعالى.

وذكر الصالحي في الباب الرابع من عقود الجمان بعض شيوخ الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى فبلغ عددهم مائتين وخمسين شيخاً فصاعداً، وذكر الجمال المزي في تهذيب الكمال ونقل عنه الحافظ جلال الدين السيوطي في تبييض الصحيفة ستة وسبعين رجلاً في مشايخ أبي حنيفة رفع الله درجاتهم، وفيهم كبراء التابعين من أصحاب الحديث والفقه روى عنهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى الحديث وأخذ عنهم العلم، وهم رواة الحديث وتلاميذ علي والعبادلة الأربعة وجابر بن سمرة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن أبي أوفى وعائشة وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وأبي الطفيل وأبي قتادة وأبي سعيد الخدري وسهل بن سعد والمسور بن المخرمة وعدي=

(١) راجع فقه أهل العراق وحديثهم للشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى.

ذكره الدارقطني وجماعة آخرهم أبو محمد العيني، بل قال بعضهم إنه رأى في مسند الإمام أبي حنيفة التحديث عن مالك، وهذان الإمامان من جملة الآخذين عنه.

وعدد بعض المترجمين مشايخه بما يطول ذكره، فلذا حذفته.

= بن حاتم والمغيرة بن شعبة وأنس وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين، وفيهم من هو معروف بإكثار الحديث خصوصاً أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وعائشة رضوان الله عليهم، فمن كان بهذه المكانة من رواية الحديث حيث أنه ليس بينه وبين النبي ﷺ إلا صحابي وتابعي من كبراء التابعين وثقاتهم ووصل إليه الحديث بهذه الأسانيد المتصلة الصحيحة القليلة الوسائط ثم بني عليها مذهبه واجتهد واستنبط كان مذهبه أقوى وأرجح ممن سمع الحديث بأربع وسائط فصاعداً وتطرق الضعف إلى حديثه لأجل كثرة الوساط. وناهيك من شيوخ أبي حنيفة ـ وكفى بهم فخراً ـ عطاء بن أبي رباح الذي أدرك مائتي صحابي، وعامر الشعبي الذي يقول فيه الذهبي أنه أكبر شيخ لأبي حنيفة وقد أدرك خمسمائة صحابي، وسماك بن حرب فإنه أدرك ثمانين صحابياً وأبو إسحاق السبيعي وقد أدرك ثمانية وثلاثين صحابياً، وطاوس الذي أدرك خمسين صحابياً، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي روى عن جمع كثير من الصحابة، وربيعة بن أبي عبد الرحمن الذي يقول فيه مالك بن أنس: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة، ونافع مولى بن عمر، ومحمد بن علي بن الحسين الباقر، وقتادة بن دعامة، وهشام عروة، ويحيى بن سعيد الأنصاري ـ الذي يقول فيه عبد الرحمن الجمحي لولا الزهري ويحيى ابن سعيد لذهب كثير من السنن ـ وآخرون من الذين أدركوا الصحابة ورووا عنهم.

ولا يرتاب العارف بتراجم الأعيان أن الإمام أبي حنيفة كان كبير الشأن في الحديث كما كان جليلاً في الفقه والإجتهاد، وروى الحديث عن كبراء التابعين الثقات الأثبات، وروي عنه ثقات أثبات حفاظ الحديث من المكثرين في الرواية الذي يقتدي بهم في ميدان صناعة الحديث، وهم معروفون في كتب أسماء الرجال، على رغم أنف من يقول: إن أبا حنيفة لم يكن له كثير علم بالحديث أو إنه كان يتيماً ومسكيناً في هذا العلم، ولا يعبأ بقول هؤلاء الجازفين الحاقدين المبغضين لأبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ، فإن هؤلاء لا يطالعون كتب أسماء الرجال ولا يلاحظون ما أثني على الإمام أبي حنيفة الأئمة الكبار ولا يلتفتون إلى أن كبراء أصحاب الحديث كانوا يأخذون بقوله ويفتون به، ولو كان فقهه رأياً محضاً مخترعاً من عند نفسه ـ كما يزعمه هؤلاء ـ لما أفتي بقوله وكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وغيرهما من المحدثين وكان يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل من غلاة الحنفية ـ كما قاله الذهبي في رسالته «معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد» وابن معين قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث، وقال الإمام أحمد بن حنبل: كل حديث لا يعرفه ابن معين فليس هو بحديث، وفي رواية فليس هو ثابتاً، وقال العجلي: ما خلق الله تعالى أحداً أعرف بالحديث من يحيى بن معين (راجع ترجمة ابن معين من تهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٠) فلو كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله غير عالم بالحديث صاحب فقه غير مأخوذ من الكتاب والسنة ما قلده مثل هذا الإمام الجليل أعني يحيى بن معين رحمهم الله تعالى.

قال ابن خلدون في مقدمته ـ وهو يذكر أبا حنيفة ـ ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه فيما بينهم والتعويل عليه واعتباره رداً وقبولاً (ص ٤٤٥).

في ذكر الآخذين عنه الحديث والفقه

قيل استيعابه متعذّر لا يمكن ضبطه ومن ثمة قال بعض الأئمة لم يظهر لأحد من أئمة الإسلام المشهورين مثل ما ظهر لأبي حنيفة من الأصحاب والتلاميذ ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وبأصحابه في تفسير الأحاديث المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضاء والأحكام جزاهم الله خيراً، وقد ذكر منهم بعض متأخري المحدّثين في ترجمته نحو الثمانمائة مع ضبط أسمائهم ونسبهم بما يطول ذكره[1].

---

(١) اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه: أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى كما امتاز بكثرة من أخذ منهم كذلك امتاز بكثرة الآخذين عنه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وذكر محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي رحمه الله تعالى في كتابه عقود الجمان الذين أخذوا عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى فقال: الباب الخامس في ذكر بعض الآخذين عنه الحديث والفقه من أهل مكة والمدينة ودمشق والبصرة وواسط والموصل والجزيرة والرقة والرملة ومصر واليمن واليمامة والبحرين والبغداد والأهواز وكرمان وأصبهان وحلوان وهمدان ونهاوند والري وقومس والدامغان وطبرستان وجرجان ونيسابور وسرخس ونسا ومرو وبخارى وسمرقند وترمذ وهراة وقهستان وخوارزم وسجستان والمدائن والمصيصة وحمص وغير ذلك من بلاد الإسلام.

ثم قال: واستيعاب الآخذين عن الإمام أبي حنيفة لا يمكن حصره، قال الحافظ أبو محمد الحارثي: والذين رووا عنه أكثر ممن روي عن الحكم بن عتيبة وابن أبي ليلى وابن شبرمة وسفيان الثوري وشريك والحسن بن صالح ويحيى بن سعيد وربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك ابن أنس وأيوب السختياني وابن عون وسليمان التيمي وهشام الدستوائي وسعيد بن أبي عروبة ومعمر بن راشد والشافعي وأحمد وإسحاق وغيرهم من أئمة الإسلام.

ثم قال الصالحي: وأنا مورد جماعة من الأعيان الآخذين عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، نحو الثمانمائة مما ذكره الحافظ أبو محمد الحارثي والقاضي أبو القاسم بن أبي العوامك والخطيب وأبو المؤيد الخوارزمي والإمام محمد بن محمد الكردري وشيخ الحفاظ أبو الحجاج المزي والقاضي أبو محمد العلامة العيني والعلامة قاسم الحنفي وعند كل ما ليس عند الآخر، ورتبته على حروف المعجم، وبدأت بمن اسمه محمد تبركاً باسم النبي ﷺ، والمستعان هو الله تعالى.

ثم سرد الصالحي أسماء تلاميذ الإمام رحمه الله تعالى في ستين صفحة، فراجع كتابه إن شئت. وسرد الشيخ علي بن سلطان محمد القاري رحمه الله تعالى مائة وخمسين تقريباً، ثم=

....

= قال في آخره: هذا الذي اختصرناه من مناقب الكردري رحمه الله تعالى، وقال (الكردري) في آخره: فهؤلاء سبع مائة وثلاثون رجلاً من مشايخ البلدان وأعلام ذلك الزمان، أخذوا عنه العلم ووصل إلينا بسعيهم واجتهادهم، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء يوم المعاد اهـ (ذيل الجواهر المضية ص ٥٥٦).

وبهؤلاء الاعلام الذين أخذوا العلم عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى انتشر علمه في الآفاق، لولاهم لما خرج علمه من الكوفة ولا شاع في مشارق الأرض ومغاربها، وإنما يعرف قدر الرجل وفضله بأصحابه وتلاميذه، وقد أظهر هذه الحقيقة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى حيث قال في الليث إمام مصر: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به (رحمهم الله تعالى) ذكره الحافظ في التهذيب: (٨/ ٤٦٣).

وحسبك أنه أخذ من الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى إبراهيم بن طهمان وأسباط بن محمد وعبد الرزاق وحفص بن عبد الرحمن وحمزة الزيات وزفر بن الهذيل وعبد الله بن المبارك وسفيان الثوري وفضل بن دكين ووكيع بن الجراح ويزيد بن زريع ويزيد بن هارون ومعافى بن عمران وأبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني ومكي بن إبراهيم والضحاك بن مخلد ومحمد بن عبد الله الأنصاري ـ رحمهم الله تعالى وهؤلاء الثلاثة ـ مكي بن إبراهيم والضحاك بن مخلد ومحمد بن عبد الله الأنصاري روى عنهم البخاري رحمه الله تعالى في جامعه عشرين حديثاً ثلاثياً، قال شيخنا الكاندهلوي رحمه الله تعالى في مقدمة لامع الدراري: إن في صحيح البخاري إثنين وعشرين حديثاً من الثلاثيات، وإنهم يعدون ثلاثيات البخاري بالاهتمام. . . ولا يدرون أن العشرين منها عن تلامذة الإمام أبي حنيفة أو تلامذة تلامذته، فإنه رضي الله تعالى عنه أخرج منها إحدى عشرة رواية عن مكي بن إبراهيم وهي الأربع الأولى والسادسة والسابعة والحادية عشر والثانية عشر والرابعة عشر والسابعة عشر والتاسعة عشر، وأخرج البخاري الست منها عن أبي عاصم النبيل ضحاك بن مخلد وهو أيضاً من أصحاب الإمام أبي حنيفة ومروياته الثلاثيات: الخامسة والثامنة والتاسعة والخامسة عشر والثامنة عشر والحادية والعشرون، وأخرج ثلث روايات من الثلاثيات عن محمد بن عبد الله الأنصاري، وحكى الخطيب: أنه كان عن أصحاب زفر وأبي يوسف، أخرج عنه البخاري من الثلاثيات الرواية العاشرة والسادسة عشر والعشرين، ولم يبق إلا اثنتان إحداهما الثالثة عشر أخرجها عن عصام بن خالد الحمصي وثانيتهما وهي الثانية والعشرون أخرجها عن خلاد بن يحيى الكوفي (راجع الفائدة الخامسة من مقدمة لامع الدراري).

الفصل التاسع

في مبدأ أمره ونشأته وسبب اشتغاله بالعلم

سبق أن الصحيح أنه ولد بالكوفة ونشأ بها وأنه لم يجد في حال ترعرعه من يرشده إلى الأخذ عمن أدركه من الصحابة، فاشتغل بالبيع والشراء إلى أن قيض الله له الإمام الشعبي(١) فأيقظه إلى النظر في العلم ومجالسة العلماء لما رأى فيه من اليقظة والنجابة، فوقع في قلبه قوله، فترك السوق وأخذ في علم الكلام، وبلغ فيه مبلغاً يشار إليه فيه بالأصابع وأعطى فيه جدلاً فمضى عليه زمن به يخاصم وعنه يناضل حتى دخل البصرة ـ لأن أكثر الفرق كان بها ـ نيفاً وعشرين مرة يقيم في بعض المرات سنة أو أكثر ينازع أولئك الفرق لأنه كان يعد الكلام أرفع العلوم

---

(١) هو عامر بن شراحيل بن عبد، وقيل عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري أبو عمرو الكوفي، روي عن علي وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وزيد بن ثابت وعبادة بن الصامت وأبي موسى الأشعري وأبي مسعود الأنصاري وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير وجرير بن عبد الله وجابر بن سمرة وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وذكر الحافظ في التهذيب شيوخه الذين روى عنهم من الصحابة سبعاً وخمسين نفساً ومن التابعين ثمانية عشر رجلاً، ثم ذكر الذين رووا عنه من التابعين الكبار فبلغ عددهم إلى تسعة وثلاثين راوياً، وذكر عن الشعبي أنه قال: أدركت خمسمائة من الصحابة، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، وقال ابن عيينة كانت الناس تقول: بعد الصحابة ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، وقال ابن شبرمة: سمعت الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ولا حدثني رجل بحديث فأحببت أن يعيد عليّ، وقال ابن معين: إذا حدث عن رجل فسماه فهو ثقة يحتج بحديثه (٥/ ٦٥) وذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة عن ابن سيرين: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة بالمسجد وأصحاب رسول الله ﷺ كثيرون (٣/ ٣٩). قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: هو أكبر شيخ لأبي حنيفة (١/ ٧٩) والشعبي هو الذي حرضه على العلم، فقد روى أبو محمد الحارثي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال: مررت يوماً على الشعبي وهو جالس فدعاني وقال: إلى من تختلف؟ فقلت: أختلف إلى فلان، فقال: لم أعن إلى السوق عنيت الاختلاف إلى العلماء، فقلت: أنا قليل الاختلاف إليهم، قال: لا تفعل فعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فإني أرى فيك يقظة وحركة، فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق وأخذت في العلم فنفعني الله تعالى بقوله (عقود الجمان ص ١٦٠).

وأفضلها لكونه في أصول الدين، ثم ألهم أن الصحابة والتابعين لم يكونوا كذلك مع أنهم عليه أقدر وبه أعرف بل نهوا عنه أشدّ النهي ولم يخوضوا إلا في الشرائع وأبواب الفقه وتعليم الناس فكره طرائق الجدل.

وأكد ذلك عنده أنه كان يجلس بالقرب من حلقة حماد[1] فجاءته امرأة فسألته عن رجل يريد أن يطلق امرأته للسنة كيف يقول؟ فلم يجد جواباً فأمرها أن تسأل حماداً ثم تعلمه بجوابه، ففعلت، فترك الكلام وجلس في حلقة حماد، فكان يحفظ جميع ما يقوله ويخطىء فيه أصحابه، فأجلسه بحذائه في صدر الحلقة عشر سنين، فنازعته نفسه أن ينفرد عنه ويستقل بحلقة لنفسه، فجلس إليه ليلة عزمه على فعل ذلك في صبيحتها، فجاءه حينئذ نعي قريب له لا وارث له غيره فاحتاج للسفر لأخذ ماله فاستخلفه في حلقته وغاب شهرين، ثم قدم وقد سئل عن ستين مسألة لم يكن سمعها منه، فأجاب فيها ثم عرضها عليه، فوافقه في أربعين وخالفه في عشرين، فآلى على نفسه أن لا يفارقه حتّى يموتَ.

وأخرج الخطيب وغيره عنه أنه لما أراد الاشتغال بالعلم تصور غايات العلوم وأن غايات الكلام قليلة وصاحبه إذا كمل واحتيج إليه لا يقدر يتكلم جهاراً، ويرمى بكل سوء، وغاية علم الأدب والنحو والقراءة

---

(١) هو حماد بن أبي سليمان مسلم الأشعري الكوفي الفقيه، روى عن أنس وزيد بن وهب وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وعكرمة وأبي وائل وإبراهيم النخعي وغيرهم، وعنه شعبة وحماد بن سلمة ومسعر بن كدام وهشام الدستوائي وأبو حنيفة والحكم بن عتيبة والأعمش ومغيرة وهم أقرانه وجماعة، قال مغيرة قلت لإبراهيم النخعي: إن حماداً قعد يفتي، فقال: وما يمنعه أن يفتي وقد سألني هو وحده عما لم تسألوني كلكم عن عشره، قال العجلي: كوفي ثقة وكان أفقه أصحاب إبراهيم (تهذيب التهذيب ٣/١٦). وفي شذرات الذهب في وفيات عشرين ومائة: وفيها فقيه الكوفة أبو إسماعيل حماد بن أبي سليمان الأشعري مولاهم صاحب إبراهيم النخعي، روي عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وطائفة، وكان جواداً سرياً محتشماً يفطر كل ليلة من رمضان خمسمائة إنسان، وقال شعبة: كان صدوق اللسان (١/١٥٧). وذكره الذهبي في كتابه المعين في طبقات المحدثين في الطبقة الثالثة من التابعين (ص ٤٥) والسيوطي (في طبقات الحفاظ ص ٥٥) في الطبقة الرابعة، وهم صغار التابعين، وتفقه عليه الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى وتخرج عليه، وذكر الخطيب رحمه الله تعالى في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٣) قصة رجوع الإمام أبي حنيفة إلى حماد ثم ملازمته له ثماني عشرة سنة إلى وفاته رحمهما الله تعالى.

الجلوس إلى الأحداث لتعليمهم إياها، وغاية الشعر المدح والهجو والكذب، والحديث يحتاج إلى العمر الطويل ولعلّ صاحبه يرمى بالكذب وسوء الحفظ فيصير ذلك وصمة فيه إلى يوم القيامة، قال: ثم فكرت في الفقه فكلما قلبته وأدرته لم يزد إلا حلاوة ولم أجد فيه عيباً ورأيت أمراً لا يستقيم طلب الدنيا والآخرة إلا بمعرفته فاشتغلت به[١].

تنبيه:

احذر أن تتوهم من ذلك أن أبا حنيفة لم يكن له خبرة تامة بغير الفقه، حاشا لله كان في العلوم الشرعية من التفسير والحديث والآلة من العلوم الأدبية والمقاييس الحكمية بحراً لا يجارى، وإماماً لا يمارى، وقول بعض أعدائه فيه خلاف ذلك منشؤه الحسد، وحجته الترفع على الأقران ورميهم بالزور والبهتان، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

ومما يكذب ذلك أن له مسائل فقهية بنى أقواله فيها على علم العربية بما أن وقف عليه من تأمله لقضى بتمكنه من هذا العلم بما يبهر العقل، وأن له من النظم البليغ ما يعجز عنه كثير من نظرائه، وقد انفرد بها بالتأليف الزمخشري وغيره على ما يأتي، وسيأتي أنه صح عنه أنه كان يختم في شهر رمضان ستين ختمة، وأنه كان يقرأ القرآن كله في ركعة، فزعم بعض حاسديه أنه كان لا يحفظ القرآن بهت منه وكذب شنيع، وقال أبو يوسف: ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة وكان أبصر بالحديث الصحيح مني[٢]، وفي جامع الترمذي عنه[٣]: ما رأيت أكذب من جابر الجعفي[٤] ولا أفضل من عطاء بن

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٥) وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٠).

(٢) راجع تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٢) وأخبار أبي حنيفة وأصحابه للقاضي حسين بن علي الصيمري (ص ١١).

(٣) أي عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وذكره الترمذي عن أبي حنيفة في كتاب العلل الذي هو ملحق في آخر كتابه.

(٤) هو جابر بن يزيد الجعفي، ذكره مسلم في مقدمة كتابه وقال قال جرير: كان يؤمن بالرجعة وهو ما تقوله الرافضة أن علياً في السحاب فلا نخرج مع من يخرج من ولده حتى ينادي من السماء (يريد علياً أنه ينادي) آخر جوامعه وقد وثقه شعبة ووكيع وقال الثوري لشعبة: لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلمن فيك، وقال أبو حنيفة: ما لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي، وقال سلام بن أبي مطيع: قال لي جابر الجعفي، وقال سلام بن أبي مطيع: قال لي =

أبي رباح[1]، وروى البيهقي عنه أنه سئل عن الأخذ عن سفيان الثوري

= جابر الجعفي: عندي خمسون ألف باب من العلم ما حدثت به أحداً، فأتيت أيوب فذكرت هذا له، فقال: أما الآن فهو كذاب، وقال سفيان ابن عيينة: سمعت من جابر الجعفي كلاماً فبادرت خفت أن يقع علينا السقف (ذكره الحافظ في التهذيب (٢/٤٧) وذكره الذهبي في ميزان الإعتدال (١/٣٧٩) وقال زائدة: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب النبي ﷺ، وعن ابن حبان: كان سبائياً من أصحاب عبد الله بن سبأ، وقال الجوزجاني: كذاب، سألت أحمد عنه فقال تركه عبد الرحمن فاستراح، اهـ وروي له أبو داود (في باب من نسي أن يتشهد وهو جالس) حديثاً، وقال: ليس في كتابي عن جابر الجعفي إلا هذا الحديث، قال شيخ مشايخنا في بذل المجهود: كأنه أشار إلى تضعيفه، ثم ذكر ما قيل فيه وفي آخر الكلام: قلت: عندي إنه لما ثبت أنه كان شديد الرفض يشتم أصحاب النبي ﷺ كان من مذهبه التقية، ففي ابتداء أمره كان يظهر منه الصلاح وحسن حاله تقية ليغتر منه الناس فاغتر به بعض المحدثين، ولما ظهر من أمره ما ظهر تركه الناس وجرحوه بجرح مفسر، فلا يعتبر برواية شعبة وسفيان وغيرهما فإنهم رووا بناءً على ما ظهر لهم من حسن السمت والصلاح ثم لما اطلعوا على حقيقة أمره تركوه اهـ.

(١) هو عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح أسلم، وهو قرشي مولاهم، قال: أدركت مائتين من الصحابة، روي عن جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن الزبير وأسامة بن زيد وجابر بن عبد الله وأبو هريرة وزيد بن أرقم وعقيل بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة في آخرين، وروي عنه أبو إسحاق السبيعي ومجاهد والزهري وأيوب السختياني والحكم بن عتيبة والأعمش والأوزاعي وعمرو بن دينار وسلمة بن كهيل وقتادة وابن أبي ليلى وخلق كثير، وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث، نشأ بمكة وانتهت إليه فتوى أهل مكة وإلى مجاهد في زمنهما، وكان ابن عباس يقول: تجتمعون إلي يا أهل مكة وعندكم عطاء، وكذا روي عن ابن عمر، قال قتادة: إذا اجتمع لي أربعة لم أبال من خالفهم الحسن وسعيد وإبراهيم وعطاء قال: هؤلاء أئمة الأمصار، وقال عبد الحميد الحماني عن أبي حنيفة: ما رأيت فيمن لقيت أفضل من عطاء، ولا لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي، وقال الأوزاعي: مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، وقال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلوات، قال الذهبي: هو ثبت، رضي، حجة، إمام، كبير الشأن، وكان من سادات التابعين فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً (٧/٢١٩٩). وفي مناقب الكردري (ص ٨٩) قال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من حماد ولا أجمع للعلوم من عطاء أكثر الرواية عنه اهـ وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية (٩/٣٠٧) عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى قال: لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال: من أين أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة! قال: أنت من أهل القرية الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً؟ قلت: نعم! قال: فمن أي الأصناف أنت؟ قلت ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، قال عطاء: عرفت فالزم، وفيه أيضاً قال عطاء: ما أجمعت عليه الأمة أولى عندنا من الإسناد اهـ.

قلت: وهذا ما اختاره أبو حنيفة رحمه الله تعالى في تدوين المسائل واستخراج الأحكام فإنه كان يذهب في ذلك إلى عرض أخبار الآحاد على ما اجتمع عليه من الأحاديث ومعاني القرآن، فما شذ من ذلك رده وسماه شاذاً (ذكره ابن عبد البر في الإنتقاء ص ١٤٩).

فقال: أكتب عنه فإنه ثقة ما عدا أحاديث أبي إسحاق عن جابر الجعفي، وروى الخطيب عن سفيان بن عيينة أنه قال: أول من أقعدني للحديث بالكوفة أبو حنيفة قال لهم: هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار[١]، وبهذا يعلم جلالة مرتبته في الحديث أيضاً كيف وهو يستأمر في الثوري ويُجلِس ابن عيينة.

(١) ذكر القرشي في الجواهر المضية (١/ ٢٥٠) عن سفيان بن عيينة كان يقول: أول من أقعدني للحديث أبو حنيفة، وفي رواية دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألوني عن حديث عمرو بن دينار، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة اهـ. وراجع أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٧٥) ومناقب أبي حنيفة للمكي (ص ٣٢٠).

الفصل العاشر

في ابتداء جلوسه للإفتاء والتدريس

لما مات شيخه حماد ابن أبي سليمان ـ وكانت انتهت إليه رياسة الكوفة والناس به أغنياء ـ احتاج الناس لمن يجلس لهم، فجلس ابنه واختلف إليه أصحاب أبيه فلم يجدوا عنده ما يغنيهم، لأن الغالب عليه النحو والكلام، فجلس موسى بن كثير فاحتمله الناس للقيه الأكابر وإن لم يكن فارهاً في الفقه، فخرج حاجاً فأجمع رأيهم على أبي حنيفة فأطاعهم، وقال: ما أحب أن يموت العلم، فاختلفوا إليه فوجدوا عنده من العلم الغزير في كل باب وحسن المواساة والصبر عليهم ما لم يجدوه عند غيره فلزموه وتركوا غيره، ثم تخرجوا به طبقة بعد طبقة حتى صاروا أئمة في العلم والدين.

ومن الطبقة الثانية أبو يوسف وزفر وآخرون، ثم لم يزل أمره يزداد علواً ويكثر أصحابه حتى صارت حلقته أعظم حلقة في المسجد، وانصرفت وجوه الناس إليه وأكرمه الأمراء وذكره الخلفاء وحمده الكل، وعمل أشياء أعجزت غيره، ومع ذلك كثرت حساده ومعادوه[1]، لأن ذلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ومما زاد في إقباله على الإفتاء والتدريس بعد انقباضه عنهما أنه رأى كأنه ينبش قبر النبي ﷺ وجمع عظامه فوضعها على صدره بعد أن استخرجها وفي رواية أنه لما استخرجها صار يؤلف بعضها على بعض فأفزعه ذلك فزعاً شديداً وأقلقه إلى أن عاده إخوانه، فأرسل إلى ابن سيرين فأولها بأن صاحبها يفتح للناس من سنن النبي ﷺ وتأويلها ما لم يسبقه أحد إليه فعند ذلك انبسط في المسائل، وأتى فيها بما يبهر العقل[2].

(١) راجع أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري (ص ٧ و ٨)، وعقود الجمان (ص ١٦٨).

(٢) راجع مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للحافظ الذهبي (ص ٢٢) وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٥).

وفي رواية أن بعض أصحابه لما رآه متوجعاً ولم ير به مرضاً سأله عن حاله فأخبره برؤياه، فقال: هنا صاحب لابن سيرين ندعوه لك، فقال: لا! أنا آتيه، فأتاه فقصّها عليه، فقال: إن كان ما تقوله حقاً لتعلمن في إقامة السنة علماً لم يسبقك إليه أحد، ولتدخلن في العلم مدخلاً بعيداً، وهذا لا ينافي ما قبله لأنه لا مانع أنه قصت على ابن سيرين وعلى تلميذه فتوافقا على ما ذكره. والله أعلم.

الفصل الحادي عشر

فيما بنى عليه مذهبه

إعلم أنه يتعين عليك أن لا تفهم من أقوال العلماء عن أبي حنيفة وأصحابه أنهم أصحاب الرأي أن مرادهم بذلك تنقيصهم ولا نسبتهم إلى أنهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله ﷺ ولا على قول أصحابه لأنهم براء من ذلك، فقد جاء عن أبي حنيفة من طرق كثيرة ما ملخصه: أنه أولاً يأخذ بما في القرآن، فإن لم يجد فبالسنة، فإن لم يجد فبقول الصحابة، فإن اختلفوا أخذ بما كان أقرب إلى القرآن أو السنة من أقوالهم ولم يخرج عنهم، فإن لم يجد لأحد منهم قولاً لم يأخذ بقول أحد من التابعين بل يجتهد كما اجتهدوا[١].

وقال الفضيل بن عياض: إن كان في المسألة حديث صحيح تبعه، وإن كان عن الصحابة أو التابعين فكذلك وإلا قاس فأحسن القياس[٢]، وقال ابن المبارك رواية عنه: إذا جاء الحديث عن رسول الله فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن أقوالهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم[٣]. وعنه أيضاً: عجباً للناس يقولون أفتى بالرأي ما أفتى إلا بالأثر[٤]. وعنه أيضاً: ليس لأحد أن يقول برأيه مع كتاب الله تعالى ولا مع سنة رسول الله ﷺ ولا مع ما أجمع عليه أصحابه، وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقاويلهم أقربه إلى كتاب الله تعالى أو إلى السنة ونجتهد، وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأي لمن عرف الاختلاف وقاس وعلى هذا كانوا[٥].

وعن المزني سمعت الشافعي يقول: الناس عيال على أبي حنيفة

---

(١) راجع أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ١٠) وتاريخ بغداد (١٣/٣٦٨).

(٢) عقود الجمان (ص ١٧٢)، والانتقاء لابن عبد البر (ص ١٤٢ إلى ١٤٥).

(٣) عقود الجمان (ص ١٧٣).

(٤) عقود الجمان (ص ١٧٤).

(٥) عقود الجمان (ص ١٧٥).

في القياس، انتهى. ولدقة قياسات مذهبه كان المزني يكثر من النظر في كلامهم حتى حمل ذلك ابن أخته الإمام الطحاوي على أنه انتقل من مذهب الشافعي إلى مذهب أبي حنيفة كما صرّح بذلك الطحاوي بنفسه[١].

وعن الحسن بن صالح أن أبا حنيفة كان شديد الفحص عن الناسخ والمنسوخ عارفاً بحديث أهل الكوفة شديد الاتباع لما كان الناس عليه حافظاً لما وصل إلى أهل بلده[٢]، وسمعه رجل يقايس آخر في مسألة فصاح: دعوا هذه المقايسة فإن أول من قاس إبليس، فأقبل إليه أبو حنيفة فقال: يا هذا وضعت الكلام في غير موضعه، إبليس ردّ بقياسه على الله تعالى أمره كما أخبر تعالى عنه في كتابه فكفر بذلك، وقياسنا اتّباع لأمر الله تعالى لأننا نردّه إلى كتابه وسنة رسوله أو أقوال الأئمة من الصحابة والتابعين، فنحن ندور حول الاتّباع فكيف نساوي إبليس لعنه الله، فقال له الرجل: غلطت وتبت فنور الله قلبك كما نورت قلبي[٣].

وعنه أنه كان يقول: هذا الذي نحن عليه رأي لا نجبر عليه أحداً ولا نقول يجب على أحد قبوله، فمن كان عنده أحسن منه فليأت به نقبله[٤]. وقال ابن حزم: جميع أصحاب أبي حنيفة مجمعون على أن مذهبه: أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس[٥].

---

(١) راجع الحاوي في سيرة الإمام الطحاوي للشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى.
(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ١١).
(٣) عقود الجمان (ص ١٧٧).
(٤) المصدر السابق.
(٥) نقله الحافظ الذهبي عن ابن حزم في مناقب أبي حنيفة وصاحبيه (ص ٢١).

الفصل الثاني عشر

في الصفات التي تميز بها على من بعده

وهي كثيرة:

منها: أنه رأى جماعة من الصحابة كما مرّ، وقد صحّ من طرق أنه ﷺ قال: طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني[١].

ومنها: أنه ولد في قرنه ﷺ الذي صح عنه من طرق كثيرة أنه قال: خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[٢]. وفي رواية لمسلم[٣] خير الناس القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث.

ومنها: أنه اجتهد وأفتى في زمن التابعين بل لما حج الأعمش أرسل إليه ليكتب له المناسك، وكان يقول: اكتبوا المناسك عنه، فإني لا أعلم أحداً أعلم بفرضها ونفلها منه[٤]. فانظر هذه الشهادة له من مثل الأعمش.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠) من حديث عبد الله بن بسر مرفوعاً طوبى لمن رآني وطوبى لمن رأى من رآني، طوبى لهم وحسن مآب، قال الهيثمي: رواها الطبراني وفيه بقية وقد صرح بالسماع فزالت الدلسة وبقية رجاله ثقات، ثم ذكر من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ طوبى لمن رآني وآمن بي، ومن رأى من رآني ومن رأى من رأى من رآني، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه من لم أعرفه اهـ.

(٢) أخرج البخاري في كتاب الأيمان والنذور عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، يحدث عن النبي ﷺ قال: خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران: لا أدري ذكر ثنتين أو ثلاثاً بعد قرنه، وأخرجه كذلك في كتاب الرقاق، وأخرجه في كتاب الرقاق عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً، ذكر فيه ثم الذين يلونهم مرتين من غير شك، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩) عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (ثلاثاً من غير شك) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وفي طرقهم عاصم بن بهدلة وهو حسن الحديث وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في كتاب الفضائل (قبيل فضائل أويس القرني رضي الله تعالى عنه).

(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٧٠).

ومنها: رواية أكابر شيوخه وغيرهم عنه كعمرو بن دينار[١]، ودخل على الخليفة المنصور فقال له عيسى بن موسى: يا أمير المؤمنين! هذا عالم الدنيا اليوم، فقال له الخليفة عمن أخذت العلم؟ قال عن أصحاب عمر عنه، وعن أصحاب علي عنه، وعن أصحاب ابن مسعود عنه، فقال: بخ بخ لقد استوثقت لنفسك ما شئت[٢].

ومنها: ما اتفق له من الأصحاب مما لم يتفق لأحد بعده كما علم مما مر.

وقال رجل عند وكيع أخطى أبو حنيفة فزجره وكيع وقال: من يقول هذا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، كيف يخطىء وعنده أئمة الفقه كأبي يوسف ومحمد، وأئمة الحديث وعددهم، وأئمة اللغة والعربية وعددهم، وأئمة الزهد والورع كالفضيل وداود الطائي، ومن كان أصحابه هؤلاء لم يكن ليخطىء لأنه إن أخطأ ردوه للحق[٣].

ومنها: أنه أول من دون علم الفقه ورتبه أبواباً وكتباً على نحو ما هو عليه اليوم، وتبعه مالك في موطئه ومن قبله إنما كانوا يعتمدون على حفظهم وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط[٤].

ومنها: انتشار مذهبه في أقاليم ليس فيها غيره كالهند والسند والروم وما وراء النهر.

ومنها: إنفاقه على نفسه وغيره من العلماء وغيرهم من كسب يده ولم يقبل جائزة[٥]، مع ما تواتر من كثرة عبادته وزهده وكثرة حجه واعتماره وغير ذلك مما يأتي.

ومنها: أنه مات مظلوماً محبوساً مسموماً كما يأتي.

---

(١) هو عمرو بن دينار المكي، أحد الأعلام، روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وجابر بن عبد الله وأبي الطفيل وغيرهم، وعنه قتادة وأيوب وجعفر الصادق ومالك وشعبة والحمادان والسفيانان وآخرون، قال ابن عيينة: كان ثقة ثقة ثقة (كذا في تهذيب التهذيب ٨/ ٢٨).

(٢) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٤) وزاد ابن عباس في أسماء الصحابة الذين أخذ أبو حنيفة عن أصحابهم.

(٣) راجع تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٧).

(٤) ذكره السيوطي في تبييض الصحيفة قبيل اختتام كتابه، وكذا ذكره الصالحي في عقود الجمان (ص ١٨٤) والموفق المكي في مناقب أبي حنيفة (ص ٣٩٣).

(٥) راجع عقود الجمان (ص ٢٩٧).

الفصل الثالث عشر

في ثناء الأئمة عليه

روى الخطيب عن الشافعي رحمه الله قال: قيل لمالك رحمه الله: هل رأيت أبا حنيفة رحمه الله؟ قال: نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته[١]، وفي رواية: أنه سأله عن جماعة فأجابه عنهم، قال فأبو حنيفة؟ قال: سبحان الله لم أر مثله تالله لو قال إن الأسطوانة من ذهب لأقام الدليل القياسي على صحة قوله[٢].

وقال ابن المبارك: دخل أبو حنيفة على مالك فرفعه ثم قال بعد خروجه أتدرون من هذا؟ قالوا: لا، قال: أبو حنيفة النعمان، لو قال هذه الأسطوانة من ذهب لخرجت كما قال، لقد وفق له الفقه حتى ما عليه فيه كثير مؤنة، ثم دخل الثوري فأجلسه دون مجلس أبي حنيفة فلما خرج ذكر من فقهه وورعه[٣].

وقال الشافعي: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة إنه ممن وفق له الفقه. هذه رواية حرملة عنه[٤]. وفي رواية الربيع عنه: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة ما رأيت أي ما علمت أحداً أفقه منه[٥]، لأنه لم يدرك أحداً أفقه منه. وجاء عنه أيضاً: من لم ينظر في كتبه لم يتبحر في العلم ولا يتفقه[٦]. وقال ابن عيينة: ما رأت عيني مثله[٧]. وعنه: من أراد المغازي فالمدينة، أو المناسك فمكة، أو الفقه فالكوفة، ويلزم أصحاب أبي حنيفة[٨].

وقال ابن المبارك: كان أفقه الناس ما رأيت أفقه منه[٩]. وقال:

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/٣٣٨) وذكره الذهبي في كتابه: «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه» (ص ٣٠)، وكذا ذكره البيهقي في المدخل (ص ١٧٠).

(٢) عقود الجمان (ص ١٨٦).

(٣) عقود الجمان (ص ١٨٧).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/٣٤٦).

(٥) المصدر السابق.

(٦) عقود الجمان (ص ١٨٧).

(٧) تاريخ بغداد (١٣/٣٣٦).

(٨) عقود الجمان (ص ١٨٨).

(٩) تاريخ بغداد (١٣/٣٤٣).

كان آية، فقيل: في الخير أو الشر؟ فقال: اسكت يا هذا، يقال غاية في الشر وآية في الخير[١]. وعنه: إن احتيج للرأي فرأى مالك وسفيان وأبي حنيفة وهو أفقههم وأحسنهم وأدقهم فطنة وأغوصهم على الفقه[٢]. وعنه: قول أبي حنيفة عندنا إذا لم نجد أثراً كالأثر عن رسول الله ﷺ[٣]. وعنه: أنه كان يحدث الناس فقال: حدثني النعمان بن ثابت، فقيل له: من تعني؟ قال: أبا حنيفة مخ العلم، فأمسك بعضهم عن أن يكتب ذلك الإملاء فسكت ابن المبارك هنيهة، ثم قال أيها الناس! ما أسوأ أدبكم وأجهلكم بالأئمة وما أقل معرفتكم بالعلم وأهله، ليس أحد أحق أن يقتدى به من أبي حنيفة لأنه كان إماماً تقياً ورعاً عالماً فقيهاً كشف العلم لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى، ثم حلف أن لا يحدثهم شهراً[٤].

وقال الثوري لمن قال له جئتُ من عند أبي حنيفة: لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض، وقال أيضاً: إن الذي يخالف أبا حنيفة يحتاج إلى أن يكون أعلى منه قدراً وأوفر علماً وبعيد ما يوجد ذلك[٥].

ولما حجا كان يُقدّمه ويمشي خلفه ولا يجيب إذا سئلا حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب[٦]. وقيل له ـ وقد رؤى تحت رأسه كتاب الرهن لأبي حنيفة ـ تنظر في كتبه؟ فقال: وددت أنها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها، ما أبقى في شرح العلم غاية ولكنا لا ننصفه[٧].

وقال أبو يوسف رحمه الله: الثوري أكثر متابعة لأبي حنيفة مني[٨] ووصفه يوماً لابن المبارك فقال: إنه ليركب من العلم أحد من سنان الرمح، كان والله شديد الأخذ للعلم، ذاباً عن المحارم متبعاً لأهل بلده لا يستحل أن يأخذ إلا ما صح عن رسول الله ﷺ، شديد المعرفة بناسخ

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/٣٣٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٣/٣٤٣)، وزاد: وهو أفقه الثلاثة.

(٣) عقود الجمان (ص ١٨٩).

(٤) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٤٦)، عقود الجمان (ص ١٨٩).

(٥) عقود الجمان (ص ١٩٠).

(٦) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٦٤).

(٧) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٦٥).

(٨) عقود الجمان (ص ١٩١).

الحديث ومنسوخه، وكان يطلب أحاديث الثقات والآخر من فعل رسول الله ﷺ، وما أدرك عليه علماء أهل الكوفة في اتباع الحق أخذ به وجعله دينه، وقد شنع عليه قوم فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه[١].

وقال الأوزاعي لابن المبارك: من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة؟ فأراه مسائل عويصة من مسائله، فلما رآها منسوبة للنعمان بن ثابت قال: من هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق، قال: هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثر منه، قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه. ثم لما اجتمع بأبي حنيفة بمكة جاراه في تلك المسائل فكشفها أبو حنيفة له بأكثر ما كتبها ابن المبارك عنه، فلما افترقا قال الأوزاعي لابن المبارك: غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله، واستغفر الله تعالى لقد كنت في غلط ظاهر، ألزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه[٢].

وقال ابن جريج لما بلغه من علمه وشدة ورعه وصيانته لدينه وعلمه: أحسبه سيكون له في العلم شأن عجيب[٣]. وذكر عنده يوماً فقال: اسكتوا: إنه لفقيه، إنه لفقيه، إنه لفقيه[٤].

وقال أحمد بن حنبل في حقه: إنه من أهل الورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد، ولقد ضرب بالسياط ليلي القضاء للمنصور فلم يفعل، فرحمة الله عليه ورضوانه[٥].

وقال يزيد بن هارون لما سئل عن النظر في كتبه: انظروا فيها فإني ما رأيت أحداً من الفقهاء يكره النظر في قوله[٦] ولقد احتال الثوري في كتاب الرهن له حتى نسخه[٧] وقال أيضاً ـ لما قيل له رأي مالك أحب إليك من رأي أبو حنيفة ـ اكتب حديث مالك فإنه كان ينتقي الرجال، والفقه صناعة أبي حنيفة وصناعة أصحابه كأنهم خلقوا له[٨].

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٦٦)، عقود الجمان (ص ١٩١).
(٢) تاريخ بغداد (١٣/٣٣٨)، مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٤٥).
(٣) عقود الجمان (ص ١٩٣).
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) عقود الجمان (ص ١٩٤).
(٧) المرجع السابق.
(٨) المرجع السابق.

وروى الخطيب عن بعض أئمة الزهد أنه قال يجب على أهل الإسلام أن يدعوا لأبي حنيفة في صلاتهم لحفظه عليهم السنة والفقه[١]. وقال: الناس فيه حاسد وجاهل وهو أحسنهما عندي[٢]. وقال: من أراد أن يخرج من ذلك العمى والجهل ويجد حلاوة الفقه فلينظر في كتبه[٣].

وقال مكي بن إبراهيم: كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه[٤].

وقال يحيى بن سعيد القطان: ما سمعنا أحسن من رأى أبي حنيفة. ومن ثمة كان يذهب في الفتوى إلى قوله[٥].

وقال النضر بن شميل: كان الناس نياماً عن الفقه حتّى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه ولخصه[٦].

وقال مسعر ـ بكسر فسكون ففتح ـ ابن كدام بكسر فتخفيف مهملة: من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله رجوت أن لا يخاف ولا يكون فرط في الاحتياط لنفسه[٧]. وقيل له: لم تركت رأي أصحابك وأخذت برأيه؟ قال: لصحته فأتوا بأصح منه لأرغب عنه إليه[٨].

وقال ابن المبارك: رأيت مسعراً في حلقة أبي حنيفة يسأله ويستفيد منه وقال: ما رأيت أفقه منه[٩].

وقال عيسى بن يونس: لا تصدقن أحداً يسيء القول فيه فإني ـ والله ـ ما رأيت أفضل منه ولا أفقه منه[١٠].

وقال معمر: ما رأيت رجلاً يحسن أن يتكلم في الفقه ويسعه أن يقيس ويشرح الحديث أحسن معرفة من أبي حنيفة ولا أشفق على نفسه من أن يُدخل في دين الله شيئاً من الشك من أبي حنيفة[١١].

---

(١) هو من قول عبد الله بن داود الخريبي، راجع تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٤).
(٢) هو من قول عبد الله بن داود الخريبي أيضاً، تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٧).
(٣) عقود الجمان (ص ١٩٥)، أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٧٨).
(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٥)، عقود الجمان (ص ١٩٥).
(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).
(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٥).
(٧) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٩).
(٨) عقود الجمان (ص ١٩٦).
(٩) عقود الجمان (ص ١٩٧).
(١٠) المصدر السابق.
(١١) المصدر السابق.

وقال الفضيل: كان فقيهاً معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع المال، معروفاً بالإفضال على كل من يطوف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار، قليل الكلام حتى ترد مسألة في الحلال والحرام فكان يحسن أن يدل على الحق، هارباً من مال السلطان[١].

وقال أبو يوسف: إني لأدعو له قبل أبويّ، وسمعته يقول: إني لأدعو لحماد مع أبويّ[٢]. وقال: أبو حنيفة زينه الله تعالى بالفقه والعمل والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التي كانت فيه[٣]، وقال: كان خلف من مضى وما خلف والله على وجه الأرض مثله[٤].

وسئل الأعمش عن مسألة فقال: إنما يحسن جواب هذا النعمان بن ثابت وأظنه بورك له في علمه[٥].

وقال يحيى بن آدم: ما تقولون في هؤلاء الذين يقعون في أبي حنيفة؟ قال: إنه جاءهم بما يعقلونه وما لا يعقلونه من العلم فحسدوه[٦].

وقال وكيع: ما رأيت أحداً أفقه منه ولا أحسن صلاة منه[٧].

وقال الإمام الحافظ الناقد يحيى بن معين: الفقهاء أربعة: أبو حنيفة، وسفيان، ومالك، والأوزاعي[٨].

وعنه: القراءة عندي قراءة حمزة والفقه فقه أبي حنيفة على هذا أدركت الناس[٩]، وسئل: هل حدث سفيان عنه؟ قال: نعم، كان ثقة

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٠)، والفضيل هو ابن عياض.

(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٩٣) عقود الجمان (ص ١٩٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) عقود الجمان (ص ١٩٩).

(٥) مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي (ص ٢٩) وعقود الجمان (ص ١٩٩).

(٦) ذكره الصالحي في عقود الجمان (ص ١٩٩) وعبارته هكذا: روى أبو يعقوب المكي عن يحيى ابن آدم قال: قلت لفضيل بن موسى السناني: ما تقول في هؤلاء الذين يقعون في أبي حنيفة؟ قال: إن أبا حنيفة جاءهم بما يعقلون وما لا يعقلون من العلم فحسدوه اهـ ففي عبارة المؤلف اختصار مخل.

(٧) عقود الجمان (ص ١٩٩).

(٨) أخبار أبي حنيفة (ص ٨٠).

(٩) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٧).

صدوقاً في الفقه والحديث مأموناً على دين الله(١).

وقال ابن المبارك: رأيت الحسن بن عمارة آخذاً بركابه قائلاً: والله ما رأيت أحداً يتكلم في الفقه أبلغ ولا أصبر ولا أحضر جواباً منك، وإنك لسيد من تكلم في الفقه في وقتك غير مدافع، وما يتكلمون فيك إلا حسداً(٢).

وقال شعبة: كان والله حسن الفهم جيد الحفظ حتى شنعوا عليه بما هو أعلم به منهم والله سيلقون عند الله وكان كثير الترحم عليه(٣).

وسئل يحيى بن معين عنه فقال: ثقة ما سمعت أحداً ضعفه هذا شعبة يكتب له أن يحدث ويأمره(٤)، وسبقه ووصفه أيوب السختياني بالصلاح والفقه(٥)، ورمى عند ابن عون بأنه يقول القول فيرجع عنه في غد، فقال: هذا دليل ورعه فإنه يرجع من خطأ إلى صواب، ولولا ذلك لنصر خطأه ودافع عنه(٦).

وقال حماد بن يزيد: كنا نأتي عمرو بن دينار فإذا جاء أبو حنيفة أقبل عليه وتركنا نسأل أبا حنيفة فنسأله فيحدثنا(٧).

وقال الحافظ عبد العزيز بن أبي رواد: من أحب أبا حنيفة فهو سنّي ومن أبغضه فهو مبتدع، وفي رواية: بيننا وبين الناس أبو حنيفة فمن أحبه وتولاه علمنا أنه من أهل السنة، ومن أبغضه علمنا أنه من أهل البدعة(٨).

وقال خارجة بن مصعب: أبو حنيفة في الفقهاء كقطب الرحى، وكالجهبذ الذي ينقد الذهب(٩).

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٠٠).
(٢) تاريخ بغداد (١٣/٣٦٧).
(٣) مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي (ص ٢٩) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٩).
(٤) عقود الجمان (ص ٢٠٢).
(٥) قاله لحماد بن زيد، ولفظه قد بلغني أن الرجل الصالح الفقيه أبا حنيفة يريد الحج فاقرئه مني السلام (عقود الجمان ص ٢٠٦).
(٦) عقود الجمان (ص ٢٠٣).
(٧) المصدر السابق.
(٨) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٧٩) ومناقب أبي حنيفة لموفق بن أحمد المكي (ص ٢٨٥) عقود الجمان (ص ٢٠٣).
(٩) عقود الجمان (ص ٢٠٤).

وقال الحافظ محمد بن ميمون: لم يكن في زمن أبي حنيفة أعلم ولا أورع ولا أزهد ولا أعرف ولا أفقه منه، وتالله ما سرني بسماعي عنه مائة ألف دينار[١].

وقال إبراهيم بن معاوية الضرير: من تمام السنة حب أبي حنيفة، وقال: كان أبو حنيفة يصف العدل ويقول به، وبين للناس سبيل العلم وأوضح لهم مشكلاته[٢].

وقال أسد بن حكيم: لا يقع فيه إلا جاهل أو مبتدع[٣].

وقال أبو سليمان: كان أبو حنيفة عجباً من العجب وإنما يرغب عن كلامه من لم يقو عليه[٤].

وقال أبو عاصم: هو ـ والله ـ عندي أفقه من ابن جريج، ما رأت عيني رجلاً أشد اقتداراً على الفقه منه[٥].

وذكر عند داود الطائي فقال: ذاك نجم يهتدى به الساري وعلم تقبله قلوب المؤمنين[٦].

وقال شريك القاضي: كان أبو حنيفة طويل الصمت، كثير التفكر، دقيق النظر في الفقه، لطيف الاستخراج في العلم والعمل والبحث، إن كان الطالب فقيراً أغناه، فإذا تعلم قال له وصلت إلى الغني الأكبر بمعرفة الحلال والحرام[٧].

وقال خلف بن أيوب: صار العلم من الله تعالى إلى محمد ﷺ، ثم منه إلى أصحابه، ثم منهم إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه، فمن شاء فليرض ومن شاء فليسخط[٨].

وقيل لبعض الأئمة: مالك تخص أبا حنيفة عند ذكره بمدح دون

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٠٤).
(٢) المصدر السابق.
(٣) عقود الجمان (ص ٢٠٥).
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٨).
(٨) تاريخ بغداد (١٣/٣٣٦).

غيره؟ قال: لأن منزلته ليست كمنزلة غيره فيما انتفع الناس بعلمه، فأخصه عند ذكره ليرغب الناس بالدعاء له[١].

والآثار في النقل عن الأئمة غير ما ذكر كثيرة وفي بعض ما ذكرناه مقنع للمنصف المذعن الذي يعرف الحق لأهله، ومن ثمة قال الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر بعد كلام ذكره: وأهل الفقه لا يلتفتون إلى من طعن عليه ولا يصدقون بشيء من السوء ينسب إليه.

(١) عقود الجمان (ص ٢٠٧).

الفصل الرابع عشر

في شدة اجتهاده في العبادة

قال الذهبي: قد تواتر قيامه الليل وتهجده وتعبده، ومن ثمة كان يسمى الوتد من كثرة قيامه الليل بل أحياه بقراءة القرآن في ركعة ثلاثين سنة، وحفظ عنه أنه صلّى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة يسمع بكاؤه بالليل حتّى يرحمه جيرانه، وحفظ عنه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفى(١) فيه سبعة آلاف مرة(٢). ووقع رجل فيه عند ابن المبارك، فقال: ويحك أتقع في رجل صلى خمساً وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد وكان يختم القرآن في ركعة، وتعلمت ما عندي من الفقه منه(٣). وقال أبو مطيع: ما دخلت الطواف في ساعة من الليل إلا رأيت أبا حنيفة وسفيان فيه(٤).

ولما غسله الحسن بن عمارة قال: ـ رحمك الله وغفر لك ـ لم تفطر منذ ثلاثين سنة وقد أتعبتَ من بعدك وفضحت القراء(٥)، وسبب إحيائه الليل أنه سمع رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة الذي لا ينام فقال لأبي يوسف: سبحان الله، ألا ترى الله تعالى نشر لنا هذا الذكر أو ليس بقبيح أن يعلم الله تعالى مناضد ذلك، والله لا يتحدث الناس عني بما لم أفعل، فكان يحيي الليل صلاة وتضرعاً ودعاء(٦)، وقال أبو يوسف كان

(١) قوله «الموضع الذي توفي فيه» هذا لا يصح لأنه توفي في السجن ولم يمكث فيه إلا أياماً معدودات، فالصحيح ما قاله الموفق في مناقبه (ص ٢٠٧) ولقد حرز ما قرأ أبو حنيفة في الموضع الذي فارق منزله آخر ما فارق (حين نقل إلى سجن بغداد) دون سائر المواضع من منزله فبلغ ذلك مما ختم القرآن سبعة آلاف مرة اهـ.

(٢) راجع مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي (ص ١٢ ـ ١٥)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٤).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٥).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٣).

(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٤).

(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٥) مناقب مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي (ص ١٢).

يختم كل يوم وليلة ختمة، وفي رمضان ويوم العيد اثنين وستين ختمة، وكان سخياً بالمال صبوراً على تعليم العلم، شديد الاحتمال لما يقال فيه بعيد الغضب، شهدته يصلي الصبح بوضوء أول الليل عشرين سنة، ومن صحبه قبلنا قالوا إنه كذلك أربعين سنة[١].

وقال مسعر: رأيته يصلي الغداة ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر، ثم يجلس إلى العصر، ثم إلى قريب المغرب، ثم إلى العشاء، فقلت في نفسي متى يتفرغ هذا للعبادة لأتعاهدنه، فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد متطهراً كأنه عروس فانتصب للصلاة إلى الفجر ثم دخل ولبس ثيابه وخرج لصلاة الصبح ففعل كما فعل قبل، فقلت في نفسي: إن الرجل قد ينشط الليلة لأتعاهدنه، فلما هدأ الناس خرج وفعل كفعله قبل في ليله ويومه، حتى إذا صلّى العشاء قلت إن الرجل قد ينشط الليلتين لأتعاهدنه الليلة، ففعل كفعله قبل، فقلت: لألزمنه إلى أن أموت أو يموت، قال فما رأيته بالنهار مفطراً ولا بالليل نائماً، وكان يغفو قبل الظهر غفوة خفيفة، ومات مسعر في سجوده في مسجد أبي حنيفة[٢]، وقال شريك: كنت معه سنة فما رأيته وضع جنبه على الفراش[٣] وعن خارجة: ختم القرآن في ركعة داخل الكعبة أربعة وعد منهم أبا حنيفة[٤]، وقال الفضل بن دكين بضم الدال المهملة: رأيت جماعة من التابعين وغيرهم فما رأيت أحسن صلاة من أبي حنيفة، ولقد كان قبل الدخول في الصلاة يبكي ويدعو، فيقول القائل هو والله يخشى، وكنت إذ رأيته رأيته كالشن البالي من العبادة[٥] وهو ـ بفتح الشين وتشديد النون ـ القربة الخلقة.

وردد في قوله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ﴾

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٤).

(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٢) وتاريخ بغداد (١٣/٣٥٦).

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٤).

(٤) ذكره الذهبي: مناقب أبي حنيفة وصاحبيه (ص ٢٢) وعد هؤلاء الأربعة عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهم، وذكره الصيمري أيضاً في كتابه (٤٥) وليس عند الذهبي ولا عند الصيمري أن هذا الختم كان داخل الكعبة، وذكره صاحب عقود الجمان أيضاً (ص ٣١٦) وقال في آخره: ورواه القاضي أبو القاسم بن كأس بلفظ داخل الكعبة.

(٥) عقود الجمان (ص ٢١٧).

ليلة كاملة في صلاته[١] وقرأ ليلة أخرى حتى وصل ﴿فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ فما زال يرددها حتى أذن للفجر[٢].

وقالت أم ولده: ما توسد فراشاً بليل منذ عرفته، وإنما كان نومه بين الظهر والعصر بالصيف، وأول الليل بمسجده في الشتاء[٣].

وقال ابن أبي داود: ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة منه، إنما كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة والنجاة ولقد شاهدته عشر ليالى فما رأيته نام بالليل ولا هدأ ساعة من نهار من طواف، وصلاة أو تعليم[٤]، وذكر بعض أهل المناقب: أنه لما حج حجة[٥] الوداع أعطي السدنة[٦] نصف ماله ليمكنوه من الصلاة داخل الكعبة، فقرأ نصف القرآن قائماً على رجل ثم نصفه الآخر على الأخرى، وقال: يا رب عرفتك حق معرفتك وما عبدتك حق العبادة، فهب لي نقصان الخدمة لكمال المعرفة، فنودي من زاوية البيت: عرفت فأحسنت، وأخلصت الخدمة، غفرنا لك ولمن كان على مذهبك إلى قيام الساعة.

تنبيه:

لا ينافي ما نقل عنه إن صح في قوله «عرفتك حق معرفتك» ما قاله غيره «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك»، لأن مراد الإمام عرفتك حق معرفتك اللائقة بي وانتهى إليه علمي، ففيه تجوز، ومراد غيره أن حقيقة المعرفة اللائقة بالحق لا يمكن أحداً أن يصل إليها، وهذا هو الحقيقة،

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٦).
(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٣).
(٣) مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي (ص ١٢).
(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٣).
(٥) يعني آخر حجة حجها، وقد حج خمساً وخمسين حجة كما ذكر الكردري في المناقب (ص ٣٦٣).
(٦) هذا يختلج في القلب، فإن ظاهره أنه أعطاهم هذا المال رشوة، وهو حرام بعيد من مثل هذا الإمام الجليل، وقد اشتهر هو بالتقوى الذي لم يبلغه أفاضل الرجال وأكابر الأعلام، ثم رأيت العلامة الحصكفي رحمه الله تعالى ذكر هذه القصة، وقال: وفي حجته الأخيرة استأذن حجبة الكعبة بالدخول ليلاً فقام بين يدي العمودين الخ فذكر الاستئذان ولم يذكر إعطاء المال، وهو أحرى بالقبول.

كيف وسيد المرسلين والأولين والآخرين يقول: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وفي حديث الشفاعة العظمى في فصل القضاء أنه ﷺ يلهم عند سؤاله فيها محامد لم يكن ألهمها قبلُ، فهذه معارف متجددة وهكذا إلى ما لا نهاية له، ووقوفه على رجل في الصلاة مكروه عند غيره لصحة الحديث في النهي عنه، فنفرض أنه يرى كراهته، ويجاب عنه بأنه إنما فعل ذلك مجاهدة لنفسه، وليس ببعيد أن غرض مجاهدة النفس في ذلك ممن لم يختلْ به خشوعه مانع للكراهة، وختمه القرآن في ركعة لا ينافي خبر أن من قرأه في أقل من ثلاث لم يتفقه لأن محله فيمن لم تخرق له العادة في الحفظ والسهولة واتساع الزمن، ومن ثمة جاء عن كثير من الصحابة والتابعين أنهم كانوا يختمونه في ركعة بل ختمه بعضهم أربع مرات فيما بين المغرب والعشاء، وكل ذلك من باب الكرامات فلا يعترض به.

الفصل الخامس عشر

في خوفه ومراقبته لربه سبحانه وتعالى

قال أسد بن عمرو: كان بكاء أبي حنيفة يسمع بالليل حتى يرحمه جيرانه[١] وقال وكيع: كان والله عظيم الأمانة، وكان الله تعالى في قلبه جليلاً كبيراً وكان يؤثر رضا ربه تبارك وتعالى على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله تعالى لاحتمل، رحمه الله ورضي عنه ربه رضا الأبرار فلقد كان منهم[٢] وقال يحيى بن القطان كنت إذا نظرت إليه عرفت أنه يتقي الله عز وجل[٣] وقام ليلة بهذه الآية يردّدها ويبكي ويتضرع ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ﴾[٤] وبلغ في ليلة ﴿ألهاكم التكاثر﴾ فردّدها حتّى أصبح[٥] وقال يزيد بن الليث[٦] ـ وكان من الأخيار ـ قرأ الإمام ﴿إذا زلزلت الأرض﴾، وأبو حنيفة خلفه فلما فرغ نظرت إليه فإذا هو جالس يتفكّر ويتنفّس، فقمت لئلا يشتغل قلبه وتركت القنديل وزيته قليل ثم جئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزى بمثقال ذرة خيرٍ خيراً ويا من يجزى بمثقال ذرة شرٍ شراً أجر النعمان عندك من النار وما يقرب منها وأدخله في سعة رحمتك، قال فأتيت فإذا القنديل يزهو وهو قائم فلما دخلت قال لي: تريد أن تأخذ القنديل؟ قلت: قد أذنت لصلاة الغداة، قال: اكتم ما رأيت، وركع ركعتي الفجر، وجلس حتى أقيمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول[٧] الليل، وقال أبو الأحوص: لو قيل له إنك تموت إلى ثلاثة أيام ما كان فيه فضل شيء يقدر أن يزيد على عمله الذي كان يعمل[٨]، وذكر عند عيسى بن يونس قال فدعا له وقال: كان أشد اجتهاده في أن لا

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٤).
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٨).
(٣) عقود الجمان (ص ٢٢٤).
(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٧).
(٥) عقود الجمان (ص ٢٣٠).
(٦) في تاريخ بغداد (يزيد بن الكميت).
(٧) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٧).
(٨) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٦).

يعصي الله تعالى وأن يعظم حرماته[١] وقال لولا الحرج ما أفتيت، أخوف ما أخاف أن يدخلني النار ما أنا عليه من الفتوى[٢]، وقال ما اجترأت على الله تعالى منذ فقهت[٣]، وسمع غلامه يسأل الجنة فبكى حتى اختلج صدغاه ومنكباه وأمر بغلق الدكان وقام مغطى الرأس مسرعاً ثم قال: ما أجرأنا على الله، يقول أحدنا نسأل الله الجنة وإنما يسأل ذلك من رضى نفسه إنما يريد مثلنا أن يسأل الله العفو[٤] وقرأ الإمام يوماً في صلاة الصبح ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون﴾ فارتعد حتى عرف ذلك منه[٥]، وكان إذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه ما هذا إلا لذنب أحدثته فيستغفر الله، وربما قام فتوضأ وصلى ركعتين ويستغفر فتفرج له المسألة فيقول استبشرت لأني رجوت أنه تنيب عليٌ حتى أدركت المسألة، فبلغ ذلك الفضيل فبكى بكاء شديداً ثم قال: رحم الله أبا حنيفة إنما كان ذلك لقلة ذنوبه وأما غيره فلا يتنبه لذلك لأن ذنوبه قد استغرقته[٦].

ووطىء على رجل صبي لم يره، فقال يا شيخ أما تخاف القصاص يوم القيامة؟ فغشي عليه فلما أفاق قيل له ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الغلام؟ فقال أخاف أنه لقن[٧]، ورئي هو وابن المعتمر يتسازان ويبكيان في المسجد فلما خرج قيل له ما بالكما أكثرتما البكاء؟ قال ذكرنا الزمان وغلبة أهل الباطل على أهل الخير فكثر لذلك بكاؤنا[٨].

وكان عند صلاته بالليل يسمع وقع دموعه على الحصير كأنه المطر[٩] وكان أثر البكاء يرى في عينيه وخدّيه[١٠]، فرحمه الله ورضي عنه.

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٢٦).
(٢) أخبار أبي حنيفة (ص ٣٨) عقود الجمان (ص ٢٢٦).
(٣) و (٤) عقود الجمان (ص ٢٢٧).
(٥) عقود الجمان (ص ٢٢٨).
(٦) عقود الجمان (ص ٢٢٨).
(٧) و (٨) عقود الجمان (ص ٢٢٩).
(٩) عقود الجمان (ص ٢٣٠).
(١٠) قال عبد الرزاق بن همام ـ صاحب المصنف ـ كنت إذا رأيت أبا حنيفة رأيت أثر البكاء في عينيه وخديه (عقود الجمان ص ٢٢٥).

الفصل السادس عشر

في حفظ لسانه عما لا يعنيه وعن السوء ما أمكنه

قال له بعض مناظريه: يا مبتدع يا زنديق، فقال: غفر الله لك، الله يعلم مني خلاف ما قلت، وإني ما عدلت به أحداً منذ عرفته ولا أرجو إلا عفوه ولا أخاف إلا عقابه ثم بكى عند ذكر العقاب وسقط سريعاً ثم أفاق، فقال له الرجل: اجعلني في حلّ، فقال: كل من قال فيّ شيئاً من أهل الجهل فهو في حل، وكل من قال فيّ شيئاً مما ليس فيّ من أهل العلم فهو في حرج، فإن غيبة العلماء تبقى شيئاً بعدهم[(١)] وقال الفضل بن دكين: كان هيوباً لا يتكلم إلا جواباً، ولا يخوض فيما لا يعنيه ولا يستمع إليه[(٢)] وقيل له اتق الله فانتفض وطأطأ رأسه، ثم قال: يا أخي جزاك الله خيراً ما أحوج الناس كل وقت إلى من يذكرهم الله تعالى وقت إعجابهم بما يظهر على ألسنتهم من العلم حتى يريدوا الله تعالى بأعمالهم، وأنا أعلم أن الله عز وجل يسألني عن الجواب، ولقد حرصت على طلب السلامة[(٣)].

وكان إذا دخل عليه داخل وقال: كان كيت وكيت وأكثر قال له دع ما أنت فيه، ما تقول في كذا وكذا فيقطع عليه كلامه، ويقول: إياكم ونقل ما لا يحبه الناس من حديث الناس، عفا الله عمن قال فينا مكروهاً ورحم الله من قال فينا جميلاً، تفقهوا في دين الله وذروا الناس من حديث الناس وما قد اختاروا لأنفسهم فيحوجهمْ الله تعالى إليكم[(٤)]، وقيل له: أيهما أفضل علقمة أو الأسود؟ قال: والله ما قدري أن أذكرهما إلا بالدعاء والاستغفار إجلالاً لهما فكيف أفضل بينهما[(٥)]؟.

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٧).

(٢) عقود الجمان (ص ٢٢٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) عقود الجمان (ص ٢٢٨).

(٥) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٤).

وقال ابن المبارك للثوري: ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة، ما سمعته يغتاب عدواً له قط، قال: والله هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها(١).

وقال شريك: كان طويل الصمت، كثير العقل والفقه، قليل المجادلة للناس قليل المحادثة لهم(٢).

وقال ضمرة بن ربيعة: لم يختلف الناس أن أبا حنيفة كان مستقيم اللسان، لم يذكر أحداً بسوء(٣)، وقيل له: الناس يتكلمون فيك ولا تتكلم في أحد، قال: هو فضل الله يؤتيه من يشاء(٤).

وقال بكير بن معروف: ما رأيت رجلاً أحسن سيرة في أمة محمد ﷺ من أبي حنيفة(٥).

(١) تاريخ بغداد (١٣/٣٦٣)، أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣١).
(٢) مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي ص (١٧).
(٣) عقود الجمان (ص ٢٣٠).
(٤) عقود الجمان (ص ٢٣١).
(٥) المصدر السابق.

الفصل السابع عشر

في كرمه

قال غير واحد: إنه أكرم الناس مجالسة، وأكثرهم إكراماً ومواساة لأصحابه ولمن جلس إليه(١)، ومن ثمة كان يزوج من احتاج وينفق عليه ويرسل إلى كل منهم قدر منزلته(٢) ورأى على بعض جلسائه ثياباً رثة فأمره أن يجلس حتى يتفرق الناس ثم قال له: خذ ما تحت المصلي فتجمل به فإذا هو ألف درهم(٣)، وقال أبو يوسف كان لا يكاد يسأل حاجة إلا قضاها،(٤) ولما ختم حماد ولده سورة الفاتحة أعطى المعلم خمسمائة درهم وفي رواية ألف درهم فقال: ما صنعتُ حتى أرسل إليّ هذا، فأحضره واعتذر إليه وقال لا تستحقر ما علمتَ ولدي، والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيماً للقرآن(٥).

وكان يجمع ربح تجارته التي يرسلها إلى بغداد من السنة إلى السنة فيشتري بها لشيوخ المحدثين حوائجهم من نحو قوت وكسوة ثم يدفع الباقي إليهم فيقول أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله تعالى فإني ما أعطيتكم من مالي شيئاً ولكن من فضل الله يجريه على يدي(٦).

وقال وكيع: قال لي أبو حنيفة: ما ملكت أكثر من أربعة آلاف درهم منذ أربعين سنة إلا أخرجته ـ أي الأكثر ـ وأمسك الأربعة لقول عليّ كرم الله وجهه أربعة آلاف ودونه نفقة، ولولا أن أخاف أن أحتاج إلى هؤلاء ما أمسكت منها درهماً واحداً(٧)، وقال سفيان بن عيينة: كان أبو حنيفة كثير الصدقة، وكان كل ما يستفيده لا يدع منه شيئاً إلا أخرجه ولقد وجه إليّ هدايا استوحشت من كثرتها فشكوت ذلك لبعض أصحابه

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٠).

(٢) عقود الجمان (ص ٢٣٥).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦١).

(٤) المصدر السابق.

(٥) عقود الجمان (ص ٢٣٣).

(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٠).

(٧) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٥٠).

فقال لي: لو رأيت هدايا بعث بها إلى سعيد بن أبي عروبة؟ وما كان يدع أحداً من المحدثين إلا برّه براً واسعاً[١].

وقال مسعر: كان لا يشتري لنفسه وعياله كسوة أو فاكهة أو غيرهما إلا اشترى قبل ذلك لشيوخ العلماء مثل ذلك[٢] وقال أبو يوسف: كان يغتمّ لمن يشكره على شيء أعطاه إياه ويقول: اشكر الله تعالى فإنما هو رزق ساقه الله إليك، وكان يعولني وعيالي عشرين سنة، وإذا قلت له ما رأيت أجود منك يقول: كيف لو رأيت حماداً، وما رأيت أجمع للخصال المحمودة منه[٣].

وكانوا يقولون: أبو حنيفة زينه الله بالعلم والعمل والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التي كانت فيه[٤] وقال شقيق: كنت معه في طريق فرآه رجل فاختبأ منه وأخذ في طريق آخر فصاح به فجاء إليه فقال له لم عدلت عن طريقك؟ قال لك عليّ عشرة آلاف درهم وقد طال عليّ الوقت وأعسرت فاستحييت منك، فقال سبحان الله بلغ بك الأمر كل هذا؟ وهبته منك كله، وأشهدتُ على نفسي فلا تتوار واجعلني في حل مما دخل في قلبك مني، قال شقيق فعلمت أنه زاهد على الحقيقة[٥].

وقال الفضيل: كان أبو حنيفة معروفاً بكثرة الإفضال وقلة الكلام وإكرام العلم وأهله[٦].

وقال شريك: كان يغني من يعلّمه وينفق عليه وعلى عياله، فإذا تعلم قال له لقد وصلت إلى الغنى الأكبر بمعرفة الحلال والحرام[٧].

وحبس إبراهيم بن عيينة على أكثر من أربعة آلاف درهم فأراد بعض إخوانه أن يجمع له من الناس، فلما صار لأبي حنيفة أمره بردّ ما أخذه من الناس وقضى عنه جميع دينه[٨].

---

(١) أخبار أبي حنيفة (ص ٥٠).
(٢) أخبار أبي حنيفة (ص ٤٩).
(٣) عقود الجمان (ص ٢٣٥).
(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٩).
(٥) عقود الجمان (ص ٢٣٥).
(٦) عقود الجمان (ص ٢٣٦).
(٧) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٨).
(٨) عقود الجمان (ص ٢٣٧).

وأهدى إليه شخص شيئاً فكافأه بأضعافه، فقال له: لو علمتُ أنك تفعل ذلك ما أهديت لك، قال: لا تقل هذا فإن الفضل للسابق ألم تسمع إلى ما حدثني به الهيثم عن أبي صالح يبلغ به النبي ﷺ إنه قال: من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فأثنوا عليه فقال له هذا الحديث أحب إليّ من جميع ما أملك(١).

(١) عقود الجمان (ص ٣٣٧) والحديث رواه أبو داود في كتاب الزكاة (باب عطية من سأل بالله) عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: من استعاذ فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه.

الفصل الثامن عشر

في زهده وورعه

قال ابن المبارك: قدمت الكوفة، فسألت عن أزهد أهلها فقالوا: أبو حنيفة[١]، وأراد شراء جارية فمكث عشر سنين وفي رواية عشرين سنة يختار ويشاور من أي سبي سالم عن الشبهة يشتري، ما رأيت أحداً أورع منه، ما تقدرون أن تقولوا في رجل عرضت عليه الأموال العظيمة فنبذها، وضرب بالسياط فصبر على السراء والضراء ولم يدخل فيما كان غيره يطلبه ويتمناه[٢].

وقال مكي بن إبراهيم: جالست الكوفيين فلم أر فيهم أورع منه[٣] وقال الحسن بن صالح: كان شديد الورع، هائباً للحرام، تاركاً للكثير من الحلال مخافة الشبهة، ما رأيت فقيهاً أشد منه صيانة لنفسه ولعلمه، وكان جهاده كله إلى قبره[٤].

وقال النضر بن محمد: ما رأيت أشد ورعاً منه[٥].

وقال يزيد بن هارون: كتبت عن ألف شيخ حملت عنهم العلم فما رأيت فيهم أشد ورعاً ولا أحفظ لساناً منه[٦].

وقال الحسن بن زياد: والله ما قبل لأحد منهم ـ أي الأمراء ونحوهم ـ جائزة ولا هدية[٧]، وأرسل لشريكه متاعاً فيه ثوب معيب يبيعه ويبين ما فيه من العيب فباعه ولم يبين نسياناً وجهل المشتري، فلما

(١) عقود الجمان (ص ٢٣٩) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٥).

(٢) عقود الجمان (ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/٣٥٨).

(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٣).

(٥) ذكره الصيمري في كتابه (ص ٣٣) وزاد: ما كان يحسن الهزل، ولا يتكلم به، ولا رأيته مستجمعاً ضاحكاً قط ولكنه كان يتبسم.

(٦) المصدر السابق.

(٧) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٤).

علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله، وكان ثلاثين ألف درهم، وفاصل شريكه[١].

وذكر وكيع أنه كان جعل على نفسه إن حلف بالله صادقاً في عرض كلام تصدق بدرهم فحلف فتصدق به، ثم جعل على نفسه إن حلف تصدق بدينار، فكان إذا حلف تصدق بدينار[٢].

وقال حفص: صحبته ثلاثين سنة فلم أره أعلن خلاف ما أسر، وكان إذا دخلت عليه شبهة في شيء أخرج من قِبَله ذلك ولو بجميع ماله[٣].

وقال سهل بن مزاحم: كنا ندخل عليه فلا نرى في بيته إلا البواري[٤].

وقيل له تعرض عليك الدنيا ولك عيال، فقال: الله تعالى للعيال، وإنما قوتي أنا في الشهر درهمان، فما جمعي لمن يسألني الله تعالى عن الجمع لهم إن أطاعوه وإن عصوه، فإن رزق الله غادٍ ورائح على الفريقين[٥] ثم قرأ ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾[٦].

وحج بعض أصحابه وخلف عنده جارية فغاب أربعة أشهر، فلما قدم قال له: كيف وجدتها؟ قال من قرأ القرآن وحفظ على الناس دينهم يحتاج أن يصون نفسه عن الفتنة، والله ما رأيتها منذ خرجت إلى أن رجعت، فسألها عن أخلاقه فقالت: ما رأيت ولا سمعت مثله، ما رأيته اغتسل في ليل ولا نهار من جنابة، وما رأيته أفطر بالنهار قط، وكان يأكل آخر الليل ثم يرقد رقدة خفيفة ثم يخرج للصلاة[٧].

وجاءته امرأة بثوب خز يبيعه لها بمائة، فقال: هو خير من مائة بكم تقولين فزادت مائة مائة حتى قالت أربعمائة قال هو خير من ذلك،

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٤) تاريخ بغداد (٣٥٨/١٣) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي.
(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٩) تاريخ بغداد (٣٥٨/١٣).
(٣) عقود الجمان (ص ٢٤٨).
(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٥).
(٥) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٧).
(٦) سورة الذاريات الآية (٢٢).
(٧) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٨).

قالت تهزأ بي؟ قال هاتي رجلاً فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم[١].

وقال: لولا الخوف من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت أحداً يكون لهم الهناء وعليّ الوزر[٢].

ولما حبس ببغداد في محنته الآتية أرسل لولده حماد يقول: يا بُني! إن قوتي في الشهر درهمان فمرة للسويق ومرة للخبز وقد حُبستُ فعجّله[٣] ليّ[٤].

واختلطت غنم الكوفة بغنم مغصوبة فسأل كم تعيش الغنم قالوا سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين، ورأى تلك الأيام بعض الجند أكل لحماً ورمى فضلته في نهر الكوفة فسأل عن عمر السمك فقيل له كذا وكذا فامتنع من أكل السمك تلك المدة[٥] وقال بعض أئمة أصحابنا الشافعية الأستاذ أبو القاسم القشيري ـ في باب التقوى ـ في رسالته التي هي أعظم كتب السادة الصوفية قدس الله أرواحهم: كان أبو حنيفة لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول: كل قرض جر منفعة فهو ربا[٦]، ويوافقه قول يزيد بن هارون: ما رأيت أورع منه، رأيته جالساً يوماً في الشمس عند باب إنسان فقلت له يا أبا حنيفة لو تحولت إلى الظل، فقال: لي على صاحب هذه الدار دراهم، ولا أحبّ أن أجلس في ظل فناء داره، قال يزيد: فأي ورع أكثر من هذا، وفي رواية أنه سئل لما امتنع من الظل فقال لي على صاحب هذا الدار شيء فكرهت أن أستظل بظل حائطه فيكون ذلك جرّ منفعة، وما أرى ذلك على الناس واجباً ولكن العالم يحتاج أن يأخذ لنفسه من عمله بأكثر مما يدعو الخلق إليه[٧]، والآثار في ورعه كثيرة.

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٩).

(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٤).

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٦).

(٤) معناه ـ والله تعالى أعلم ـ إن عجل من مالي إليّ في السجن لئلا أضطر أن آكل من مال الحكومة.

(٥) عقود الجمان (ص ٢٤٤).

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

الفصل التاسع عشر

في أمانته

قال رجل بالشام للحكم بن هشام الثقفي: أخبرني عن أبي حنيفة، قال: كان أعظم الناس أمانة، وأراده السلطان أن يتولّى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابه على عذاب الله تعالى، فقال ما رأيت أحداً يصفه بمثل ما وصفته به، قال هو والله كما قلت[١]، وقال وكيع كان أبو حنيفة عظيم الأمانة[٢] وقال أبو نعيم والفضل بن دكين: كان أبو حنيفة حسن الديانة عظيم الأمانة[٣].

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٠).
(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٩).
(٣) عقود الجمان (ص ٢٣٩).

الفصل العشرون

في وفور عقله

روى الخطيب عن ابن المبارك: ما رأيت رجلاً أعقل منه[١]

وعن هارون الرشيد أنه ذكر عنده يوماً فترحم عليه، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه غيره بعين رأسه[٢]، وعن علي بن عاصم قال: لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم[٣] وعن محمد بن عبد الله الأنصاري. كان يتبين عقله في منطقه وفعله ومشيه ومدخله ومخرجه[٤]، وعن خارجة: لقيت ألفاً من العلماء فوجدت العاقل منهم ثلاثة أو أربعة فذكره في الثلاثة أو الأربعة[٥].

وعن يزيد بن هارون: أدركت الناس فما رأيت أحداً أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبي حنيفة[٦].

قال أبو يوسف: ما رأيت أحداً أكمل عقلاً ولا أتم مروءة من أبي حنيفة[٧]. وقال يحيى بن معين: كان أبو حنيفة أعقل من أن يكذب، ما سمعت أحداً يصفه ويذكره بمثل ما كان ابن المبارك يصفه ويذكره به من الخير[٨].

وذكر حماد ابنه عنه أنه احتبى بثوبه في المسجد فسقط في حجره من السقف حية عظيمة فلا والله ما تخلخل ولا تحول من مكانة ولا تغير، ثم قال: ﴿لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾، وأخذها بيده اليسرى

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٣).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٤).

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢٩).

(٨) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢٩).

فرماها بها عنه[١]، وقال الشافعي رحمه الله: ما قامت النساء عن رجل أعقل من أبي حنيفة[٢]، وقال أبو بكر بن حبيش: لو جمع عقله وعقل أهل زمنه لرجح على عقولهم[٣].

(١) نقله الصالحي في عقود الجمان (ص ٢٤٧) عن القاضي ابن كأس عن حماد بن الإمام، وذكره الخطيب في تاريخه عن ابن المبارك (١٣/ ٣٣٦).

(٢) عقود الجمان (ص ٢٤٧).

(٣) المصدر السابق.

الفصل الحادي والعشرون

في فراسته

منها: أنه قال لجماعة من أصحابه أموراً ستقع لهم فكان كما قال، منهم زفر، ومنهم داود الطائي، قال له: أنت تتخلى للعبادة، ومنهم أبو يوسف قال له أنت تميل إلى الدنيا فكان كما قال[١]، وقال: إذا رأيت الرجل طويل الرأس فاعلم أنه أحمق[٢].

وقيل له: كيف رأيت علماء المدينة، قال: إن أفلح منهم أحد فالأشقر الأزرق يعني مالك بن أنس، ولقد بر وصدق في فراسته لأن مالكاً بلغ من العلم والفلاح ما لم يلحقه أحد من أهل المدينة في عصره[٣].

وقال: إذا رأيت أحداً جيد الحفظ فاستمسك بجمعه، وإذا رأيت إنساناً طويل اللحية فاستمسك بحمقه، وإذا رأيت طويلاً عاقلاً فاستمسك به فإنه قلما تجد طويلاً عاقلاً[٤].

ولما حمل سفيان الثوري ومسعر وأبو حنيفة وشريك إلى المنصور[٥] قال لهم أبو حنيفة: أخمن فيكم تخميناً، أما أنا فأحتال لنفسي، وأما سفيان فيهرب من الطريق، وأما مسعر فيجنن نفسه، وأما شريك فيقع، فلما ساروا في الطريق قال سفيان أريد أن أتبرز فخرج معه الجندي فصار إلى حائط فجلس خلفه فمرت سفينة شوك فقال لهم إن هذا الذي خلف الحائط يريد أن يذبحني[٦]، فقالوا ادخل السفينة فدخل وغطوه بالشوك فمر على الجندي فلم يره فلما أبطأ ناداه يا أبا عبد الله فلم يجبه فجاءه فلم يره فرجع إلى صاحبه فضربه وشتمه، فلما دخل

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٤٨).

(٢) و (٣) و (٤) المصدر السابق.

(٥) دعاهم ليوليهم القضاء.

(٦) تأول في ذلك ما قال النبي ﷺ: من جعل قاضياً فكأنما ذبح بغير سكين. رواه الترمذي (أبواب الأحكام) وأبو داود (أول كتاب القضاء).

الثلاثة على المنصور بادر إليه مسعر فصافحه وقال: كيف حالك يا أمير المؤمنين وكيف جواريك وكيف دوابك توليني يا أمير المؤمنين القضاء؟ فقال رجل على رأسه هذا مجنون، قال صدقت أخرجوه فخلى سبيله، فدعا أبا حنيفة فجاء فقال يا أمير المؤمنين أنا النعمان بن ثابت ابن مملوك خزاز وأهل الكوفة لا يرضون أن يلي عليهم ابن مملوك خزاز قال صدقت، فذهب شريك يتكلم، فقال اسكت، فما بقي أحد غيرك خذ عهدك، فقال يا أمير المؤمنين: إن فيّ نسياناً فقال: عليك بمضغ اللبان، قال: وبي خفة، قال: تصنع لك الفالوذج تأكله قبل أن تجلس في مجلس الحكم، قال إني أحكم على الصادر والوارد، قال: احكم ولو على ولدي قال أفعل، فكان كما ذكر أبو حنيفة[1].

ومر عليه بالمسجد رجل فتفرس فيه أنه غريب في كمه حلاوة ومعلم صبيان، فكان كذلك فسُئل، فقال: رأيته ينظر يميناً وشمالاً وكذلك الغريب، ورأيت الذباب على كمه، ورأيته ينظر للصبيان[2].

---

(١) ذكر هذه القصة الموفق المكي في مناقب أبي حنيفة (١٦٣) والكردري في مناقبه (ص ٢١٨).

(٢) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ١٦٣) عقود الجمان (ص ٢٥٠).

الفصل الثاني والعشرون والثالث والعشرون

في عظيم ذكائه وأجوبته المسكتة عن الأسئلة المبهمة

من ذلك أن رجلاً ممن يكرهه سأله ما تقول في رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف من النار، ولا يخاف الله تعالى، ويأكل الميتة، ويصلي بلا ركوع ولا سجود، ويشهد بما لا يرى، ويبغض الحق، ويحب الفتنة، ويفر عن الرحمة، ويصدق اليهود والنصارى، فقال ألك بهذه علم قال: لا، ولكن لم أجد شيئاً هو أشنع من هذا، فسألتك عنه، فقال أبو حنيفة لأصحابه: ما تقولون في هذا الرجل، قالوا: شر رجل هذه صفة كافر، فتبسم، وقال: هو من أولياء الله تعالى حقاً، ثم قال للرجل: إن أنا أخبرتك أنه كذلك تكفّ عني لسانك وعن الحفظة ما يضرك؟ قال: نعم، قال: هو يرجو رب الجنة ويخاف رب النار، ولا يخاف الله تعالى أن يجور عليه في عدله وسلطانه، ويأكل ميتة السمك، ويصلي على الجنازة أو على النبي عليه السلام، ومعنى شهادته بما لا يرى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويبغض الحق الذي هو الموت ليطيع الله تعالى، والفتنة المال والولد، والرحمة المطر، ويصدق اليهود في قولهم: ليست النصارى على شيء، والنصارى في قولهم ليست اليهود على شيء، فقام الرجل وقبّل رأسه وقال: أشهد أنك على الحق[١].

ولما مرض أبو يوسف قال أبو حنيفة لئن مات هذا الغلام لم يخلفه أحد على وجه الأرض، فلما عوفي أعجب بنفسه وعقد له مجلساً في الفقه فانصرفت وجوه الناس إليه، فلما بلغ أبا حنيفة ذلك قال لبعض من عنده: اذهب إلى مجلس يعقوب وقل له ما تقول: في قصّار دفع إليه رجل ثوباً ليقصره بدرهمين ثم طلب ثوبه، فأنكره القصار ثم عاد له وطلبه فدفعه له مقصوراً ألهُ أجرة؟ فإن قال: نعم قل له أخطأتَ، أو لا

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢٦).

قل له أخطأت، فسار إليه الرجل فسأله فقال نعم له أجرة، فقال له أخطأت، فنظر ساعة فقال لا، فقال أخطأت، فقام من ساعته لأبي حنيفة فلما رآه قال ما جاء بك إلا مسألة القصار، قال: أجل! سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد لنفسه مجلساً يتكلم في دين الله تعالى وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات، فقال علمني قال إن كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة له لأنه إنما قصره لنفسه، أو قبل غصبه فله الأجرة لأنه قصر لصاحبه[١].

وحضر مع العلماء وليمة رجل زوج ابنتيه من أخوين فخرج الولي وهو يقول أصبنا مصيبة عظيمة غلطنا فزفت إلى كل واحد غير امرأته وأصابها، قال سفيان: لا بأس بذلك كما حكم به علي كرّم الله وجهه في ذلك بعينه، كان معاوية وجه إليه فيها فقال أرى على كلٍ المهر بما أصاب من المرأة، وترجع كل إلى زوجها فاستحسن الناس منه ذلك، وأبو حنيفة ساكت، فقال له مسعر: قل فيها، قال سفيان: وما عسى أن يقول فيها خلاف هذا، فقال أبو حنيفة: عليّ بالغلامين، فأحضرا، فقال لكل واحد منهما أتحب أن تكون عندك التي زفت إليك قال نعم، قال لكل واحد منهما فما اسم امرأتك التي عند أخيك قال هي فلانة، قال: قل هي طالق مني، ثم زوج كلاً التي مسها، وأمرهم بتجديد عرس آخر، فعجب الناس من فتياه بذلك حتى قام مسعر فقبله، وقال تلومونني على حبه وسفيان ساكت لا يقول شيئاً[٢].

تنبيه:

ما حكم به سفيان عن علي كرّم الله وجهه لا ينافي ما حكم به أبو حنيفة بل كلا الحكمين حق، فأما وجه ما حكم به سفيان فهو أن هذا الوطء وطء بشبهة وهو يجب فيه المهر ولا يرفع النكاح، وأما وجه ما حكم به أبو حنيفة فهو أن الحكم وإن كان كما قاله سفيان لكن ربما

---

(١) هذه القصة ذكرها غير واحد ممن ألف في مناقب الإمام، منهم الصيمري (ص ١٥) والخطيب في تاريخه (٣٤٩/١٣).

وذكر الحموي في أواخر كتابه (الأشباه والنظائر) أن المسائل التي امتحن بها الإمام أبا يوسف بعد ما جلس للتدريس كانت خمسة، فراجعه إن شئت.

(٢) هذه القصة ذكرها الصيمري في أخبار أبي حنيفة (ص ١٦) والكردري في مناقب أبي حنيفة (ص ١٩١) والحموي في الأشباه والنظائر (٤٢٧) وابن نجيم في البحر الرائق (١٥٣/٤).

ترتبت عليه مفسدة أي مفسدة لأن كلا لو رجعت إلى زوجها وقد وطئها الآخر واطلع على محاسنها الباطنة خشي أن تكون نفسه متعلقة بها وأنه لا يسلو عنه بل يزداد تعلقه بها إذا أخذت منه وصارت تحت غيره، فاقتضت الحكمة الظاهرة التي ألهمها الله لأبي حنيفة وأطلعه على ما يخشى وقوعه من الفساد لو بقيتا على فتوى سفيان أن يحكم بطلاق كل زوجته التي وطئها غيره وأن يتزوج كل من وطئها، ولا يحتاج[1] لعدة، لأن لصاحب عدة وطء الشبهة أن يعقد بالموطوءة فيها، ولأجل هذه المصلحة الظاهرة التي لا ينكرها أحد سكت سفيان على فتوى أبو حنيفة واستحسنها الناس منه حتى قبله مسعر لأجلها[2].

وكان في جنازة ابن هاشمي سيد فيها وجوه أهل الكوفة وعلماؤهم فبرزت أمه كاشفة رأسها ووجهها وألقت عليه ثوبها من شدة وجدها، فحلف زوجها بالطلاق لترجعين، وحلفت بعتق مماليكها أن لا ترجع حتى يصلي عليه، فوقف الناس ولم يتكلم فيها أحد، فسأل والده أبا حنيفة فاستعاد منه ومنها حلفهما، ثم أمره بالصلاة عليه، ثم أمرها بالرجوع، فقال له ابن شبرمة عجزت النساء أن يلدن مثلك، ما عليك في العلم كلفة[3].

وسأله رجل عن فتح خوخة في حائطه، فقال افتح ما شئت ولا تطلع على جارك، وشكاه إلى ابن أبي ليلى فمنعه، فعاد إلى أبي حنيفة فقال له افتح فيه باباً، فمنعه ابن أبي ليلى أيضاً، فعاد إلى أبي حنيفة فقال كم قيمة حائطك؟ قال ثلاثة دنانير! قال اهدمه ولك عليّ الثلاثة، فجاء ليهدمه فرفعه جاره إلى ابن أبي ليلى، فقال: يريد هدم حائطه وتسألني أن أمنعه، اذهب فاهدمه واصنع ما شئت في جدارك، فقال له الجار كان فتح الخوخة أهون عليّ، قال إذا كان يذهب إلى من يدلّه على خطىء فكيف أصنع إذا تبين الخطأ[4].

---

(١) في البحر الرائق: قال الإمام رضي الله تعالى عنه: يطلق كل زوجته ويعقد على موطوءته ويدخل عليها للحال لأنه صاحب العدة اهـ.

(٢) في الأشباه والنظائر أن سفيان هو الذي قبله بين عينيه.

(٣) ذكر الصيمري القصة بتمامها مفصلة (راجع ص ١٧).

(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ١٨).

وسأله ابن المبارك عن درهمين لرجل اختلطا بدرهم لآخر ثم ضاع منها اثنان لا يعلم من أيهما فقال: الدرهم الباقي لهما أثلاثاً، قال ابن المبارك: فلقيت ابن شبرمة فسألته، فقال: سألت عنها أحداً؟ قلت أبا حنيفة، قال قال لك: الدرهم الباقي لهما أثلاثاً؟ قلت نعم، قال أخطأ العبد، ولكن درهم من الدرهمين الضائعين يحيط العلم أنه من الدرهمين والدرهم الآخر منهما جميعاً فالباقي بينهما فاستحسنت ما قال، فلقيت أبا حنيفة ـ ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الأرض لرجحهم ـ فقال لي لقيتَ ابن شبرمة فقال لك قد أحاط العلم إن أحد الدرهمين ضائع وبقي الدرهم الباقي فهو بينهما، قلت نعم، قال إن الثلاثة حيث اختلطت وجبت الشركة بينهما فصار لصاحب الدرهم ثلث كل درهم ولصاحب الدرهمين ثلثاً كل درهم فأي درهم ذهب ذهب بحصتهما[1].

تنبيه:

ما قاله أبو حنيفة ظاهر عند من يسلم له إن الاختلاط مع عدم التمييز يقتضي الشركة على الشيوع، وما قاله ابن شبرمة له وجه عند من لا يرى الشركة، ووجهه أن أحد الدرهمين الضائعين يختص بصاحب الدرهمين يقيناً وبقي لكل درهم يحتمل أنه الموجود ولا مرجح لأحدهما فقسم الدرهم الباقي بينهما.

وكان بجواره فتى فأتى مجلسه فشاوره في التزوج من قوم مخصوصين طلبوا منه فوق وسعه، فأمره بالتزوج بعد الاستخارة ففعل، ثم أبوا أن يحملوها إليه إلا بعد وفاء كل المهر فذهب إليه وأعلمه بذلك، فقال: احتل واقترض حتى تدخل بأهلك وأقرضه في جملة من أقرضه، فلما دخل بها قال له ما عليك أن تظهر الخروج بها إلى موضع بعيد، ففعل فاشتد على أهلها فجاؤوا أبا حنيفة يشكونه ويستفتونه، فأفتاهم بأن له أن يخرجها إلى حيث يشاء، قالوا ما يمكننا أن ندعها تخرج معه، قال فأرضوه بردّ ما أخذتموه منه فرضوا منه، فقال له إنهم رضوا بأن يعطوك ما أخذوه من المهر ويبرؤك من الباقي، قال أريد فوق

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ١٩).

ذلك، فقال له: أيما أحب إليك[١]؟ هذا! وإلا أقرت المرأة لرجل بدين فلا يمكن لك السفر حتى توفيه، فقال: الله الله لا يسمعوا بهذا فلا يعطوني شيئاً.

وجاءته امرأة فقالت مات أخي وخلف ستمائة دينار فأصابني دينار واحد، قال: من قسم فريضتكم قالت: داود الطائي، قال ليس لك إلا هو، أليس أخوك خلف بنتين وأمّا وزوجة واثني عشر أخاً وأختاً؟ قالت نعم قال هو كذلك[٢].

وحضر يوماً مجلس ابن أبي ليلى فأذن للخصماء في الدخول ليريه إمضاءه في القضاء والحكم فادعى رجل على آخر أنه قال له يا ابن الزانية فقال القاضي للمدعى عليه ما تقول؟ فقال له أبو حنيفة كيف تسأله الجواب وليس هو الخصم وإنما الخصم أمه، فهل ثبت وكالته عنها؟ قال: لا، قال: فاسأله أحية أم ميتة؟ فسأله فقال ميتة، قال البينة؟ فأقامها بموتها، فسأل القاضي المدّعى عليه، فقال له سل المدّعِي هل لأمه وارث غيره فسأله قال: لا، قال: البينة بذلك، فأقامها، فسأل القاضي المدعى عليه، فقال سل المدعي أمه حرة أم أمة؟ فقال: حرة، قال البينة بذلك؟ فأقامها، فسأل القاضي المدّعى عليه، فقال: سل المدعي هل هي مسلمة أم ذمية؟ قال: مسلمة، قال: البينة بذلك؟ فأقامها، فقال أبو حنيفة شأنك الآن[٣].

ولما نزل قتادة الكوفة قال لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته، فقال له أبو حنيفة: ما تقول فيمن غاب عن أهله أعواماً ونعى إليها فظنت موته، فتزوجت، فقدم بعد ولادتها فنفاه الأول وادعاه الثاني أكل منهما قذفها أم المنكر للولد؟ ثم قال أبو حنيفة إن قال فيها برأيه ليخطئن، وإن قال فيها حديثاً ليكذبن، فقال قتادة أوقعت هذه

(١) نص عبارة كتاب الصيمري (ص ٢١) فقال له أبو حنيفة: أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك، وإلا أقرت المرأة بدين فلا يمكنك أن تحملها ولا تسافر معها حتى تقضي ما عليها من الدين، فقال الرجل: الله الله لا يسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيئاً فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر اهـ. وذكره الكردري أيضاً (ص ٢١٧).

(٢) في كتاب الصيمري قال أبو حنيفة: للبنات الثلثين أربعمائة، وللأم السدس مائة، وللمرأة خمسة وسبعون، ويبقى خمسة وعشرون، لكل أخ ديناران، فلك دينار (ص ٢١).

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري (ص ٢٢).

المسألة؟ قالوا: لا قال: فلم تسألون عما لم يكن؟ فقال أبو حنيفة؟ والخروج منه، فقال: قتادة دعوا هذا، واسألوني عن التفسير، قال أبو حنيفة: من الذي عنده علم من الكتاب، قال آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان يعرف الاسم الأعظم، قال فهل كان سليمان يعرفه أيضاً؟ قال لا! قال: أيجوز أن يكون في زمن نبي من هو أعلم منه؟ قال لا، والله لا أحدّثكم بشيء من التفسير، سلوني عما اختلف فيه العلماء، فقال أبو حنيفة: أمؤمن أنت قال أرجو، قال: ولم؟ قال لقوله تعالى: ﴿والَّذِي أطْمَعُ أن يَغْفِرَ لي خَطِيئَتِي يَومَ الدِّين﴾، فقال له: هلا قلت كما قال إبراهيم لما قال له: ﴿أوَ لَمْ تُؤْمِن قالَ بَلى ولكِنْ ليَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، فقام قتادة مغضباً وحلف أن لا يحدثهم[1].

قال رجل لامرأة مختلّة شيئاً، فقالت له يا ابن الزانيين، فشُكيت إلى ابن أبي ليلى فحدها حدين في المسجد قائمة، فقال أبو حنيفة أخطأ من ستة أوجه:

١ ـ أقام الحد على مجنونة.

٢ ـ وفي المسجد.

٣ ـ وضرب المرأة قائمة وهي إنما تضرب جالسة.

٤ ـ وأقام عليها حدين والقذف بكلمة واحدة، ولو قذف قوماً بكلمة لم يلزمه إلا حد واحد.

٥ ـ وضربها والحق للأبوين وهما غائبان.

٦ ـ وحد الثاني قبل البرء من الحد الأول، فشكاه للأمير فمنعه الإفتاء، ثم وردت مسائل لعيسى بن موسى فسأل عنها فأجاب بما استحسنه عيسى، فأذن له فجلس في مجلسه[2].

وقال له الضحاك: تب من تجويزك الحكمين، قال تناظرني، قال نعم، قال: فإن اختلفنا في شيء فمن يكون بيني وبينك، قال اجعل أنت من شئت، فقال لبعض أصحاب الضحاك: احكم بيننا، ثم قال للضحاك

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢٣) وتاريخ بغداد (١٣/٣٤٨) ووقع عند الخطيب أن الإمام سأل قتادة عن صداقها بعد أن رجع الزوج الأول، وفي مناقب الكردري (ص ١٧٧) أنه سأله أيهما يلاعن. وراجع الانتقاء (ص ١٥٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥١).

أترضى هذا حكماً بيني وبينك؟ قال نعم، قال أبو حنيفة: فأنت قد جوزت الحكمين، فانقطع الضحاك[1].

وسأل عطاء عن قوله تعالى: ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ فقال: رد الله تعالى على أيوب أهله ومثل أهله وولده، فقال: ويرد الله على نبي ولداً ليس له من صلبه؟ قال: ما سمعت فيها عافاك الله، قال رد عليه أهله وولده من صلبه ومثل أجور ولده فقال هذا أحسن[2].

تنبيه:

ما المانع أن المراد أن الله تعالى آتاه عدد أولاده ومثل ذلك العدد من زوجته التي قال الله تعالى في حقها ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ ولاَ تَحْنَثْ﴾ وهذا هو الظاهر من الآية كما لا يخفى.

وقال له رجل إني حلفت أن لا أكلم امرأتي أو تكلمني، وحلفت أن لا تكلمني أو أكلمها؟ فقال لا حنث عليكما، فسمع سفيان الثوري ذلك فجاء مغضباً وقال تبيح الفروج من أين لك هذا؟ قال: لما شافهته باليمين بعد ما حلف كانت مكلمة له فسقطت يمينه؟ فإن كلمها فلا حنث عليه ولا عليها، لأنها كلمته وكلمها بعد اليمين فسقطت عنهما، فقال له سفيان: إنه ليكشف لك من العلم عن شيء كلنا عنه غافلون[3].

وسأله ابن المبارك عمن وقع في قدر طبيخه طائر فمات، فقال لأصحابه ما ترون؟ فرووا له عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يهراق المرق ويغسل اللحم ويؤكل، فقال: هذا إن وقع في حال سكونها فإن وقع في حال غليانها ألقى اللحم، فقال له ابن المبارك: لم؟ قال: لوصول النجس إلى باطنه، بخلاف الأول لأنه إنما وصل إلى ظاهره فقط فأعجبه ذلك[4].

ونسي إنسان مالاً دفنه فجاء إليه فقال له ليس هذا فقهاً فأحتال

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٦٥).

(٢) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢١٧) وذكره الصيمري أيضاً في كتابه (٢٤) وعطاء هذا هو ابن أبي رباح شيخ الإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى.

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢٤).

(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٥) ومناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢١٧)، والانتقاء ص ١٥٦).

لك، ولكن اذهب فصل الليلة إلى الصبح فتتذكر، فصلى الرجل فذكر دون ربع الليل فجاءه فأخبره، فقال لقد علمتُ أن الشيطان لا يدعكَ تصلّي ليلة، ويحك هلا أتممت ليلتك شكراً لله تعالى[١].

وشكا إليه مودع إنكار وديعته لوديعه وحلف بالله وأكد أنه لم يودعه، فقال لا تخبر بجحوده أحداً، فأرسل أبو حنفة إلى وديعه، فجاء إليه فلما خلا بالوديع قال له إن هؤلاء بعثوا يستشيرون في رجل يصلح للقضاء فهل تنشط؟ فتمانع الرجل قليلاً فزاد في ترغيبه، ثم قال للمودع: اذهب فقل له أحسبُك نسيت، أودعتك كذا بعلامة كذا، فقال له ذلك، فدفع إليه وديعته، فرجع الوديع لأبي حنيفة يطلب أن يعيّنه للقضاء، فقال له إني أرفع من قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا[٢].

ودخل اللصوص على رجل فأخذوا ثيابه واستحلفوه بالطلقات الثلاث أن لا يعلم بهم أحداً، فحلف ثم أصبح يرى ثيابه تباع فلا يمكنه أن يتكلم، فسأل أبا حنيفة، فقال: أحضرني من أكابر حيّك، فأمرهم أن يجتمعوا جميعهم في موضع ويخرجوا واحداً واحداً، ويقال له هذا لصك؟ فإن لم يكن قال لا، وإن كان سكت، ففعلوا فسكت، فعرف اللص فرد عليه جميع ما أخذ منه، وبر في يمينه لأنه لم يخبر بهم أحداً[٣].

وسئل عن تنحنح المؤذنين عند الإقامة أله أصل؟ قال هو إعلام منهم بأنهم يريدون أن يقيموا، وقد روي عن علي كرّم الله وجهه أنه كان له مدخل من رسول الله ﷺ بالليل، قال: فكنت إذا جئت وهو في الصلاة آذنني بالتنحنح[٤].

وتزوج رجل بامرأة سرّاً فأتت بولد فجحده، فرفعته إلى ابن أبي ليلى فقال لها هاتي بينة على النكاح، فقالت: إنما تزوجني على أن الله

---

(١) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢٩)، أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢٧).

(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) عقود الجمان (ص ٢٧٠) وحديث علي رضي الله عنه أخرجه النسائي، كما في جمع الفوائد (في مناقب الإمام علي رضي الله عنه).

تعالى الولي والشاهدان الملكان، فطردها القاضي، فأتت أبا حنيفة وأخبرته فقال لها: اذهبي للقاضي وقولي له: أحضره لأقيم عليه بينة، فإذ أحضره قولي له: قل أنا كافر بالولي والشاهدين، فلم يستطع أن يقول ذلك وأقر بالنكاح فألزمه المهر وألحق به الولد[١].

تنبيه:

لا يتوهم من ذلك أن النكاح خلا عن الولي والشهود معاً فإنه حينئذ باطل بإجماع من يعتد به، وإنما الظاهر أنه كان سراً بشاهدين مجهولين، فلما لم تقدر المرأة على إثباته قالت ذلك، ثم أخبرها أبو حنيفة رحمه الله بما يلجئه إلى الإقرار إن صدقت، وكان ممن يخشى الله فكان الأمر كما ألهم رحمة الله عليه.

وطلب من ابن شبرمة أن يثبت له وصية له فقبل بينته، ثم قال له: احلف إن شاهديك شهدا بحق، قال: ليس عليّ يمين كنت غائباً، فقال: ضلت مقايسك قال: ما تقول في أعمى شج فشهد له شاهدان بذلك، أعليه يمين مع شاهديه أنهما شهدا له بحق وهو لم ير؟ فانقطع القاضي وحكم له بالوصية[٢].

وأنكر يحيى بن سعيد قاضي الكوفة إجماع أهلها على رأي أبي حنيفة، فأرسل إليه أصحابه يناظرونه منهم زفر وأبو يوسف، فقال له أبو يوسف: ما تقول في عبد بين اثنين أعتقه أحدهما، قال: لا يجوز لأنه ضرر وهو منهى عنه، قال فإن أعتقه الآخر؟ قال جاز، قال ناقضت إن كان عتق الأول لغواً فقد أعتقه الثاني وهو عبد، فلم ينفذ فسكت وانقطع[٣].

وقال الليث بن سعد كنت أسمع بذكر أبي حنيفة وأتمنى رؤيته، فإني بمكة إذ رأيت الناس مجتمعين على شخص، فسمعت إنساناً ينادي يا أبا حنيفة! فعلمت أنه هو، فسأله رجل، فقال له: إن لي مالاً كثيراً وولداً أزوجه وأنفق عليه المال الكثير فيطلق فيذهب مالي فهل لي من

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٧٠)، الانتقاء (ص ١٥٤).

(٢) ذكر الخطيب هذه القصة في تاريخ بغداد (١٣/٣٤٨).

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢٩).

حيلة؟ قال: ادخل به سوق الرقيق واشتر من يعجبه ثم زوجه إياها، فإن طلقها رجعت مملوكة لك، وإن أعتقها لم ينفذ عتقه، قال الليث فوالله ما أعجبني جوابه كما أعجبني سرعة جوابه(١).

وشك شخص في طلاق زوجته فسأل شريكاً، فقال طلقها ثم راجعها، والثوريّ فقال قل: إن كنت طلقتها فقد راجعتها، وزفر فقال هي امرأتك حتى تتيقن طلاقها، وأبا حنيفة فقال أما الثوري فأتاك بالورع وأما زفر فأتاك بعين الفقه، وأما شريك فهو كرجل قلت له لا أدري أصاب ثوبي بول أو لا فقال بُل على ثوبك فاغسله(٢).

تنبيه:

لا خلاف بين هؤلاء الأئمة في المعنى للإجماع على أن من شك من طلاق زوجته لا يلزمه شيء ـ بل هي في نكاحه ظاهراً ـ وإنما الخلاف في الأولى، فرأى شريك إيقاعه لأنه مع الشك غير جازم بالرجعة وتعليقها فيه خلاف، والثوري الرجعة مع التعليق ولم ينظر للخلاف فيه، وأعرض عن ذلك زفر وبين أصل الحكم وهو عدم الوقوع.

وكان الربيع حاجب المنصور معادياً له، فقصد أن يرميه عنده، فقال له: إنه يخالف جدك ابن عباس في قوله إن الاستثناء لا يشترط اتصاله، فقال يا أمير المؤمنين! إن الربيع يزعم أنه لا بيعة لك في رقاب جندك لأنهم يحلفون لك ثم يرجعون بمنازلهم ويستثنون فتبطل بيعتهم، فضحك المنصور وقال: يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة، فلما خرج قال له الربيع أردت قتلى، قال: لا، ولكنك الذي أردت قتلي، فخلصتك وخلصت نفسي(٣).

وقال بعض أعدائه اليوم أقتله عند المنصور، ثم سأله بين يديه فقال: يا أبا حنيفة إن الرجل منا يدعوه أمير المؤمنين فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدرى ما هو؟ أيسعه أن يضرب عنقه؟ قال: أمير المؤمنين يأمر

---

(١) مناقب الكردري (ص ٢١٩) الانتقاء (ص ١٥٣ و ١٥٤).

(٢) ذكره الذهبي في مناقب أبي حنيفة وصاحبيه (ص ٣٧)، والصالحي في عقود الجمان (ص ٢٧٢).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٥).

بالحق أو الباطل؟ قال: بالحق، قال أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه، ثم قال أبو حنيفة: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته[١].

وسرق طاؤس مملوك لجاره فشكا إليه، فقال اسكت ثم غدا للمسجد، فلما اجتمع أهله قال أما يستحيي من يسرق طاؤس جاره ثم يجيء يصلي وأثر ريشه برأسه، فمسح رجل رأسه، فقال له: يا هذا رُدّ على صاحبك طاؤسه، فرد[٢].

وكان الأعمش يغص منه لحدة في خُلقه، فوقع له أن حلف بطلاق امرأته إن أخبرته بفناء الدقيق أو كتبت به أو أرسلت أو ذكرت لأحد ليذكر له أو أومأت في ذلك، فتحيرت في ذلك، فقيل لها عليكِ بأبي حنيفة، فقصت عليه ذلك، فقال لها: إذا فرغ جراب الدقيق شُدّيه بثوبه وهو نائم فإذا استيقظ رآه وعلم فناء الدقيق، ففعلت فعلم فناءه وجعل يقول هذا والله من حيل أبي حنيفة، كيف نفلح وهو حي وهو يفضحنا في نسائنا يريهنّ عجزنا ورقة فهمنا[٣] وحلف رجل ليقربن امرأته نهاراً في رمضان فتحير الناس في المخرج من ذلك، فقال يسافر بها ويقربها حينئذ[٤].

وتنبأ في زمنه رجل، قال أمهلوني حتى آتي بعلامة، فقال من طلب منه علامة كفر لأنه بطلبه ذلك مكذب لقول النبي ﷺ لا نبي بعدي[٥] وتزوج أخرى على زوجته أم حماد، فقالت لا بد أن تطلقها ثلاثاً وإلا لا أصاحبك فاحتال وأمر الجديدة أن تدخل له عندها وتسأله أيحل للمرأة أن تهجر زوجها؟ فدخلت وسألته عن ذلك، فقالت أم حماد: لا بد أن تطلق الجديدة، فقال كل امرأة لي خارج هذه الدار فهي طالق ثلاثاً فرضيت ولم تطلق الجديدة[٦].

وقال له رافضي مَن أشد الناس؟ قال: أما على قولنا فعلي كرّم الله وجهه، لأنه علم أن الحق لأبي بكر فسلمه له، وأما على قولكم فأبو بكر لأنه أخذه من عليٍّ قهراً عليه، ولم يمكن علياً أن ينتزعه منه، فتحير

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٥).
(٢) عقود الجمان (ص ٢٧٥).
(٣) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ١٣٥).
(٤) عقود الجمان (ص ٢٧٦).
(٥) عقود الجمان (ص ٢٧٦).
(٦) المصدر السابق.

الرافضي(١) وسئل عمن طلق ثلاثاً إن اغتسل اليوم من جنابة، ثم طلق ثلاثاً إن ترك صلاة من صلوات يومه هذا، ثم طلق ثلاثاً إن لم يجامع امرأته في هذا اليوم، فقال: يصلي العصر ثم يجامعها ثم يغتسل بعد الغروب ويصلي المغرب والعشاء، أراد بصلوات اليوم الخمس(٢).

وسئل عمن قال وزوجته على سلم إن صعدت فأنت طالق وإن نزلت فأنت طالق ما الحيلة فيها؟ قال يحمل السلم وهي عليه فيوضع بالأرض أو تحمل بغير إرادتها فتوضع بالأرض(٣).

وعمن بيد امرأته قدح ماء فقال إن شربتيه أو صببتيه أو وضعتيه أو ناولتيه إنساناً فأنت طالق، قال: تنزل فيه ثوباً يتشفه به(٤).

وحلف رجل أن لا يأكل البيض ثم حلف ليأكلن ما في كم فلان فإذا هو بيض، فقال: تحضنه دجاجة فإذا خرج منه فرخاً شواه وأكله أو طبخه وأكله كله مع المرقة(٥).

تنبيه:

الحيلة عندنا في ذلك أن يجعله في ناطف ويبرُّ لأنه صدق عليه أنه أكل ما في كمه ولم يصدق عليه أنه أكل بيضاً لاستهلاكه، وولدت امرأة ولدين ظهرهما واحد فمات أحدهما، فقال علماء الكوفة: يدفنان جميعاً، وقال أبو حنيفة: يدفن الميت ويتوصل بالتراب إلى قطع الاتصال، ففعلوا فانفصل الحي وعاش وكان يسمى مولى أبي حنيفة(٦).

واجتمع في المدينة بمحمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، فقال له أنت خالفت أحاديث جدي ﷺ بالقياس، فقال: معاذ الله من ذلك، اجلس فإن لك حرمة كحرمة جدك ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ فجلس وجثا أبو حنيفة بين يديه، فقال له: الرجل أضعف أم المرأة؟ فقال المرأة! قال كم سهمها؟ قال نصف سهم الرجل! قال: لو

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٧٧).
(٢) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢٠).
(٣) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢١).
(٤) عقود الجمان (ص ٢٨٢).
(٥) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢١).
(٦) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢١).

قلت بالقياس لقلبت الحكم، ثم قال: الصلاة أفضل أم الصوم؟ قال الصلاة! قال لو قلت بالقياس لأمرت الحائض بقضائها دون قضائه، ثم قال: البول أفحش أو النطفة؟ قال البول! قال لو قلت بالقياس لأوجبت الغسل من البول دون المني، معاذ الله أن أقول على غير الحديث، بل أخدم قوله، فقام وقبّل وجهه[١].

وقدم غريبٌ الكوفة بزوجة فائقة الجمال فعلق بها كوفي وادّعى أنها زوجته وصُدّت عنه، وعجز زوجها عن إثبات نكاحه، وعرضت المسألة على أبي حنيفة فذهب هو وابن أبي ليلى وجماعة إلى رحل الزوج وأمر نسوة أن يدخلنه فعوت عليهن كلابه، ثم أمر المرأة أن تدخل فتبصبص حولها فقال الإمام ظهر الحق فاعترفت المرأة. (وكانت اعترفت قبل ذلك للمدعي الكاذب)[٢].

ونظير ذلك ما نقل عن علماء مذهبه أنه إذا خلا بامرأته ومعه كلبه صحت الخلوة وتأكد الصداق أو كلبها لم يتأكد[٣].

وأراه ابن هبيرة فصّاً مكتوباً عليه عطاء بن عبد الله وقال أكره التختم به لما كان اسم غيري عليه ولا يمكن حكه، فقال: دوّر رأس الباء يكون عطاء من عند الله، فتعجب من سرعة استخراجه[٤]، وقال له أكثر المجيء إلينا، قال: وما أصنع عندك؟ إن قربتني فتنتني وإن أقصيتني أخزيتني، وليس عندي ما أخافك عليه[٥] وقال ذلك أيضاً لما قال له كلّ من المنصور وأمير الكوفة عيسى بن موسى لو أكثرت المجيء إلينا[٦].

ودخل الضحاك[٧] المروزي الكوفة وأمر بقتل الرجال كلهم، فخرج إليه أبو حنيفة في قميص ورداء فقال له لم أمرت بقتل الرجال؟ قال: لأنهم مرتدون، قال: أكان دينهم غير ما هم عليه فارتدوا حتّى

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢٢).

(٣) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢٣).

(٤) و (٥) و (٦) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢٣).

(٧) هو الضحاك بن قيس الحروري رئيس الخوارج.

صاروا إلى ما هم عليه أم كان هذا دينهم؟ قال: أعد ما قلت، فأعاد، فقال الضحاك: أخطأنا فغمدوا سيوفهم ونجا الناس[١].

وفي رواية أن الخوارج لما دخلوا الكوفة ـ ورأيهم تكفير كل من خالفهم ـ قيل لهم عن أبي حنيفة هذا شيخ هؤلاء فأحضروه، وقالوا تب من الكفر، فقال: أنا تائب من كل كفر، فقيل لهم: إنه قال أنا تائب من كفركم فأخذوه، فقال لهم: أبعلم قلتم أم بظن؟ قالوا بظن. قال إن بعض الظن إثم، والإثم كفر عندكم فتوبوا من الكفر، قالوا تب أنت أيضاً من الكفر، فقال أنا تائب من كل كفر[٢].

تنبيه:

وقع لبعض حساد أبي حنيفة الذين ينتقصونه بما هو بريء منه أنه ذكر من مثالبه أنه كفر مرتين، واستتيب مرتين، وإنما وقع له ذلك مع الخوارج، فأرادوا انتقاصه به، وليس بنقص بل هو غاية في رفعته، إذ لم يوجد أحد يحاجُهم غيره رحمة الله عليه.

وأوصى رجل إلى آخر وسلمه كيساً فيه ألف دينار وقال إذا كبر ولدي فأعطه ما تحبّ، فلما كبر أعطاه الكيس دون ما فيه، فجاء الولد لأبي حنيفة وذكر له الخبر، فدعا الوصيَّ وقال: أعطه الألف، لأن الذي تحبه هو الذي أمسكته، إذ كل أحد غالباً إنما يمسك الذي يحبه ويعطي الذي لا يحبه[٣].

وكان بعض المحدثين يقع فيه، فوقع في ورطة لم ير من يخلّصه منها غيره، وهي أنه قال لزوجته إن سألتني الليلة الطلاق ولم أطلقك فأنت طالق، وقالت إن لم أسألك الليلة الطلاق فعبدي حر، فقال لها الإمام: سليه الطلاق وقال له: قل أنت طالق إن شئت، ثم قال: اذهبا فلا حنث عليكما: وقال له تب إلى الله من الوقيعة فيمن حمل إليك العلم، فتاب. وكانا بعد يدعوان له دبر كل صلاة[٤].

---

(١) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢٤).

(٢) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٢٤).

(٣) عقود الجمان (ص ٢٨١).

(٤) عقود الجمان (ص ٢٨٢)، وزاد: قال لها قولي لا أشاء.

وحلف شخص بالطلاق من زوجته إن لم تطبخ له قدراً فيها مكُوك ملح لا يظهر له أثر في الطعام المطبوخ، فسئل عنها فقال تطبخ بيضة في قدر وتلقي عليه الملح المحلوف عليه وأكثر منه(١).

وأراد جماعة من الدهرية قتله، فقال حتى أبحث في مسألة ثم شأنكم وما أردتم، فقال: ما تقولون في سفينة مشحونة بالأثقال في بحر ذي موج متلاطم بلا ملاح أيجوز هذا قالوا هذا محال، قال: أيجوز في العقل مثل وجود هذه الدنيا مع تباين أطرافها واختلاف أحوالها وأمورها وتغيير أعمالها وأفعالها من غير صانع حكيم ومدبر عليم، فتابوا جميعاً وغمدوا سيوفهم(٢).

وجاءه رجل له على آخر ألف أنكره وأراد الحلف وليس مع المدعي إلا شاهد واحد وعلم أبو حنيفة صدقه، فأمره أن يهبه لحاضر بحضرة شاهده ثم أمر الحاضر بالدعوى على المدين بالألف وأمر الشاهد والواهب أن يشهدا له بالألف ففعلا فحكم القاضي بالألف(٣).

وهذا الباب طويل، وفيما ذكرناه كفاية، على أن في بعض ما لم نذكره خللاً أو نزاعاً في ثبوته أوجب حذفه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ١٥١).

(٣) عقود الجمان (ص ٢٨٣).

الفصل الرابع والعشرون

في حلمه ونحوه

قال يزيد بن هارون: ما رأيت أحلم منه، كان له فضل ودين وورع وحفظ لسان وإقبال على ما يعنيه[١] وقال غيره شتمه رجل وأطال بنحو يا زنديق، فقال له غفر الله لك، هو يعلم مني خلاف ما تقول[٢].

وقال عبد الرزاق: ما رأيت أحلم منه، كنا معه بمسجد الخيف والناس حوله فسأله بصري عن مسألة فأجابه، فاعترضه بأن الحسن خالفه، فقال أخطأ الحسن، فقال له رجل: يا ابن الزانية أنت تقول أخطأ الحسن؟ فصاح الناس وهمّوا به فسكنهم أبو حنيفة وأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: نعم أخطأ الحسن وأصاب ابن مسعود فيما روى عن رسول الله ﷺ[٣]، وكان يقول: ما جازيت أحداً بسوء قط، ولا لعنت أحداً، ولا ظلمت مسلماً ولا معاهداً، ولا غششت أحداً، ولا خدعته[٤] وقيل له إن الثوري ينال منك ويتكلم فيك فقال غفر الله له ثم مدحه[٥]

وكان بجواره إسكاف إذا سكر يتغنى:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليومِ كريهة وسداد ثغر

ففقد صوته ليلة، فقيل أخذه العسس، فركب للأمير فزاد في تعظيمه وأمر بإطلاقه وإطلاق كل من مسك تلك الليلة وما بعدها، فركب راجعاً والإسكاف يمشي خلفه، فقال: يا فتى أضعناك؟ قال: لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً، ثم تاب وحسنت توبته ولازم مجلسه حتى صار فقيهاً[٦] وقال الوليد بن القاسم: كان كريم الطبع، عظيم

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٨٧).

(٢) مناقب أبي حنيفة للموفق (ص ٢٤٩).

(٣) عقود الجمان (ص ٢٨٧).

(٤) عقود الجمان (ص ٢٨٨).

(٥) المصدر السابق.

(٦) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٤٠)، تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٢) عقود الجمان (ص ٢٨٩).

التفقه والمواساة لأصحابه[(١)]، وقال عصام: لم يكن لأحد من الحق كما لأبي حنيفة على أصحابه، وكان الذباب إذا وقع على أحد منهم يرى مشقة ذلك عليه[(٢)] وقيل له عن بعضهم إنه سقط من سطحه، فصاح صيحة سمعها من في المسجد وقام فزعاً عليه حافياً، ثم بكى وقال: لو أمكنني حمل ذلك حملته، وكان يأتيه صباحاً ومساءً حتى برىء[(٣)].

وجاءه رجل فقال إني وضعت كتاباً على خطّك إلى فلان فأعطاني أربعة آلاف درهم، فقال أبو حنيفة إن كنتم منتفعين بهذا فافعلوه[(٤)].

وقال أبو معاذ: كان أبو حنيفة مع معرفته بقربى من سفيان ـ وبينهما ما بين الأقران ـ يقربني ويقضي حوائجي، وكان حليماً، ورعاً، وقوراً، قد جمع الله فيه خصالاً شريفة[(٥)].

وشتمه رجل وهو في درسه وأكثر، فما التفت إليه ولا قطع كلامه ونهى أصحابه عن مخاطبته، فلما فرغ وقام تبعه إلى باب داره فقام على بابه وقال: للرجل هذه داري إن كان بقي معك شيء فأتمه حتى لا يبقى في نفسك شيء، فاستحيى الرجل[(٦)].

وفي قصة أخرى أنه تبعه فلما دخل جعل يسبّ ويشتم فلم يجبه أحد فقال أتعدّونني كلباً، فقيل من داخل الدار نعم[(٧)].

وقال أبو يوسف: كان يحمل والدته على حمار إلى مجلس عمر[(٨)] بن ذر كراهية أن يرد أمرها، وقال أبو حنيفة: ربما ذهبت بها إلى مجلسه وربما أمرتني أن أذهب إليه وأسأله عن مسألة فآتيه وأذكره له وأقول له إن أمي أمرتني أن أسألك عنه، فيقول: وأنت تسألني عن هذا؟ فأقول هي أمرتني، فيقول قل لي كيف هو حتى أخبرك، فأخبره بالجواب ثم يخبرني به فآتيها وأخبرها عنه بما قال[(٩)].

---

(١) عقود الجمان (ص ٢٩١).

(٢) و (٣) عقود الجمان (ص ٢٩٦).

(٤) عقود الجمان (ص ٢٩١).

(٥) عقود الجمان (ص ٢٩١).

(٦) و (٧) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٨) هو عمر بن ذر بن عبد العزيز بن زرارة الهمداني الكوفي من رواة البخاري وأبي داود والترمذي والنسائي، ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٥).

(٩) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٥٢ ـ ٥٣)، عقود الجمان (ص ٢٩٢).

ونظير ذلك أنها استفتت عن شيء فأفتيتها فلم تقبله وقالت لا أقبل إلا قول زرعة القاص ـ أي الواعظ ـ فجاء بها إليه وقال: له إن أمي تستفتيك في كذا، فقال أنت أعلم وأفقه فأفتها، قال أفتيتها بكذا، فقال زرعة: القول ما قال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت[(١)].

وقال الجرجاني: سأله بحضرتي شاب فأجابه، فقال له أخطأت، فقلت لمن حوله: سبحان الله ألا تعظمون هذا الشيخ؟ فالتفت إليَّ فقال دعهم فإني قد عوّدتهم ذلك من نفسي[(٢)] وقال: ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وما مددت رجلي نحو داره وإن بيني وبينه سبع سكك، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه أو علمني[(٣)].

وقال ابن المبارك: ما كان أوقر من مجلسه، كان حسن السمت حسن الثوب حسن الوجه[(٤)].

وقال زفر: كان حمولاً صبوراً[(٥)]، ومر به سفيان بن عيينة ـ وقد ارتفع صوته وصوت أصحابه بالمسجد ـ فقال: يا أبا حنيفة هذا مسجد، والصوت لا يرفع فيه، فقال دعهم فإنهم لا يفقهون إلا به[(٦)].

وقال الرشيد لأبي يوسف: صف لي أخلاق أبي حنيفة، فقال: يا أمير المؤمنين! إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾، كان علمي به رحمه الله كان شديد الذبّ عن محارم الله تعالى أن تؤتى، شديد الورع، لا ينطق في دين الله بما لا يعلم، يحب أن يطاع الله تعالى ولا يعصى، مجانباً لأهل الدنيا في زمانهم، لا ينافس في عزّها، طويل الصمت، دائم الفكر، على علم واسع، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً، إن سئل عن مسألة وكان عنده فيها علم نطق به وأصاب فيها، وإن كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه، صائناً لنفسه ودينه، بذولاً للعمل والمال، مستغنياً بنفسه عن جميع الناس، لا يميل إلى طمع،

(١) عقود الجمان (ص ٢٩٣).
(٢) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ٢٥١).
(٣) عقود الجمان (ص ٢٩٣).
(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣).
(٥) عقود الجمان (ص ٢٩٤).
(٦) عقود الجمان (ص ٢٩٤).

بعيداً عن الغيبة، لا يذكر أحداً إلا بخير، فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين[١].

وقال المعافى الموصلي: كان فيه عشر خصال ما كانت واحدة منها في إنسان إلا صار رئيساً في وقته وساد قبيلته، الورع، والصدق، والعفة، ومداراة الناس، والمودة الصادقة، والإقبال على ما ينفع، وطول الصمت، والإصابة بالقول، ومعونة اللهفان ولو عدوّاً[٢].

وقال ابن نمير: كان يجلس ومعه أصحابه ـ كزفر وداود الطائي والقاسم بن معن ـ فيتطارحون مسألة فيما بينهم فيرتفع فيها أصواتهم ثم يتكلم أبو حنيفة فيسكتون حتى يفرغ، فيتحفظون ما تكلم به، فإذا أحكموا أخذوا في مسألة أخرى[٣] وكان يقول لو كان العوام لي عبيداً لأعتقتهم وتبرأت من ولائهم[٤].

(١) مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي (ص ١٦)، وعقود الجمان (ص ٢٩٤).
(٢) عقود الجمان (ص ٢٩٥).
(٣) عقود الجمان (ص ٢٩٥).
(٤) عقود الجمان (ص ٢٩٦).

الفصل الخامس والعشرون

في أكله من كسبه وردّه للجوائز

قد تواتر عنه رحمة الله عليه أنه كان يتجر في الخزّ مسعوداً ماهراً فيه، وله دكان في الكوفة وشركاء يسافرون له في شراء ذلك، ويبيعه مستغنياً بنفسه، لا يميل إلى طمع، ومن ثمة قال الحسن بن زياد: والله ما قبل لأحد منهم أي الخلفاء والأمراء جائزة ولا هدية[١]، ووصل إليه من المنصور ثلاثون ألف درهم في دفعات، فقال له: يا أمير المؤمنين إني ببغداد غريب وعندي ودائع الناس وليس لها عندي موضع فاجعلها في بيت المال، فأجابه، فلما مات أخرجت ودائع الناس من بيت المال فرأوها، فقال المنصور خدعنا أبو حنيفة[٢].

وقال خاجة بن مصعب: أجازه المنصور بعشرة آلاف درهم فخشي أنه إن ردّها غضِبَ وإن قبلها دخل عليه في دينه ما يكرهه، فشاورني فقلت هذا مال عظيم في عينه إذا دُعيت لقبضه فقل لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين فدعى لقبضه، فقال ذلك، فبلغ المنصور فحبس الجائزة، فكان يكاد لا يشاور في أمره غيري[٣].

وخاصمت المنصور زوجته في ميله عنها وطلبت العدل ثم رضيت أن يكون أبو حنيفة حكماً بينهما، فأحضر وجلست خلف الستر فقال له المنصور كم يحل من النساء؟ قال أربع، قال: ومن الإماء قال ما شاء، قال: هل يجوز لأحد أن يقول بخلاف ذلك، قال: لا، قال اسمعي يا هذه، ثم قال: يا أمير المؤمنين! إنما أحل الله تعالى ذلك لأهل العدل وإلا فالواحدة قال تعالى: ﴿فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة﴾ الآية، فينبغي لنا أن نتأدب بآداب الله تعالى فنتعظ بمواعظه، فسكت المنصور، فلما خرج أبو حنيفة أتبعته هدية سنية فردّها عليها، وقال إنما ناضلت عن دين الله لا تقرّبا لأحد ولا طلباً لدنيا[٤].

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٤).
(٢) تاريخ بغداد (١٣/٣٥٩).
(٣) المصدر السابق.
(٤) عقود الجمان (ص ٢٩٨).

الفصل السادس والعشرون

في ملبسه

قال حماد ولده: كان حسَن الهيئة، كثير التعطر، يعرف بالريح الطيبة قبل أن يرى[١]، وقال أبو يوسف كان يتعهد شسعه حتى لم ير منقطع الشسع[٢]، وقال غيرهما: كان يلبس قلنسوة طويلة سوداء[٣]، قال النضر قال لي ـ وقد أراد الركوب ـ أعطني كسائك وخذ كسائي ففعلت، فلما رجع قال لي أخجلتني بغلظ كسائك، وكان بخمسة دنانير، ثم رأيت عليه كساء قومته بثلاثين ديناراً، وقوم رداءه وقميصه بأربعمائة درهم، وكان له لباس جبة فنك وجبة سنجاب ثعلب يصلي فيها ورداء عليه علم وسبع قلانس إحداهن سوداء[٤].

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣١).

(٢) عقود الجمان (ص ٣٠٠).

(٣) المصدر السابق.

(٤) عقود الجمان (ص ٣٠١).

الفصل السابع والعشرون

في شيء من حكمه وآدابه

كان يتمثل كثيراً بقول القائل (شعر):

كفى حزناً أن لا حياة هنيئة   ولا عمل يرضى به اللهُ صالح[١]

وكان يقول: من تكلم في شيء من العلم ونقده ـ وهو يظن أن الله تعالى لا يسأله عنه كيف أفتيت في دين الله ـ فقد سهلت عليه نفسه ودينه[٢]، وقال: من طلب الرياسة قبل وقتها عاش في ذل، وقال: لا يعرف الفقه وقدره وقدر أهله من كان ثقيل المجالسة، وقال: رأيت المعاصي ذلة فتركتها مروءة فصارت ديانة، وقال: من لم يمنعه العلم عن محارم الله تعالى فهو من الخاسرين[٣]، وقال: جمع الهم بحذف العلائق بأن لا يأخذ إلا قدر حاجة يعين على حفظ الفقه[٤]، وقال: إن لم يكن أولياء الله تعالى في الدنيا والآخرة العلماء فليس لله ولي[٥].

وأفتى بعد الصبح في مسائل فأجاب فيها فقيل له أليس كانوا يكرهون الكلام في مثل هذا الوقت إلا بخير؟ فقال أبو حنيفة: وأي خير أكثر من أن يقول هذا حلال وهذا حرام، ننزه الله ونحذر الخلق من معاصيه، إن الجراب إذا فرغ من الزاد جاع صاحبه[٦]، وأتى إليه رجل

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٦).

(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٦).

(٣) ذكر هذه الأقوال الصالحي في عقود الجمان (راجع ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٤) فيه اختصار مخل، وقد ذكره الصالحي في عقود الجمان (ص ٣٠٣)... عن وكيع بن الجراح قال: سمعت رجلاً يسأل أبا حنيفة بم يستعان على الفقه حتى يحفظ؟ قال بجمع الهم! قال وبم يستعان على جمع الهم؟ قال: بحذف العلائق، قال وبم يستعان على حذف العلائق؟ قال: تأخذ الشيء عند الحاجة ولا تزده اهـ. وذكره الكردري في المناقب (ص ٣٥٠) ولفظه قال بجمع الهمة، قيل ومما يستعان على جمع الهمة قال بترك العلائق الخ.

(٥) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٣٤٣).

(٦) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٥).

بكتاب شفاعةً ليحدثه، فقال: ما هكذا يطلب العلم قد أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه، لا يكون العالم له خواص ولكن يعلّم الناس ويريد الله بتعليمه[١].

وقال لبعض الناس: لا تسألني عن أمر الدين وأنا ماشٍ أو أحدِّث الناس أو نائم أو متكىء، فإن هذه الأماكن لا يجتمع فيها عقل الرجال[٢] وسئل عن علي ومعاوية وقتلى صفين، فقال: أخاف أن أقدم على الله تعالى بشيء يسألني عنه ولو سكت لم أسأل عنه، بل عما كلفت به فالاشتغال به أولى[٣]، وقال لأصحابه إن لم تريدوا بهذا العلم الخير لم توفقوا[٤]، وكان يقول: عجبت لقوم يقولون بالظن ويعملون به والله تعالى يقول لنبيه ﷺ ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾[٥].

تنبيه:

يتعين تأويل كلامه هذا رحمة الله عليه على أن تعجبه إنما هو ممن يقول بالظن أو يعمل به في العقائد المطلوب فيها اليقين أو في الفروع وليس مجتهداً ولا مقلداً لمجتهد، بخلاف المجتهد ومقلديه لأن الفقه من باب الظنون، وإن قيل الحكم معلوم والظن إنما هو في طريقه ولذا عبروا في حده بأنه العلم بالأحكام إلخ.

وقال من تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم يرسخ في قلبه ولم ينتفع به كثيراً أحد، ومن تعلمه للدين بورك له فيه ورسخ في قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه[٦] وقال لإبراهيم بن أدهم: يا إبراهيم إنك قد رزقت من العبادة شيئاً صالحاً فليكن العلم من بالك فإنه رأس العبادة وبه قوام الأمور[٧]، وقال: من يطلب الحديث ولم يتفقه كان كمن يجمع

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٧).
(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢٩).
(٣) ذكره الصالحي في عقود الجمان (ص ٣٠٥) ولفظه: وإذا أقامني يوم القيامة بين يديه لا يسألني عن شيء من أمورهم، يسألني عما كلفني، فالاشتغال به أولى اهـ.
(٤) عقود الجمان (ص ٣٠٥).
(٥) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٣٤٨) والآية من سورة الإسراء.
(٦) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٣٠٥).
(٧) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٣٤٩).

الأدوية ولا يدري منافعها حتى يجيء الطبيب، هكذا المحدث لا يعرف وجه حديثه حتى يجيء الفقيه[١]، إذا أردت حاجة من حاجات الدنيا فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يغير العقل، وظاهر أن مراده الأكل الكثير[٢]، وقال له المنصور: لِمَ لَمْ تغشنا؟ قال لأنه ليس عندي ما أخافك عليه وإن قربتني فتنتني وإن أقصيتني أخزيتني[٣]، وقال لأمير الكوفة: كسرة خبز وقعب ماء وفرو ثوب مع السلامة خير من العيش في نعيم يكون من بعده ندامة[٤]، وكان يقول إذا تُكلم عنده في الناس: إياكم ونقل ما لا يحبه الناس، عفا الله عمن قال فينا مكروهاً، ورحم الله من قال فينا جميلاً، تفقهوا في دين الله تعالى، وذروا الناس وما قد اختاروا لأنفسهم فيحوجهم الله تعالى إليكم[٥]، وقال من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وكل شدة فيها[٦]، وقال: من قطع عليك حديثك فلا تُعده فإنه قليل المحبة في العلم والأدب، وقال: لا تجمع لحبيبك الذنوب وهو نفسك والمال لبغيضك وهو الوارث[٧]، وقال: ما قاتل أحد علياً إلا وعلي أعلى بالحق منه، ولولا ما شاع من علي فيهم ما علم أحد كيف السيرة في قتال بغاة المسلمين[٨].

ونظير هذا قول الشافعي ـ رحمه الله ـ: أخذت أحكام البغاة وقتالهم من قتال علي لمعاوية رضي الله عنهما.

وأجاب أبو حنيفة في مسألة فقيل له: لا يزال هذا المصر أي الكوفة بخير ما أبقاك الله تعالى فيه فقال (شعر):

خلت الديار فسُدْتُ غير مسوَّدٍ ومن العناء تفردي بالسؤدد[٩]

(١) عقود الجمان (ص ٣٠٦).
(٢) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٣٥٠).
(٣) عقود الجمان (ص ٣٠٦).
(٤) المصدر السابق.
(٥) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٣٥١) عقود الجمان (ص ٣٠٦).
(٦) ذكره الكردري في المناقب (ص ٣٥٤) ونصه: من أراد أن ينجو من عذاب الآخرة لا يبالي عذاب الدنيا، ومن كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وكل شدة فيها.
(٧) عقود الجمان (ص ٣٠٧).
(٨) المصدر السابق.
(٩) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٣٤٥).

وتقدم ولده حماد ليصلي بالناس فأخذ أبو حنيفة بمجامع ثوبه فأخره وقدم غيره، فقال يا أبت تفضحني؟ قال بل أردت أن تفضح نفسك فمنعتك، إذ لو صليت فقال قائل أعيدوا صلاتكم خلف هذا فسطر في الكتب ويبقى عاره إلى يوم القيامة[١].

(١) عقود الجمان (ص ٣٠٩).

الفصل الثامن والعشرون

في محنته لما أرادوا توليته الوظائف الجليلة كالقضاء ونظر بيت المال فامتنع

وقال الربيع: أرسلني لإحضاره يزيد بن عمرو بن هبيرة متولى العراق لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأراده على بيت المال فأبى فضربه أسواطا[١].

وبسطُ هذه القصة إن ابن هبيرة كان والياً على العراق من بني أمية فظهرت الفتنة بالعراق فجمع فقهاء العراق فولّى كلاً منهم شيئاً من عمله، وأرسل إلى أبي حنيفة ليكون على خاتمه ولا ينفذ كتاب ولا يخرج شيء من بيت المال إلا من تحت يده، فامتنع، فحلف إن لم يفعل ليضربنه، فقال له الفقهاء ننشدك الله أن لا تهلك نفسك فإننا إخوانك وكلنا كاره لهذا الأمر ولم نجد بدّاً من قبوله، فأبى وقال لو أرادني أن أعُدّ له أبواب المسجد لم أفعل فكيف وهو يريد أن يكتب بضرب عنق رجل مسلم ـ أي مثلاً وخص ذلك لأن القتل أعظم الكبائر بعد الشرك ـ وأختم أنا على ذلك الكتاب، فوالله لا أدخل في هذا أبداً، فحبسه صاحب الشرطة جمعتين لم يضربه ثم ضربه أربعة عشر سوطاً، وفي رواية أنه ضرب أياماً متوالية فجاء رجل لابن هبيرة فقال له إن الرجل ميت، فقال قل له يخرجنا من يميننا، فسأله فقال لو سألني أن أعُدَّ له أبواب المسجد ما فعلت، دعوني أستشير إخواني في ذلك، فاغتنم ابن هبيرة ذلك فأمر بتخليته فركب دوابه وهرب إلى مكة سنة مائة وثلاثين فأقام بها إلى أن صارت الخلافة للعباسية، فقدم الكوفة زمن المنصور فأكرمه وأجلّه وأمر له بعشرة آلاف درهم وجارية فأبى قبول ذلك.

وروى الخطيب واقعة أخرى له مع ابن هبيرة هي: أنه كلمه في أن

---

(١) عقود الجمان (ص ١٣١١ ـ ٣١٢).

يلي الكوفة فأبى عليه، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله[(١)]، وفي رواية أنه أمره بولاية القضاء فامتنع فحبسه، فقيل له إنه حلف أن لا يخرجك حتى تلي ولاية، وإنه يريد بناء تعد له اللبن، فقال والله لو سألني أن أعدَّ له أبواب المسجد ما فعلت[(٢)]، ولما خلى سبيله قال كان غم والدتي بضربي عليّ أشد من الضرب[(٣)]، وفي رواية أنه أمر بضربه على رأسه فانتفخ رأسه ثم أمر بإطلاقه[(٤)] وذكر أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول له: أما تخاف الله تعالى تضرب رجلاً من أمتي بلا جرم وهدده فأرسل إليه فأخرجه وإستحله[(٥)] وكان أحمد بن حنبل لما ضرب في محنته يتذكر حال أبي حنيفة ويترحم عليه[(٦)] ووقع له مع المنصور نحو ذلك، وذلك أن ابن أبي ليلى قاضي الكوفة لما مات قال المنصور خلت الكوفة من حاكم عدل ثم أمر بحمل أبي حنيفة ومسعر والثوري وشريك فحملوا إليه، فقال لهم أبو حنيفة أخمن فيكم تخمينا، أما أنا فأحتال وأتخلص، وأما مسعر فيتجانن[(٧)]، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك فيقع، فلما قربوا من بغداد أظهر سفيان أنه يريد قضاء الحاجة فجلس الموكَّل به ينتظره، فرأى سفينة فقال لملاّحها إن لم تمكني منها ذُبحت، تأول قوله ﷺ «من جعل قاضياً فقد ذُبح بغير سكين» ودفع للملاح دراهم، فلما لم يجده الموكل به هرب أيضاً، فلما دخلوا على المنصور تقدم إليه مسعر فقال له: هات يدك كيف أنت ودوابك وأولادك، فقال: أخرجوه فإنه مجنون، وعرض على أبي حنيفة تولية القضاء فأبى عليه فحلف ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فأعاد المنصور، فأعاد أبو حنيفة، فقال له الربيع الحاجب: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف، قال هو أقدر على كفارة يمينه مني على كفارة يميني، فأمر بحبسه ثم دعا به فقال أترغب عما نحن فيه؟ فقال أصلح الله أمير

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٦).

(٢) مناقب أبي حنيفة وصاحبيه (ص ١٥).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٧).

(٤) و (٥) عقود الجمان (ص ٣١٣).

(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٧).

(٧) تفاعل من الجنون: يعني أنه يظهر من نفسه أنه مجنون.

المؤمنين، يا أمير المؤمنين اتق الله ولا تشرك في أمانتك من لا يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟ فلا أصلح لذلك، فقال: كذبت أنت تصلح لذلك، فقال يا أمير المؤمنين: قد حكمت على نفسك إن كنتُ صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح، وإن كنت كاذباً فكيف يحل لك أن تولّي قاضياً كاذباً، ومع ذلك فإني رجل مولى ولا يكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى، فأمر به إلى الحبس، وعرض على شريك ذلك فقبله فهجره الثوري فقال أمكنك الهرب فلم تهرب[1]، وما قيل إنه تولى عدّ اللبن أياماً ليكفر عن يمينه ردّه الأئمة بأن الصحيح أنه توفى في السجن[2] من الضرب أو السم كما يأتي.

(١) عقود الجمان (ص ٣١٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٨)، مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي (ص ١٦) ومرت القصة في الفصل الحادي والعشرين، فليراجع.

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٨).

الفصل التاسع والعشرون

في سنده في القراءة

جاء في عدة طرق أنه أخذ القراءة عن الإمام عاصم أحد القراء السبعة، ووقع لجماعة من المفسرين وغيرهم أنهم نسبوا إليه قراءات شاذة اختار القراءة بها، وقد شنع أئمة من الحفاظ المتأخرين عليهم من ذلك، وأنهم اغتروا في نقل ذلك عنه على كتاب لشخص اسمه محمد بن جعفر الخزاعي ألّفه في قراءات أبي حنيفة، وقد صرح جماعة ـ منهم الدارقطني ـ بأن ذلك الكتاب موضوع لا أصل له وأبو حنيفة بريء من ذلك، إذ هو أعقل وأدين من أن يعدل عن القراءات المتواترة إلى قراءات شاذة، ولا وجه لكثير منها.

الفصل الثلاثون

في سنده في الحديث

مرّ أنه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم، ومن ثمة ذكره الذهبي وغيره في طبقات الحفاظ من المحدثين[١]، ومن زعم قلة اعتنائه بالحديث فهو إما لتساهله أو حسده، إذ كيف يتأتى لمن هو كذلك استنباط مثل ما استنبطه من المسائل التي لا تحصى كثرة، مع أنه أول من استنبط من الأدلة على الوجه المخصوص المعروف في كتب أصحابه ـ رحمة الله عليهم ـ ولأجل اشتغاله بهذا الأهم لم يظهر حديثه في الخارج.

كما أن أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ لما اشتغلا بمصالح المسلمين العامة لم يظهر عنهما من رواية الأحاديث مثل ما ظهر عمن دونهما حتى صغار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وكذلك مالك والشافعي لم يظهر عنهما مثل ما ظهر عمن تفرغ للرواية ـ كأبي زرعة وابن معين ـ لاشتغالهما بذلك الاستنباط، على أن كثرة الرواية بدون دراية ليس فيه كبير مدح، بل عقد له ابن عبد البر باباً في ذمه[٢] ثم قال: الذي عليه فقهاء جماعة المسلمين وعلمائهم ذم الإكثار من الحديث بدون تفقه ولا تدبر[٣].

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٨).

(٢) راجع جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٢٠).

(٣) زاد ابن عبد البر بعد هذه العبارة: والمكثر لا يأمن مواقعة الكذب على رسول الله ﷺ لروايته عمن يؤمن وعمن لا يؤمن (جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٤٢).

قلت! وكان هذا الاستكثار من رواية الحديث في عصر ابن عبد البر وفي الأعصار قبله، وبقي أيضاً في قرون بعده، فأما اليوم فقد أصيب العلم لأنه ترك دراسة الحديث، ولم يبق في أكثر الممالك إلا العلم القليل، لنيل شهادة الماجستير أو شهادة الدكتوراه، يكتبون بحثاً حول موضوع يجوّزه أصحاب الجامعات، فإذا نال الشهادة حسب أنه علامة كبير وحاذق بصير، مع أنه لا يعلم إلا ما بحث وكتب حول موضوعه الذي جوز له، وفيه تعلم لغير الدين وقد جاء في ذمه أحاديث النبي ﷺ، ويتدارسون في الجوامع أحاديث منتخبة حسب اختيار الأساتذة الذين يجعلون في المقرر الدراسي عدة أحاديث تؤيد مسلكهم لا يسردون كتب الحديث من أوائلها=

وقال ابن شبرمة: أقل الرواية تفقه[١]، وقال ابن المبارك: ليكن الذي يعتمد عليه الأثر، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث[٢]، ومن أعذار أبي حنيفة أيضاً ما يفيده قوله[٣] لا ينبغي للرجل أن يحدث من الحديث إلا بما حفظه يوم سمعه إلى يوم يحدث به، فهو لا يرى الرواية إلا لمن حفظه.

وروى الخطيب عن إسرائيل بن يونس أنه قال: نعم الرجل النعمان ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه وأعلم بما فيه من الفقه[٤].

وعن أبي يوسف: ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث ومواضع النكت التي فيه من الفقه من أبي حنيفة[٥] وقال أيضاً: ما خالفته في شيء قط فتدبرته إلا رأيت مذهبه الذي ذهب إليه أنجى في الآخرة، وكنت ربما ملت إلى الحديث فكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني[٦]، وقال كان إذا صمم على قول دُرت على مشايخ الكوفة هل أجد في تقوية

= إلى أواخرها، حتى إن مثل بلوغ المرام الكتاب المختصر لا يدرسونه بتمامه، ومع ذلك للمتخرجين من كلياتهم غرور في العلم وطعن على الأئمة وتشنيع على السلف، وهذه حال أكثر الممالك، اللهم إلا ما بقي من دراسة كتب الحديث من أولها إلى آخرها في مدارس الهند والباكستان التي يديرها المشايخ الديوبنديون، فيسردون الأحاديث ويدرسونها ويحدثون بها بإتقان وإمعان، وكلام على الرواة، وبيان المذاهب، وذكر الدلائل، وترجيح الراجح، مع اهتمام بالغ بإنهاء الكتب من أولها إلى آخرها، ولا يأخذون الأموال من الحكومات، بل يكتفون باليسير مما يحصل لهم من أصحاب الخير عامة المسلمين، ويقتنعون بالقليل، كثر الله تعالى أمثالهم وبارك في جهودهم ومساعيهم، وقد أظهر هذه الشكوى الشيخ محمد أبو زهو في كتابه «الحديث والمحدثون» ص ٤٥٢، فيقول بعد ذكر جهود أكابر السلف: أما فيما بعد ذلك إلى عصرنا الحاضر، فقد فترت الهمم حتى عن قراءة كتب الحديث فضلاً عن القيام بأعمال التدوين، وأصبح الناس يقرؤون صحيح البخاري لمجرد التبرك، بل نقول أكثر من ذلك، إنه قد انقطعت الصلة بين علمائنا اليوم وبين هذه الثروة الطائلة من كتب الحديث قديمها وحديثها، حتى أن كثيراً منهم لا يدري إذا ذكر عنده اسم كتاب منها ما موضوعه، أفي الحديث هو أم في الفقه، أم في التاريخ، أم في السيرة؟ اللهم إلا بعض أفراد قصروا حياتهم على حفظ السنة ومطالعة الكتب، والقيام بما وفقهم الله إليه من انتقاء بعض المتون الحديثة اهـ.

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٢٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٥٥).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٩).

(٥) و (٦) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٠).

قوله حديثاً أو أثراً؟ فربما وجدت الحديثين والثلاثة فأتيته بها، فمنها ما يقول فيه هذا غير صحيح أو غير معروف، فأقول له: وما علمك بذلك مع أنه يوافق قولك؟ فيقول: أنا عالم بعلم أهل الكوفة[١].

وكان عند الأعمش فسُئل عن مسائل، فقال لأبي حنيفة ما تقول فيها؟ فأجابه قال: من أين لك هذا؟ قال من أحاديثك التي رويتُها عنك وسرد له عدة أحاديث بطرقها، فقال الأعمش حسبك ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في ساعدة واحدة، ما علمت أنك تعمل بهذه الأحاديث، يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة، وأنت أيها الرجل أخذت بكلا الطرفين[٢] وقد خرج الحفاظ من أحاديثه مسانيد كثيرة اتصل بنا كثير منها كما هو مذكور في مسندات مشايخنا[٣] وحذفتها لطول الكلام عليها مع أنه ليس فيها كثير غرض.

---

(١) عقود الجمان (ص ٣٢١).

(٢) عقود الجمان (ص ٣٢١).

(٣) راجع جامع مسانيد الإمام الأعظم لأبي المؤيد الخوارزمي (١/ ٦٩) وعقود الجمان (ص ٣٢٢ إلى ٣٣٤).

الفصل الحادي والثلاثون

في سبب وفاته

مرّ أن المنصور طلبه للقضاء وأن يكون قضاة بلاد الإسلام من تحت أمره، فامتنع، فحلف وغلظ إن لم يفعل ليحبسنه وليشددنّ عليه، فامتنع فحبسه، وكان يرسل له إن أحببت الخلاص فاقبل فيمتنع، ولما شدد الامتناع أمر أن يخرج كل يوم فيضرب عشرة أسواط وينادي عليه في الأسواق، فأخرج وضرب ضرباً موجعاً حتى سال الدم على عقبيه ونودي عليه وهو كذلك في الأسواق، ثم أعيد إلى الحبس وضيق عليه تضييقاً شديداً حتى في مأكله ومشربه ثم فعل به ذلك الضرب الشديد والنداء في اليوم الثاني والثالث ثم هكذا إلى عشرة أيام، فحينئذ بكى وأكّد الدعاء فتوفي بعد خمسة أيام، وروى جماعة أنه رفع إليه قدح فيه سم ليشرب فامتنع، وقال: إني لأعلم ما فيه ولا أعين على قتل نفسي، فطرح ثم صب في فيه قهراً فمات، وقيل إن ذلك كان بحضرة المنصور، وصح أنه لما أحسّ بالموت سجد فخرجت نفسه وهو ساجد[1].

قيل الامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هذه القتلة الشنيعة، وإنما السبب في ذلك أن بعض أعداء أبي حنيفة دسّ إلى المنصور أن أبا حنيفة هو الذي أثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ابن علي ـ رضي الله عنهم ـ الخارج عليه بالبصرة، وإن أبا حنيفة قوّاه بمال كثير فخاف خوفاً شديداً ولم يقر له قرار، فخشي المنصور من ميله إلى إبراهيم لأنه أعني أبا حنيفة كان وجيهاً ذا مال واسع من التجارة، فطلبه لبغداد ولم يجسر على قتله بغير سبب، فطلب منه القضاء مع علمه بأنه لا يقبله ليتوصل بذلك إلى قتله[2].

---

(١) عقود الجمان (ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٢٩٩ إلى ٣٠١).

(٢) راجع تاريخ بغداد (١٣/٣٢٩) عقود الجمان (ص ٣٥٩).

الفصل الثاني والثلاثون

في تاريخ وفاته

اتفقوا على أنه رحمة الله عليه مات سنة مائة وخمسين، عن سبعين سنة، والقول الذي إنه مات في مائة سنة وإحدى وخمسين غلط. كما صرحوا به[١] قال كثيرون: وكان موته في رجب وقيل شعبان وقيل نصف شوّال ولم يخلف غير ولده حماد[٢].

(١) عقود الجمان (ص ٣٦٠) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٨٩).

(٢) عقود الجمان (ص ٣٦٠) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٨٩).

الفصل الثالث والثلاثون

في تجهيزه

لما توفي رحمة الله عليه أخرج من مكان حبسه فحمله خمسة أنفس إلى أن أتوا به إلى مكان غسله، فغسله الحسن بن عمارة قاضي بغداد وصب عليه أبو رجاء عبد الله بن واقد الهروي، ولما فرغ الحسن من غسله قال رحمك الله لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة، كنت أفقهنا وأعبدنا وأزهدنا وأجمعنا لخصال الخير وقبرت إذ قبرت إلى خير وسنة، وأتعبت من بعدك، وما فرغوا من غسله إلا وقد اجتمع من أهل بغداد خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى كأنه نودي لهم بموته، وحزر من صلى عليه فقيل: بلغوا خمسين ألفاً وقيل: أكثر، وأعيدت الصلاة عليه ست مرات آخرها ابنه حماد، ولم يقدر على دفنه إلى بعد العصر من الزحام، ومكث الناس يصلون على قبره نحو عشرين يوماً، وأوصى أن يدفن بمقابر الخيزران بالجانب الشرقي لأن أرضها طيبة غير مغصوبة[1].

ولما بلغ المنصور ذلك قال من يعذرني فيك حياً وميتاً[2] ولما بلغ ابن جريج ـ فقيه مكة وشيخ شيخ الشافعي ـ موته استرجع وقال أي علم ذهب[3].

ولما بلغ شعبة استرجع وقال: طفيء عن الكوفة نور العلم، أما إنهم لا يرون مثله أبداً[4].

وبعد مدة طويلة بنى على قبره الملك أبو سعد المستوفى الخوارزمي قبة عظيمة وإلى جانبها مدرسة.

---

(١) عقود الجمان (ص ٣٦٠ ـ ٣٦١)، أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٨٨)، مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٢) عقود الجمان (ص ٣٦١).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٨) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص ٣٠٣).

(٤) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ٣١٩).

الفصل الرابع والثلاثون

فيما سُمع من الهواتف بعد موته

جاء عن صدقة المغابري ـ وكان مجاب الدعوة ـ أنه لما دفن أبو حنيفة سمع صوتاً في الليل ثلاث ليال يقول (شعر):

ذهب الفقه فلا فقه لكم   فاتقوا الله وكونوا خلفاً
مات نعمان فمن هذا الذي   يحيي الليل إذا ما سجفا

وقيل إن الجن بكته ليلة مات، فكانوا يسمعون الصوت بهذين البيتين ولا يرون صورة الشخص[١].

(١) عقود الجمان (ص ٣٦٢).

الفصل الخامس والثلاثون

في تأدب الأئمة معه في مماته كما هو في حياته وأن قبره يزار لقضاء الحوائج

اعلم أنه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره ويتوسلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك، منهم الإمام الشافعي رحمه الله لما كان ببغداد، فإنه جاء عنه قال إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعا(١).

وذكر بعض المتكلمين على منهاج النووي أن الشافعي صلى الصبح عند قبره فلم يقنت، فقيل له لم؟ قال تأدباً مع صاحب هذا القبر! وذكر ذلك غيره أيضاً وزاد أنه لم يجهر بالبسملة(٢)، ولا إشكال في ذلك خلافاً لمن ظنه، لأنه قد يعرض للسنة ما يرجح ترك فعلها لكونه الآن أهم منها، ولا شك أن الإعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد، وأنه عند الاحتياج إليه ـ لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل ـ أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة للخلاف فيهما وعدم الخلاف فيه، ولأن نفعه متعدٍ ونفع ذينك قاصر.

ولا شك أيضاً أن الإمام أبا حنيفة كان له حساد كثيرون في حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم وسعوا في قتله تلك القتلة الشنيعة السابقة، ولا شك أيضاً أن البيان بالفعل أظهر منه بالقول، لأن دلالة الفعل عقلية ودلالة القول وضعية، وهي يتصور فيها التخلف عن مدلولها

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٨٩) جامع المسانيد (١/ ١٢٠) وذكره الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ١٢٣) قال صاحب تانيب الخطيب (ص ١٦) رجال هذا السند كلهم موثقون عند الخطيب اهـ.

(٢) عقود الجمان (ص ٢٦٣). قال الشاه ولي الله قدس سره في حجة الله البالغة (١/ ١٥٩) وصلى الشافعي رحمه الله الصبح قريباً من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله تعالى فلم يقنت تأدباً معه، وقال أيضاً ربما انحدرنا إلى مذهب أهل العراق اهـ.

بخلاف الدلالة الفعلية إذ الدلالة على كرم زيد بفعله للكرم لا يشبهها الدلالة على كرمه بقوله إني كريم.

وإذا تمهدت هذه الدواعي اتضح أن فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله للقنوت والجهر إظهاراً لمزيد التأدب مع هذا الإمام ولمزيد شرفه وعلوه وأنه من أئمة المسلمين الذين يقتدي بهم ويجب عليهم توقيرهم وتعظيمهم، وأنه ممن يستحيي منه ويتأدب معه من أن يفعل بحضرته خلاف قوله بعد وفاته، فكيف في حياته؟ وإن الحاسدين له خسروا خسراناً مبيناً وأنهم ممن أضله الله على علم، ولما وقف ابن المبارك على قبره قال: رحمك الله مات إبراهيم النخعي وحماد بن سليمان وتركا خلفاً ومتَّ أنت ولم تترك على وجه الأرض خلفاً، ثم بكى بكاء شديد[١] وقال الحسن بن عمارة على قبره: كنتَ لنا خلفاً ممن مضى وما تركت بعدك خلفاً، إن خلفوك في العلم الذي علمتهم لم يمكنهم أن يخلفوك في الورع إلا بتوفيق[٢].

(١) مناقب أبي حنيفة للمكي (ص ٤٥٥).

(٢) عقود الجمان (ص ٣٦٤).

الفصل السادس والثلاثون

في بعض منامات حسنة رآها ورؤيت له

روي أنه رأى الله تبارك وتعالى تسعاً وتسعين مرة فقال في نفسه لئن رأيته تمام المائة لأسألنه بم تنجو الخلائق من عذابه، فرآه تبارك وتعالى فسأله فأجابه، ومرّ أنه رأى كأنه ينبش قبر النبي ﷺ وإن ابن سيرين وتلميذه أوّلاها بأنه يُظهر أخبار رسول الله ﷺ وينشر علماً لم يسبقه إليه أحد قبله، قال هشام: فنظر أبو حنيفة وتكلم حينئذ[1] ورأى هذه الرؤيا له بعض أصحابه أيضاً وإن الناس ينظرون إليه ولا ينكر عليه أحد منهم، ثم تناول من ذلك التراب قدراً كثيراً فنفخه في الهواء من الجهات الأربع فهالته، فقصها على ابن سيرين، فقال: ويحك إن هذا الذي رأيت لرجل جليل عظيم إن كان فقيهاً أو عالماً قلت إنه فقيه، قال: فوالله ليظهرن هذا الرجل من علم رسول الله ﷺ ما لا يظهره الناس، وليذهبنّ اسمه شرقاً وغرباً وفي جميع تلك النواحي التي ذر ذلك التراب فيها[2].

وقال أزهر بن كيسان: رأيت النبي ﷺ وخلفه أبو بكر وعمر فقلت لهما أسأل رسول الله ﷺ عن شيء؟ قالا: سل ولا ترفع صوتك، فسألته عن علم أبي حنيفة لأني كنت زاهداً فيه، فقال: هذا علم انفتح من علم الخضر[3].

ورُئيت ثلاثة نجوم سقطت من السماء مترتبة فكانت أبا حنيفة ثم مسعراً ثم الثوري، فذكر ذلك لمحمد بن مقاتل فبكى، وقال: العلماء نجوم الأرض[4].

---

(١) عقود الجمان (ص ٣٦٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ذكره الموفق في مناقب أبي حنيفة (ص ٤٥٧) ولفظه، انتسخ من علم الخضر عليه السلام.

(٤) ذكره الموفق المكي عن أبي الفتح العطار عن الإمام الحافظ أبي أحمد العسكري بإسناده إلى الحمّاني قال سمعت أبي الخ (ص ٤٥٧).

ورأى هو رسول الله ﷺ في المحشر قائماً على حوضه وعن يمينه إبراهيم الخليل عليه السلام يضع خده على صدر النبي ﷺ ثم أبا بكر هكذا حتى عد سبعة عشر شيخاً ورأى أمام الحوض بعض جيرانه وبين يديه إناء فسأله أن يناوله ليشرب فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ فسأله فأذن له فأعطاه كأساً فشربه وسقى أصحابه كلهم فلم ينقص منه قدر أنملة، وكان ذلك ماء أبيض من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل[١].

ورأى بعض الأبدال محمد بن الحسن فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: قال إني لم أجعل جوفك وعاء للعلم وأريد أن أعذبك، فقلت له ما فعل بأبي يوسف؟ قال فوقي، قلت: فما فعل بأبي حنيفة؟ قال في أعلى عليين، وفي رواية فوق أبي يوسف بطبقات[٢].

ورؤي بعض الصالحين فقيل له ما فعل الله بك، قال غفر لي وباهى به وبأبي حنيفة النعمان بن ثابت الملائكة، ونحن وهو في أعلى عليين[٣]، وقام شخص لمقاتل بن سليمان في حلقته فقال رأيت كأن رجلاً نزل من السماء وعليه ثياب بيض فقام على أطول منارة ببغداد ونادى ماذا فقد الناس؟ فقال مقاتل: لئن صدقت رؤياك ليفقدنَّ أعلم أهل الدنيا، فلم يمت إلا أبو حنيفة فاسترجع مقاتل ثم قال: مات من كان يفرج عن أمة محمد ﷺ[٤].

وعن أبي معافى الفضل بن خالد قال: رأيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله! ما تقول في علم أبي حنيفة؟ فقال: ذلك علم يحتاج الناس إليه[٥].

وعن مسدّد بن عبد الرحمن البصري أنه نام بمكة بين الركن والمقام قبيل الفجر، فرأى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ﷺ ما تقول في هذا الرجل بالكوفة النعمان بن ثابت آخذ من علمه؟ فقال ﷺ: خذ

---

(١) هذه رؤيا أبي حنيفة ذكرها الموفق المكي في مناقب أبي حنيفة (ص ٤٥٩).
(٢) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ٤٥٤).
(٣) عقود الجمان (ص ٣٧٠).
(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٨٨) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ٤٥٦).
(٥) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ٤٥٦).

من علمه واعمل بعلمه، فنعم الرجل هو، قال فقمت وكنت أكره الناس للنعمان، وأنا أستغفر الله مما كان مني[١].

ورأى بعض أئمة الحنابلة النبي ﷺ قال: فقلت له: يا رسول الله! حدثني عن المذاهب، فقال المذاهب ثلاثة، فوقع في نفسي أنه يخرج مذهب أبي حنيفة لتمسكه بالرأي، فابتدأ وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد، ثم قال ومالك أربع أربعة، فقلت أيها خير؟ فغالب ظني أنه قال مذهب أحمد[٢].

تنبيه:

زعم بعض حاسديه أنه رؤي له منامات بضد ذلك.

منها أن الزبير بن أحمد رأى رسول الله ﷺ وأبا حنيفة على يساره فالتفت وقال له فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، والشافعي عن يمينه فالتفت وقال له «**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**»، وليس هذا المنام بصحيح لأن الإمام الحافظ الديلمي صاحب الفردوس شافعي ومع ذلك روي عن المظفر عن الأستاذ الحافظ أبي جعفر القايني أنه رأى مناماً طويلاً مشتملاً على أشياء سألها عن رسول الله ﷺ، منها اختلاف الأئمة فقال ﷺ كل في اجتهاده مصيب، فقال: يا رسول الله ﷺ أبو حنيفة يقول: المجتهدان مصيبان والحق في واحد، والشافعي يقول المجتهدان مصيب ومخطىء معفوّ عنه، فقال ﷺ هما قريبان في المعنى وإن كانا مختلفين في اللفظ، فقلت: يا رسول الله ﷺ فأيهما أولى بالأخذ؟ فقال كلاهما على الحق، قلت: فما معنى قول الزبير بن أحمد وذكر ما مر عنه فقال ﷺ لا أحفظه ولو قلت لقلت لكليهما «**أولئكَ عَلَى هُدى مِنْ رَبِّهِم**» قلت الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، وأرجو أن يكون اختلافهم رحمة[٣] ومنها منام آخر نحو ذلك حذفته لشناعته ويكفي في ردّه ما مر له من المنامات، على أنها كثيرة فإنما اقتصرت منها على غررها اختصاراً.

---

(١) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (ص ٤٥٩).

(٢) عقود الجمان (ص ٣٧٤).

(٣) عقود الجمان (ص ٣٧٦).

الفصل السابع والثلاثون

في الرد على من قدح في أبي حنيفة بتقديمه القياس على السنة

قال الحافظ ابن عبد البر ما حاصله: أفرط أصحاب الحديث في ذم أبي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك لتقديمه القياس على الأثر، وأكثر أهل العلم يقولون إذا صح الحديث بطل الرأي والقياس، لكنه لم يردُ إلا بعض أخبار الآحاد بتأويل محتمل، وكثير منه قد تقدمه إليه غيره وتابعه عليه مثله، وجل ما يوجد له من ذلك تبع فيه أهل علم بلده كإبراهيم النخعي وأصحاب ابن مسعود إلا أنه أكثر من ذلك هو وأصحابه، وغيره إنما يوجد له ذلك قليلاً، ومن ثمة لما قيل لأحمد ابن حنبل ما الذي نقمتم عليه؟ قال الرأي! قيل أليس مالك تكلم بالرأي؟ قال بلى ولكن أبو حنيفة أكثر رأياً منه، قيل فهلا تكلمتم في هذا بحصته وهذا بحصته؟ فسكت أحمد، قال الليث بن سعد أحصيت على مالك سبعين مسألة قال فيها برأيه وكلها مخالفة لسنة رسول الله ﷺ ولقد كتبت إليه أعظه في ذلك.

ولن نجد أحداً من علماء الأمة أثبت حديثاً عن رسول الله ﷺ ثم رده إلا بحجة كادعاء نسخ بأثر مثله أو بإجماع أو بعمل يجب على أصله الانقياد إليه أو طعن في سنده، ولو رده أحد من غير حجة لسقطت عدالته فضلاً عن إمامته، ولزم اسم الفسق، ولقد عافاهم الله من ذلك، وقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم من اجتهاد الرأي والقول بالقياس على الأصول ما يطول ذكره، وكذلك التابعون وعدد منهم خلقاً كثيرين. انتهى كلام ابن عبد البر[١] وفيه جواب شاف عن ذلك القدح فتدبره.

والحاصل أن أبا حنيفة لم ينفرد بالقول بالقياس بل على ذلك عمل

(١) راجع جامع بيان العلم وفضله (١٤٨/٢).

فقهاء الأمصار كما قاله ابن عبد البر وبسط الكلام عليه رداً على من جهل فجعل ذلك عيباً.

تنبيه:

قد عدّ جماعة الإمام أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ من المرجئة، وليس هذا الكلام على حقيقته.

أما أولاً: فقال شارح المواقف كان غسان المرجىء يحكي ما ذهب إليه من الإرجاء عن أبي حنيفة ويعدّه من المرجئة، وهو افتراء عليه قصد بن غسان ترويج مذهبه بنسبته إلى هذا الإمام الجليل الشهير.

وأما ثانياً: فقد قال الآمدي: لعل عذر من عدّه من مرجئة أهل السنة أن المعتزلة كانوا في الصدر الأول يلقبون من خالفهم في القدر مرجئاً، أو لأنه لما قال: الإيمان لا يزيد ولا ينقص ظن به الإرجاء بتأخير العمل عن الإيمان[1]، وليس كذلك إذ عُرِف منه المبالغة في العمل والاجتهاد فيه.

---

(١) اعلم أن الإرجاء إرجاءان، إرجاء أهل السنة وإرجاء أهل الضلالة، وأبو حنيفة الإمام وتلامذته وشيوخه وغيرهم من الرواة إنما عُدّوا من مرجئة أهل السنة لا من مرجئة أهل الضلالة، وقد فصل الكلام في ذلك الفاضل اللكنوي في كتابه الرفع والتكميل، وقال في أثناء بحثه: وخلاصة المرام في هذا المقام:

أن الإرجاء قد يطلق على أهل السنة والجماعة من مخالفيهم المعتزلة الزاعمين بالخلود الناري لصاحب الكبيرة، وقد يطلق على الأئمة القائلين بأن الأعمال ليست بداخلة في الإيمان وبعدم الزيادة فيه والنقصان ـ وهو مذهب أبي حنيفة وأتباعه ـ من جانب المحدثين القائلين بالزيادة والنقصان وبدخول الأعمال في الإيمان (إلى أن قال) وإذا انتقش هذا كله على صحيفة خاطرك فاعرف: أنه لا تنبغي المبادرة نظراً إلى قول أحد من أئمة النقد ـ وإن كان من أجلّة المحدثين في حق أحد الراوين إنه من المرجئين بإطلاق القول بكونه من فرق الضلالة وجرحه بالبدعة الاعتقادية، بل الواجب التنقيح والحكم مما يظهر بالوجه الرجيح، نعم إن دلت قرينة حالية أو مقالية على أن مراد الجارح بالإرجاء ما هو ضلالة فلا بأس بالحكم بكونه ذا ضلالة، وإلا فيحتمل أن يكون إطلاق ذلك القول على ذلك الراوي من معتزليّ ومنه أخذ ذلك الجارح واعتمد على اشتهاره من دون وقوف على الواضح، ويُحتمل أن يكون الراوي ممن لا يقول بزيادة الإيمان ونقصانه ولا بدخول العمل في حقيقته فأطلق عليه الجارح المحدث الإرجاء تبعاً لأهل طريقته اهـ. قال الحافظ الذهبي في ميزان الإعتدال في ترجمة مسعر بن كدام: أما مسعر بن كدام فحجة، ولا عبرة بقول السليماني: كان من المرجئة مسعر بن كدام وحماد بن أبي سليمان والنعمان وعمرو بن مرة وعبد العزيز بن أبي رواد وأبو معاوية وعمر بن ذر. . . . وسرد جماعة ثم قال: قلت: الإرجاء مذهب لعدة من جلة العلماء لا ينبغي التحامل على قائله انتهى. =

وأما ثالثاً: فقد قال ابن عبد البر: كان أبو حنيفة يحسد وينسب إليه ما ليس فيه ويختلف عليه ما لا يليق به، وقد أقبل عليه وكيع فرآه مطرقاً مفكراً فقال له: من أين؟ فقال: من عند شريك فأنشأ يقول (شعر):

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

قال وكيع: وأظنه كان بلغه عن شريك شيء[1].

---

* قال السيد محمد مرتضى الزبيدي في مقدمة كتابه «عقود الجواهر المنيفة» أما نسبة الإرجاء إليه فغير صحيح، فإن أصحاب الإمام كلهم على خلاف رأي أصحاب الإرجاء، فلو كان أبو حنيفة مرجئاً لكان أصحابه على رأيه، وهم الآن موجودون على خلاف ذلك، وإذا أجمع الناس على أمر وخالفهم واحد أو اثنان لم يلتفت إلى قوله ولم يصدق في دعواه، حتى أن الصلوات عند أبي حنيفة خلف المرجئة لا تجوز اهـ.

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٧).

الفصل الثامن والثلاثون

في ردّ ما قيل فيه من الجرح

قال أبو عمر يوسف بن عبد البر: والذين رووا عن أبي حنيفة ووثقوه وأثنوا عليه أكثر من الذين تكلموا فيه، والذين قد تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ما عابوا عليه الإغراق في الرأي والقياس، وقد مر أن ذلك ليس بعيب، وكان يقال: يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه، ألا ترى أن علياً كرّم الله وجهه هلك فيه فئتان، محب أفرط ومبغض مفرط[١].

قال الإمام علي بن المديني: أبو حنيفة روى عنه الثوري وابن المبارك وحماد بن زيد وهشام ووكيع وعباد بن العوام وجعفر بن عون وهو ثقة لا بأس به[٢] وكان شعبة حسن الرأي فيه[٣]، وقال يحيى بن معين أصحابنا يفرطون في أبي حنيفة وأصحابه، فقيل له أكان يكذب؟ قال أنبل من ذلك؟

وفي طبقات شيخ الإسلام التاج السبكي الحذر كل الحذر أن تفهم من قاعدتهم أن الجرح مقدم على التعديل على إطلاقها، بل الصواب أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره لم يلتفت إلى جرحه، ثم قال بعد كلام طويل قد عرفناك أن الجارح لا يقبل منه الجرح ـ وإن فسره ـ في حق من غلبت طاعاته على معصيته وما دحوه على ذاميه ومزكوه على جارحيه إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة فيه من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء أو غير ذلك، وحينئذ فلا يلتفت لكلام الثوري وغيره في أبي

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٤٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٤٩).

حنيفة، وابن أبي ذئب وغيره في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صالح، ونحو ذلك.

قال: ولو أطلقنا تقديم الجرح لما سلم لنا أحد من الأئمة إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون[١].

قال ابن عبد البر: هذا باب غلط فيه كثيرون وضلت فيه فرقة جاهلية لا ندري ما عليها في ذلك.

ثم قال: الدليل على أنه لا يقبل في حق من اتخذه جمهور الناس إماماً في الدين قول أحد من الطاعنين لأن السلف قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حال الغضب، ومنه ما حمل على الحسد، ومنه ما حمل على التأويل مما لا يلزم المقول فيه شيء منه، وذكر من كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم من النظراء بعضهم في بعض شيئاً كثيراً لم يلتفت إليه أحد من العلماء ولا عولوا عليه لأنهم بشر يغضبون ويرضون والقول في الرضا غير القول في الغضب، فمن أراد أن يقبل قول العلماء بعضهم في بعض فليقبل قول من ذكرنا من الصحابة بعضهم في بعض وقول من ذكرنا من التابعين وأئمة المسلمين بعضهم في بعض، فإن فعل ذلك فقد ضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً، وإن لم يفعل ـ ولن يفعل إن هداه الله وألهمه رشده ـ فليقف عند ما شرطناه فإنه الحق الذي لا يصح غيره إن شاء الله تعالى[٢].

ثم ذكر كلام كثيرين من نظراء مالك فيه وكلام ابن معين في الشافعي، قال وما مثل من تكلم فيهما وفي نظرائهما إلا كما قال الحسن ابن هانيء[٣] (شعر):

يا ناطح الجبل العالي لتكلمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث قال (شعر):

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً وللناس قال بالظنون وقيل

---

(١) راجع طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، وقد ذكر هذه القاعدة في ترجمة أحمد بن صالح المصري.

(٢) راجع جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٥٢ إلى ١٦٢).

(٣) وقع في جامع بيان العلم «الحسن بن حميد».

وقيل لابن المبارك فلان يتكلم في أبي حنيفة فأنشد (شعر):

حسدوك إذا ما فضلك الله   بما فضلت به النجباء

وقيل ذلك لأبي عاصم النبيل، فقال: هو كما قال أبو الأسود الدؤلي (شعر):

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم[1]

وروى أبو عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما: خذوا العلم حيث وجدتموه، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض، فإنهم يتعايرون تعاير التيوس في الزريبة، وفي رواية عنه: استمعوا كلام العلماء ولا تصدقوا بعضهم في بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تعايراً من التيوس في زروبها، وكذلك جاء عن عمرو بن دينار[2] ومن ثمة ذكر في المبسوط في مذهب مالك أنه لا يجوز شهادة القارىء على القارىء يعني العلماء لأنهم أشد الناس تحاسداً وتباغضاً[3].

---

(١) ذكر ابن عبد البر هذه الأشعار في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٦١).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٥١) ووقع في المطبوع منه مالك بن دينار.

(٣) ذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، ونص عبارته هكذا: رأيت في كتاب معين الحكام لابن عبد الرفيع من المالكية: وقع في «المبسوطة» من قول عبد الله بن وهب: أنه لا يجوز شهادة القارىء على القارىء ـ يعني العلماء ـ لأنهم أشد الناس تحاسداً وتباغضاً. (راجع ترجمة أحمد بن صالح المصري).

الفصل التاسع والثلاثون

في ردّ ما نقله الخطيب في تاريخه عن القادحين فيه

اعلم أنه لم يقصد بذلك إلا جمع ما قيل في الرجل على عادة المؤرخين ولم يقصد بذلك انتقاصه ولا الحط عن مرتبته بدليل أنه قدم كلام المادحين وأكثر منه ـ ومن نقل مآثره السابقة في أكثرها إنما اعتمد أهل المناقب فيه على ما في تاريخ الخطيب ـ ثم عقبه بذكر كلام القادحين ليتبين أنه من جملة الأكابر الذين لم يسلموا من خوض الحساد والجاهلين فيهم.

ومما يدل على ذلك أيضاً أن الأسانيد التي ذكرها للقدح لا يخلو غالبها من متكلم فيه أو مجهول[1].

(١) اعلم أن تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي رحمه الله تعالى المتداول فيما بين العلماء يوجد في المجلد الثالث عشر منه ترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى من ص ٣٢٣ إلى ص ٤٢٣، وساق مناقب أبي حنيفة رحمه الله تعالى إلى ص ٣٦٨، وتلك المناقب تبهر العقل ومن يطلع على هذه المناقب يحسب أنه لم يكن بعد الصحابة أحد في الفضل والفضيلة مثل أبي حنيفة، فقد ذكر الخطيب بأسانيده إلى الأئمة الكبار وأقرانه الأخيار وتلاميذه الأبرار أنه كان أفضل أهل زمانه وكان أفقه الناس وأعبدهم وأورعهم وأعقلهم وأزهدهم في الدنيا وأحرصهم في الآخرة، وأنه انحاز علم الصحابة والتابعين إليه، وأنه كان آية في الخير، وأنه أثنى عليه مالك كذا، والأوزاعي كذا، والثوري كذا، وابن عيينة كذا، وابن المبارك كذا، وابن جريج كذا، والشافعي كذا، وفضيل بن عياض كذا، وإن مسعر بن كدام كان له اعتقاد كبير بأبي حنيفة وإنه مات في مسجده ساجداً، وإن الدنيا بذلت له فلم يُردها، وجرب بالسياط والأموال فرد الأموال واختار السياط، وأن أبا حنيفة كان حافظاً لكل حديث فيه فقه، وإنه يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله في صلواتهم لأبي حنيفة لحفظه عليهم السنن والفقه، وإنه كان ذا مال كثير، وكان أسخى الناس ينفق على الأشياخ المحدثين من أرباحه، وأن من يقع في أبي حنيفة فهو ناقص العقل، وإن الناس في أبي حنيفة رجلان، جاهل به وحاسد له، إلى غير ذلك وبعد هذه المناقب الجليلة تجد في كتابه من (٣٦٩ إلى ٤٢٣ مثالب أبي حنيفة التي تنبو عنها الأسماع وتنفر منها القلوب، وبعد أن يطالع ذو الفهم الثاقب تلك المناقب التي ساقها الخطيب يندهش بما يقرأ ما بعدها من مثالب، وكيف ساغ للخطيب أن=

....

= يأتي بهذه المثالب بعد أن ذكر أنه لا يقع في أبي حنيفة إلا ناقص العقل أو من كان جاهلاً أو حاسداً، فمن العلماء من يقول إن ذلك كان من الخطيب تحاملاً على أبي حنيفة وتعصباً، ومنهم من يقول إنه بريء من ذلك وتلك المثالب مدسوسة في كتابه، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال، وبعد ذكر المناقب الجليلة تبتدىء المثالب بقوله: «والمحفوظ عند نقلة الحديث عن الأئمة المتقدمين وهؤلاء المذكورين منهم في أبي حنيفة خلاف ذلك. . . .».

قال الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في تأنيب الخطيب (ص ٣١):

إني في ريب من كون هذه الكلمة صادرة من الخطيب نفسه، بل أرجح أن تكون مما زيد في تاريخ الخطيب بعد وفاته، لأني أراه لا يرضى لنفسه أن يقع في مثل هذا التناقض المكشوف، وهو الذي تكلم على الرجال الذين هم في أسانيد المثالب في هذا الكتاب بالتضعيف والتكذيب كما نقله عنه الملك المعظم في رده على الخطيب، وكما نقلنا عنه أيضاً بحروفه. وأما كون تاريخ الخطيب قد تصرفت فيه الأقلام فأمر لا شك فيه بدلائل ناهضة، وقد تكلم الحافظ أبو الفضل محمد ابن طاهر المقدسي في أحمد بن الحسن المعروف بابن خيرون ـ الذي كان وصي الخطيب عند وفاته ـ وكان الخطيب سلم إليه كتبه فاحترقت تلك الكتب في بيت هذا الوصي وبينها نسخة الخطيب من تاريخ بغداد حتى روى الناس تاريخ الخطيب عن نسخة ابن خيرون لا عن خط الخطيب وبلوا فيها زيادات على ما كانوا سمعوه من الخطيب، فقالوا: إن ابن خيرون هو الذي زادها حتى رمى أبو الفضل المقدسي ابن خيرون بكل سوء وإن لم يعجب ذلك الذهبي، وقد نقل في ميزان الاعتدال عن ابن الجوزي أنه قال: سمعت مشايخنا يقولون إن الخطيب أوصى إلى ابن خيرون أن يزيد وريقات في تاريخه وكان لا يحب أن تظهر منه في حياته، فبذلك تعلم أن الزيادة فيه لا شك فيها، لكن هناك رواية أنها كانت بوصية من الخطيب فتكون تبعة الزيادة على عاتق المؤلف نفسه، أو الزائد هو ابن خيرون فيسقط ابن خيرون من مرتبة أن يكون مقبول الرواية على رأي أبي الفضل المقدسي، ونكتفي هنا بلفت النظر إلى كلام الذهبي وابن الجوزي وكلام أبي الفضل المقدسي فقط. حتى يرى الناظر رأيه في مثل هذه الوصية وفي مثل هذه الزيادة، ومن الغريب أن المثالب الشنيعة المتعلقة بأبي حنيفة في تاريخ الخطيب لم تذع إلا بعد أن تحنف عالم الملوك الملك المعظم عيسى الأيوبي، ولذلك كان هو أول من رد عليها، ولو ذاعت المثالب قبل ذلك لما تأخر العلماء من الرد عليها كما فعلوا مع عبد القاهر البغدادي وابن الجويني وأبي حامد الطوسي وغيرهم اهـ.

وأيما كان فإن من تولى كبره وتحمل وزره فقد أساء على نفسه وقصم ظهره، وصار هدفاً لمن جاء بعده ممن يحب أبا حنيفة ويدافع عنه رحمه الله تعالى، وقد ذب عن الإمام الملكُ المعظم عيسى بن أبي بكر الأيوبي في كتابه «السهم المصيب في كبد الخطيب» وسبط ابن الجوزي في «الانتصار لإمام أئمة الأمصار» وقد رد فيه رداً شنيعاً كما ذكر الكوثري في التانيب.

وذب أيضاً عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى الخوارزمي في مقدمة جامع المسانيد، وقد رد العلامة الكوثري على الخطيب في كتابه «تانيب الخطيب على ما ساقه على أبي حنيفة من الأكاذيب» رداً بليغاً، وجاء كتابه هذا في مائتي صفحة، فأحسن وأجاد في الرد(*). =

(*) وقد رد على الخطيب عصرينا الدكتور محمود الطحان ـ حفظه الله تعالى ـ أستاذ الحديث بكلية =

ولا يجوز إجماعاً ثلم عرض مسلم بمثل ذلك، فكيف بإمام من أئمة المسلمين(١).

قال شيخ الإسلام الإمام التقي ابن دقيق العيد: أعراض الناس حفرة من حفر النار وقف على شفيرها الحكام والمحدثون(٢).

وبفرض صحة ما ذكره الخطيب من القدح عن قائله لا يعتدُّ به فإنه إن كان من غير أقران الإمام فهو مقلد لما قاله أو كتبه أعداؤه أو من أقرانه فكذلك لما مر أن قول الأقران بعضهم في بعض غير مقبول، وقد صرح الحافظان الذهبي وابن حجر بذلك، قالا: ولا سيما إذا لاح أنه لعداوة أو لمذهب، إذ

= قال ابن عابدين الشامي رحمه الله تعالى في شرح مقدمة الدر المختار (١/٣٧) عن «تنوير الصحيفة» (للعلامة الفقيه يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي) لا يغتر أحد بكلام الخطيب فإن عنده العصبية الزائدة على جماعة من العلماء كأبي حنيفة والإمام أحمد وبعض أصحابه، وتحامل عليهم بكل وجه، وصنف فيه بعضهم «السهم المصيب في كبد الخطيب» وأما ابن الجوزي فقد تابع الخطيب وقد عجب سبطه منه حيث قال في مرآة الزمان: وليس العجب من الخطيب فإنه قد طعن في جماعة من العلماء، وإنما العجب من الجدّ كيف سلك أسلوبه وجاء بما هو أعظم، ومن المتعصبين على أبي حنيفة الدارقطني وأبو نعيم، فإنه لم يذكره في الحلية وذكر من دونه في العلم والزهد اهـ.

(١) قال الشيخ الأجل محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في تانيب الخطيب (ص ١٤).
.... ومثل الإمام أبي حنيفة في إمامته وديانته وتواتر ثقته وأمانته واستفاضة يقظته ونباهته وكثرة أتباعه، وذيوع فقهه، وانتشار مذهبه في البقاع والأصقاع، وكمال عقله وسعة علمه لا يسمع فيه وقيعة كل من ذهب ودب ولا سيما بعد العلم بما ينطوي عليه خصومه من.... اصطناع المثالب بقلة دين وقلة تبصر، فلا يتصور أن يناهض ما روي في مثالبه في تاريخ الخطيب ونحوه ما تواتر في مناقبه إلا إذا كان الخبر التالف يقاوم الخبر المتواتر، أو كانت الهواجس والوساوس قاضية على الملموس من الحقائق. وليس الصحيح من خبر الآحاد يعارض المستفيض المشهور فضلاً عن المتواتر فكيف وأسانيد ما ساقوه في مثالبه ـ رضي الله عنه ـ فيها من وجوه الاعتلال والاختلال ما سنشرحه إن شاء الله تعالى اهـ. ثم ذكر ذلك الاعتلال والاختلال إلى آخر الكتاب فليراجع من شاء.

(٢) قاله ابن دقيق العيد في كتابه: الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدودة في الصحاح، ونقله صاحب عقود الجمان (ص ٤٠٥) عن ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى، ثم قال: وليسا سواء، فإن الحكام أعذر، لأنهم لا يحكمون إلا بالبينة المعتبرة، وغيرهم يعتمد مجرد العقل اهـ.

= الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت في كتابه «الحافظ الخطيب وأثره في علوم الحديث» وجاء هذا البحث في كتابه من ص ٣٠٦ إلى ص ٣٤٥، وهو ملحق في آخر تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة للجلال السيوطي رحمه الله تعالى (البرني).

الحسد لا ينجو منه إلا من عصمه الله تعالى، قال الذهبي وما علمت عصراً سلم أهله من ذلك إلا عصر النبيين والصديقين(١).

وقال التاج السبكي: ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك، وإلا فاضرب صفحاً عما جرى بينهم، فإنك لم تخلق لهذا، فاشتغل بما يعنيك ودع ما لا يعنيك، ولا يزال طالب العلم عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ويقضي لبعضهم على بعض، فإياك ثم إياك أن تصغى إلى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري، أو بين مالك وابن أبي ذئب، أو بين أحمد بن صالح والنسائي، أو بين أحمد والحارث بن أسد المحاسبي وهلم جراً إلى زمان العز بن عبد السلام والتقي ابن الصلاح، فإنك إذا اشتغلت بذلك خشيتُ عليك الهلاك فالقوم أئمة أعلام، ولأقوالهم محامل وربما لم تفهم بعضها، فليس لنا إلا الترضي عنهم والسكوت عما جرى بينهم، كما تقول فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم(٢).

---

(١) راجع عقود الجمان (ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

(٢) ذكره في طبقات الشافعية الكبرى في ترجمة الحارث بن أسد المحاسبي، (راجع عقود الجمان (ص ٤٠٦).

وقوله: «ما اتفق بين أبي حنيفة والثوري» لا يصح لأن أبا حنيفة لم يكن يذكر معاصريه بسوء، وقد مر في الفصل السادس عشر من هذا الكتاب إن ابن المبارك لما قال للثوري «ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة ما سمعته يغتاب عدواً له قط» قال الثوري في جوابه: والله هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها، وقيل لأبي حنيفة: الناس يتكلمون فيك ولا تتكلم في أحد، فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اهـ فلا تغتر بقول من نسب إليه الاغتياب واتق الله تعالى.

الفصل الأربعون

في رد ما قيل إنه خالف فيه صرائح الأحاديث الصحيحة من غير حجة

هذا باب واسع جداً يستدعي سرد جميع أبواب الفقه فلنشر إلى قواعد إجمالية تنفع من استحضرها عند الأدلة التفصيلية، واعلم أن ممن زعم ذلك من المتقدمين سفيان الثوري وآخرين منهم الحافظ أبو بكر ابن أبي شيبة الكوفي وشيخ البخاري، وسبب صدور ذلك منهم أنهم استروحوا ولم يتأملوا قواعده وأصوله، إذ منها ـ كما قاله الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيره ـ أن خبر الواحد لا يقبل إذا خالف الأصول المجمع عليها، فحينئذ يقدم القياس عليه، وقد اعتذر عن تقديمه القياس على خبر الواحد بأن ذلك لموجب، لا عبثاً ولا رداً للحديث مع سلامته عن القوادح، حاشاه الله تعالى من ذلك، بل لموجب أي موجب.

إما كونه لم يطلع على الحديث، أو لم يصح عنده، أو كونه رواية غير فقيه وقد خالف القياس.

ومن ثمة ردوا حديث أبي هريرة في المصراة[1] لكن انتصر جماعة

---

(١) المصراة التي صرّى لبنها وحقن فيها وجمع فلم تحلب أياماً، ويفعلون ذلك ليغترّ المشتري ويظن أنها كثيرة اللبن فنهي النبي ﷺ من ذلك، وقال: لا تصروا الإبل والغنم فمن ابتاعها بعد فإنه بخير النظرين بعد أن يحلبها إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاعاً من تمر، رواه البخاري في كتاب البيوع، ثم قال وقال بعضهم: عن ابن سيرين صاعاً من طعام وهو بالخيار ثلثاً، وقال بعضهم عن ابن سيرين صاعاً من تمر ولم يذكر ثلثاً، والتمر أكثر.

قال الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في كتابه «النكت الطريفة في التحديث عن ردود ابن أبي شيبة على أبي حنيفة (ص ٩٠).

أقول: أغلب طرق هذا الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً، وروي عن غيره من الصحابة مرفوعاً أيضاً، وصح في البخاري عن ابن مسعود موقوفاً، وحديث أبي هريرة مما رواه أبو حنيفة أيضاً عن الهيثم عن ابن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً، ولا كلام في الحديث من جهة الإسناد وهو صحيح الإسناد بدون شك لكن أفق المجتهد أوسع، ونظره في الحديث غير قاصر على ناحية، فيظهر لهذا من علة تمنع من الأخذ بظاهره ما لا يظهر للآخر، ويعتني هذا المجتهد بموافقة ـ

من الحنفية عليه لما أن أكثر العلماء من أن فقه الراوي ليس شرطاً لتقديم الخبر على القياس، قالوا وقد عمل أصحابنا بحديث أبي هريرة إذا أكل الصائم أو شرب ناسياً مع مخالفته للقياس، حتى قال أبو حنيفة رحمه الله لولا الرواية لقلت بالقياس، وقد ثبت عن أبي حنيفة أنه قال ما جاءنا عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، ولم ينقل عن أحد من السلف اشتراط فقه الراوي فثبت أن القول باشتراطه قول محدث، قال بعضهم

= الحديث للأصول المجمع عليها فوق اعتناء ذاك المجتهد بهذا، وهكذا يتسع نطاق الكلام، وقد أخذ بظاهر هذا الحديث مالك ـ في المشهور عنه ـ والليث والشافعي، وأحمد وإسحاق وغيرهم، وقالوا: إن المشتري إذا وجد البقرة مصراة يردها إلى البائع مع صاع من تمر مقابل حلبها أيام كانت عنده، وخالفهم أبو حنيفة ومالك ـ في رواية ـ وأشهب ومحمد وأبو يوسف ـ في المشهور ـ وطائفة من فقهاء العراق وقالوا: ليس للمشتري رد المصراة بخيار العيب، ولكنه يرجع بالنقصان لوجود ما يمنع الرد، حيث رأوا أن الحديث وإن سلم إسناده لكن فيه اضطراب واختلاف شديد في المدة وفيما يدفع بحيث يسري إلى أصل الحديث كما يظهر من استعراض ألفاظ الحديث في الروايات في عقود الجواهر وغيره، وليس مجرد سلامة إسناد الحديث بكاف في الأخذ بظاهره، بل لا بد من سلامة المتن من مخالفة ما هو أقوى منه من كتاب وسنة وأصل مجمع عليه، فالشذوذ والعلة يمنعان الأخذ به، فيتوقف عن العمل بظاهره، وهذا الحديث معلول لمخالفته لعموم كتاب الله في ضمان العدوان بالمثل قال الله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ وقال تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ والآيتان تحتمان الضمان بالمثل، و «صاع من تمر» ليس بمثل، ولا قيمة للبن المحلوب المستهلك عند المشتري مدة بقاءها عنده، بل تدر المصراة أيام بقائها عند المشتري من اللبن ما يساوي أضعاف صاع من تمر في القيمة، وهو ظاهر، ثم حديث «الخراج بالضمان» صححه الترمذي وأخذ به جمهور الفقهاء، فلا يكون هذا اللبن مضموناً حيث كانت المصراة تحت ضمان المشتري، والحديث السابق يخالف هذا حيث يوجب ضمان اللبن بصاع من تمر، بل أوضحوا وجوه مخالفة حديث المصراة للأصول فقالوا: إنه أوجب الرد من غير عيب ولا شرط، وقد الخيار بثلاثة أيام، وإنما يتقيد بالثلاثة خيار الشرط، وأوجب الرد بعد ذهاب جزء من المبيع، وأوجب البدل مع قيام المُبدل، وقدر بالتمر والطعام، والمتلفات إنما تضمن بالمثل أو القيمة، وجعل الضمان بالقيمة مع أن اللبن مثلي، ويؤدي إلى الربا إذا كان ثمن المصراة بالتمر حيث يزيد صاعاً منه كما يؤدي إلى الجمع بين العوض والمعوض، وتلك ثماني مخالفات للأصول تقضي بترك العمل بظاهره، وإن حاول القاضي ابن العربي الجواب عن جميعها. فللخروج عن هذا التعارض سلكوا طرقاً شتى، قال عيسى بن أبان: هذا كان أيام كانت العقوبة بأخذ الأموال، ثم نسخ بآية ضمان العدوان بالمثل، وقال الطحاوي: بل بحديث «الخراج بالضمان» وقال العلامة الكشميري: في التصرية غرر فعلي، والغرر القولي به تجب الإقالة قضاء، والغرر الفعلي لا يدخل القضاء، لكن تجب به الإقالة ديانة على ما نص عليه ابن الهمام، فيكون حديث المصراة من باب الإقالة ديانة، فلا يكون الحديث متروكاً ولا مخالفاً للأصول اهـ.

على أن أبا هريرة كان فقيهاً إذ لم يعدم شيئاً من أسباب الاجتهاد، وقد كان يفتى في زمن الصحابة وما كان يفتى في ذلك الزمن إلا فقيه مجتهد، وتبعه على ذلك محي الدين القرشي في طبقات الحنفية فقال، إنه من فقهاء الصحابة كما ذكره ابن حزم(١)، وقد جمع شيخنا شيخ الإسلام التقي السبكي في فتاوى أبي هريرة جزءاً سمعته منه انتهى.

وإما عمل الراوي بخلاف مرويه، لأنه يدل على النسخ أو نحوه، ومن ثمة أخذوا بعمل أبي هريرة بالغسل من ولوغ الكلب ثلاثاً مع روايته للسبع(٢)، وبقول ابن عباس إن المرتدة لا تقتل مع روايته من بدل دينه فاقتلوه(٣).

وإما عموم البلوى به بأن يحتاج كل واحد إلى معرفته لأن العادة تقضى باستفاضة نقل مثله فانفراد واحد به قدح فيه، ومن ثمة لم يأخذوا بخبر نقض الوضوء بمس الذكر الذي ترويه بسرة مع عموم الحاجة إلى معرفته(٤).

وإما كونه ورد في حد أو كفارة لسقوطهما بالشبهة واحتمال خطأ الراوي المنفرد به شبهة.

وأما مخالفته للقياس الجلي أو الذي عضده حديث آخر.

وأما طعن بعض السلف فيه كخبر القسامة(٥).

---

(١) راجع الجواهر المضية (٢/ ٤١٧).

(٢) راجع باب سؤر الكلب من شرح معاني الآثار للإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى، وسنن الدارقطني (باب ولوغ الكلب في الإناء) والجوهر النقي مع السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٢٤٢).

(٣) راجع نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للحافظ الزيلعي ـ رحمه الله تعالى ـ (٣/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

(٤) راجع باب الوضوء بمس الذكر من شرح معاني الآثار.

(٥) القسامة هو قسم الاقسام ـ أي الأيمان ـ على خمسين رجلاً لتفتيش قاتل قتل قتيلاً لا يُدرى قاتله، وجاءت في ذلك أحاديث وآثار أخذ بها الجمهور مع اختلاف فيما بينهم، قال الحافظ في الفتح (١٢/ ٣٣٢) ومحصل الاختلاف في القسامة هل يعمل بها أو لا؟ وعلى الأول فهل توجب القود أو الدية؟ وهل يبدأ بالمدعين أو المدعى عليهم اهـ. ثم نقل بعد ثلاث صفحات عن القاضي عياض: أنه لم يأخذ به الحكم بن عتيبة وأبو قلابة وسالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وقتادة ومسلم بن خالد وإبراهيم بن علية وإليه ينحو البخاري اهـ. وطعن فيه من لم يأخذ بالحديث، وجاء في بعض الروايات ابتداء اليمين بالمدعين قالوا هذا خلاف ما عهد في الشريعة=

وإما وقوع الاختلاف بين الصحابة في مسألة ورد فيها خبر الواحد ولم يحتج أحد منهم به، فإعراضهم عن الاحتجاج به مع شدة عنايتهم بالأحاديث دليل على نسخه أو نحوه، مثاله خبر «الطلاق بالرجال» فإنهم اختلفوا في ذلك، فقال جماعة يعتبر في ملك الزوج لعدده بحرية الرجل ورقه منهم الشافعي، وآخرون بحرية المرأة ورقها منهم أبو حنيفة وآخرون يعتبر بمن رق منهما[1]، وإما مخالفته أعني خبر الواحد الظاهر عموم القرآن لأن أبا حنيفة لا يرى تخصيص عمومه ولا نسخه بخبر الواحد لأنه ظني وذلك يقيني، وتقديم أقوى الدليلين واجب، من ذلك خبر لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب مخالف لعموم ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾.

وإما مخالفته للسنة المشهورة لأن الخبر المشهور أقوى من خبر الآحاد، كخبر الشاهد واليمين فإنه مخالف لعموم الخبر المشهور: البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

وإما كونه زائداً على القرآن كهذا، فإن الذي في القرآن رجلان أو رجل وامرأتان فالشاهد واليمين زائد عليهما.

إذا تقرر ذلك علم منه نزاهة أبي حنيفة رحمه الله مما نسبه إليه أعداؤه والجاهلون لقواعده بل لمواقع الاجتهاد من أصلها من تركه لخبر الآحاد بغير حجة، وإنه لم يترك خبراً إلا لدليل أقوى عنده وأوضح، قال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي[2].

فتأمل هذا الاعتناء بالأحاديث وعظيم جلالتها وموقعها عنده، ومن ثمة قدم العمل بالقياس فأوجب الوضوء من القهقهة ـ مع أنها ليست بحدث في القياس ـ للخبر المرسل فيها، ولم يقل بذلك في صلاة

= من أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر والذين أخذوا به استثنوا القسامة من ذلك، وهناك طعن آخر وهو وجوب القود بشهادة من لم يشهد عند القتل (راجع باب القسامة في صحيح البخاري وشروحه).

(١) راجع نصب الراية (٣/ ٢٢٥).

(٢) راجع مناقب أبي حنيفة وأصحابه (ص ٢١) ويقول الشيخ ابن القيم في إعلام الموقعين. (١/ ٧٧) وأصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأي، ثم ذكر لذلك عدة أمثلة، فراجعه إن شئت.

الجنازة وسجود التلاوة اقتصاراً مع النص فإنه إنما ورد في الصلاة ذات الركوع والسجود.

وقد قال المحققون لا يستقيم العلم بالحديث بدون استعمال الرأي فيه، إذ هو المدرك لمعانيه التي هي مناط الأحكام[١].

ومن ثمة لما لم يكن لبعض المحدثين تأمل لمدرك التحريم في الرضاع قال بأن المرتضعين بلبن شاة تثبت بينهما المحرمية[٢] ولا العمل بالرأي المحض ومن ثمة لم يفطر الصائم بنحو الأكل ناسياً وأفطر بالاستقاءة مع أن القياس في الأول الفطرُ لوجود ما يضاد الصوم وفي الثاني عدمُه لأن الصوم إنما يفسده ما دخل دون ما خرج.

(١) راجع ديباجة معالم السنن للإمام الخطابي.

(٢) ذكر القرشي في الجواهر المضية أن هذه الفتيا أفتى بها صاحب الصحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى (راجع ١/٦٧) وكذا ذكر صاحب العناية ناقلاً عن المبسوط.

خاتمة

قد بان لك واتّضح أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله إنما ترك بعض الآحاد لهذه القواعد والأعذار التي أشرنا إليها ونبهناك عليها، فاحذر أن تزلّ قدمك مع من زلّ أو يضلّ فهمك مع من ضلّ، فإنك إذاً تخسر أعمالك مع جملة من خسر، وتذكر بالسوء والفضيحة مع من بهما ذكر، وتتعرض لأمر لا طاقة بحمل ضرره، وترتبك في قفر مدلهم لا قدرة لك على النجاة من خطره، فبادر إلى السلامة ما استطعت إليه سبيلاً، وكن ممن سلك منها سبيل النجاة، ودعا إليها بكرة وأصيلاً، وحفظ باطنه وظاهره عن أن يخوض في أحد من المسلمين بما يزن نقيراً أو فتيلاً، فإن الله يخذلك خذلاناً مبيناً، ويهينك هواناً عظيماً، سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وقد جهد كثيرون ممن تعرضوا لسهام القطيعة وتحلوا بالصفات القبيحة الفظيعة على أن يحطُّوا من مرتبة هذا الإمام الأعظم والحبر المقدم ويصرفوا قلوب أهل عصره ومن بعده عن محبته وتقليده واتباعه اعتقاد عظمته وإمامته فما قدروا على ذلك ولا يفيد كلامهم فيه في مسلك من المسالك، ليس ذلك إلا لأن أمره أمر سماوي لا حيلة لأحد في رفعه ومن يرفعه الله تعالى ويعطيه من خزائنه الواسعة لا يقدر أحد على خفضه ولا منعه.

جعلنا الله ممن قام بما للأئمة من الحقوق، ولم يتدنس بشيء من القطيعة والعقوق، وعرف لكل ذي حق حقه فأداه كما يجب، وشملته عين العناية كما يحب، ولم يخف في جنب مصابيح الدجى ونجوم السماء لومة لائم، حرم التوفيق ولا تفيهق[1] محروم هوى به لتعصبه في

---

(١) في القاموس: تفيهق في كلامه تنطع وتوسع كأنه ملأ به فمه.

مكان سحيق، ولا غيظ ممقوت ضلّ به رأيه السخيف، حتّى حطّ عن مراتب أولى الإنصاف والتشريف.

فضراعة إليك اللهم أن تجعلنا ممن قام بحقوق آبائه في الدين لا سيما أكابر السلف الماضين الذين شهد لهم الصادق المصدوق بأنهم من خير القرون المبرئين من كل وصمة وعيب، على رغم أنف الحساد الذين رموهم بما هم منه بريئون، وممن أثنى الله عليهم في كتابه العزيز بالدعاء لكل عامل عليم بقوله عز قائلاً: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وأن تحشرنا معهم فإننا نحبهم ومن أحب قوماً حشر معهم، وأن تدخلنا في زمرتهم وتجعلنا في جملة خدمتهم، وتعيد علينا من صالح معاملاتهم وأحوالهم الباهرة، وكراماتهم الظاهرة المتكاثرة، حتّى نكون من جملة أتباعهم وجملة أشياعهم، إنك الجوّاد الكريم الرؤوف الرحيم.

يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك القديم، ولك الشكر الكامل إذ أهلتنا للخضوع تحت إشارة أوليائك وجعلتنا من أهل ولائك.

وصلِّ اللهم وسلّم وبارك أفضل صلوٰة وأفضل سلام وأفضل بركة على أفضل الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد معلوماتك أبداً ومداد كلماتك سرمداً، كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين[١].

---

(١) وهذا آخر السطور من هذا التعليق، أكمله الله على يد هذا العبد الفقير بالتيسير وحسن التوفيق، والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه رؤوف رحيم، ذو فضل عظيم وكرم عميم، وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه هداة الدين القويم ودعاة الصراط المستقيم.

مقدمة

عقود الجواهر المنيفة

في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى
للمحدث الجليل السيد محمد مرتضى الزبيدي المتوفى ١٢٠٥ هـ
رحمه الله تعالى

ذكر فيها مناقب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى
وثناء الأئمة عليه وطريق إثباته للأحكام
من الكتاب والسنة وأقضية الصحابة والقياس

مقدمة

عقود الجواهر المنيفة

للمحدث الجليل السيد محمد مرتضى الزبيدي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منور البصائر بحقائق معارفه، وجاعل الخواطر خزائن لدقائق لطائفه، الذي أودع القلوب من حكمه جواهر، وجعل نجوم الهداية بذكره زواهر، أحمده ولا يستحق الحمد على الحقيقة سواه، وأعتقد التقصير في أداء شكر ما أنعم به على عبده وأولاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون للنجاة وسيلة، ولرفع الدرجات كفيلة، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله. وحبيبه وخليله. المبعوث من ذي الجلال، لتبيين الحرام والحلال. إمام المتقين. وعصمة أهل اليقين، خير الخلائق، وبحر العلوم والحقائق، الذي بعثه وطرق الإيمان قد عفت آثارها، وخبت أنوارها، ووهت أركانها، وجهل مكانها، فأحياه إحياء الأرض بالأمطار، ونشره في جميع الأقطار، وبلغ به غاية الأوطار. وأعاد روضه نضيراً، وماءه نميراً، وموارده صافية، وحلله ضافية، وأقسامه وافية.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تستنزل غيث الرحمة من سحابه، وتحل صاحبها من الرضوان أوسع رحابه، وسلم تسليماً، وكرم تكريماً. وزاده شرفاً وتعظيماً.

ورضي الله عن إمامنا الأعظم، وهمامنا المقدم، ومقدمنا المفخم، الجليل قدره، المشرق في أفق الفضائل بدره، المملوء بعلوم الشريعة صدره، بحر العلوم الزاخر، الحائز لأنواع المفاخر، المجتهد الحنيفي الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، أسكنه الله الفردوس الأعلى، وروّاه من الكوثر الأحلى، وتغمده بالرحمة الكاملة، والمغفرة الشاملة.

وعن بقية المجتهدين الكرام، والعلماء الأعلام، الذين دونوا العلوم وقرروها، وهذبوا المذاهب وحرروها. وسلكوا شعابها، ورضوا

صعابها وأعربوا عنها، وبينوا ما أشكل منها، بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، حتى وضح سبيلها للمقلدين، وصفا سلسبيلها للواردين، وراق زلالها للشاربين وامتدت ظلالها للساربين، وأحكمت قواعدها للمستنبطين، واشتدت سواعدها للمخرجين، وعلا مكانها وثبتت أركانها، وأفحم من رام معارضتها، وقصد مناقضتها، فأغرق عند ما انهلت سحب صوابها وهطلت، واضمحلت حجته عند ظهور الحق الواضح وعطلت.

وعن التابعين لمنهاجهم الواضح، والمقلدين لمذاهبهم بالإحسان والعمل الصالح، وعن سائر مشايخنا الفاتحين لنا باب الفهم، المخلّصين أذهاننا من الوهم، المرشدين إلى الصواب، المتكلفين بحسن الجواب.

أما بعد: فهذا كتاب نفيس أذكر أحاديث الأحكام التي رواها إمامنا الأعظم المشار إليه روح الله روحه ونور ضريحه، مما وافقه الأئمة الستة البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في كتبهم المشهورة وسننهم المأثورة، أو بعضهم وأشير إلى موافقاتهم باللفظ في سياق المتن والسند أو بالمعنى، وقد أذكر غيرهم تبعاً لهم، وإذا وجدت حديثاً للإمام استدل به على حكم من الأحكام ولم يخرجه أحد من هؤلاء الأعلام لم أعرج عليه، إذ المقصود موافقات الأئمة المذكورين فقط، لما اشتهر فضلهم المعلوم، وسارت كتبهم في الآفاق مسير النجوم. حتى ظن من لا دراية له في الفن أن كل حديث لا يوجد في كتب أحد هؤلاء فلا يعول عليه، وهذا القول ليس بصحيح بل مخالف للنص الصريح.

ففي سنن الدارمي والدارقطني والموطأ ومسانيد أحمد ومسدد وأبي بكر بن أبي شيبة والبزار والحارث بن أبي أسامة وصحيحي ابن حبان وابن خزيمة والمستدرك للحاكم ومعاجم الطبراني وابن جميع والمنتقى لابن الجارود مما انفرد فيها من صحاح وحسان شيء كثير يحتج به عند الأئمة، وكم من أحاديث صحاح لم يخرجها البخاري ومسلم، وليس في تركهما إياها دليل على ضعفها، كما حققه البيهقي في المدخل.

معتمداً فيما أخرجته على مسانيد الإمام الأربعة عشر المنسوبة إليه

من تخاريج الأئمة، فمنها ما لأصحابه الأربعة حماد ابنه، وأبي يوسف ومحمد ـ ويعرف بالآثار ـ والحسن بن زياد اللؤلؤي، روايتهم عنه بلا واسطة، وللأئمة من بعدهم أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب ابن الحارث الحارثي البخاري المعروف بالأستاذ تلميذ أبي حفص الصغير، وأبي القاسم طلحة بن محمد بن جعفر العدل، وأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني صاحب الحلية، وأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، وعمر بن الحسن الأشناني، وأبي الحسين محمد بن المظفر ـ وهؤلاء الستة حفاظ ـ والإمامين أبوي بكر أحمد بن محمد بن خالد الكلاعي ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبي القاسم عبد الله بن محمد بن أبي العوام السعدي، وأبي بكر بن المقرىء، والحسين بن محمد بن خسرو.

وقد جمع كل ذلك الإمام أبو المؤيد محمد بن محمد بن الخوارزمي المتوفى سنة ٦٧٥ في كتاب سماه «جامع المسانيد» مما وصل إليّ بعضها بالسماع المتصل وبعضها بالإجازة المشافهة وبعضها فيما يندرج تحت الإجازة العامة.

وسميت ما جمعته «عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة» فيما وافق الأئمة الستة أو بعضهم.

ورتبته ترتيب كتب الحديث من تقديم ما روي عنه في الاعتقاديات ثم في العمليات على ترتيب كتب الفقه، واقتصرت في كل باب على حديث أو حديثين أو أكثر على ما تيسر وجدانه وظهرت لي فيه الموافقة مع أحد المذكورين، وإلا فحديث الإمام رضي الله عنه أكثر من أن يحاط في الصحاف، إذ أخذهُ عن رجال القرن الأول المشهود لهم بالخيرية معروف عند أهل الإنصاف.

ونبهت أحياناً على من في السند ممن جرح بقادح، إلا أن يكون الحديث له طرق كثيرة متباينة، والضعف إنما طرأ ممن هو دون الإمام، فلا أذكره أصلاً بعد أن يكون الحديث ثابتاً في حد ذاته، وربما ذكرت من خرّج الحديث بلفظه أو خرّج أصله أو معناه، سواء كان من حديث الصحابي المروي عنه، أو من حديث غيره.

مقتطفاً مما وقفت عليه من الكتب المعتمدة المشهورة، كالسنن

الكبرى للبيهقي، والعلل والغرائب والأفراد كلاهما للإمام أبي الحسن الدارقطني، وشرح معاني الآثار للإمام أبي جعفر الطحاوي، وتعجيل المنفعة في زوائد رجال الأئمة الأربعة، ومختصر تخريج أحاديث كتاب الهداية، وتخريج أحاديث شرح الرافعي، وتقريب التهذيب الأربعة للحافظ ابن حجر ـ وشرح جامع المسانيد للحافظ أبي العدل قاسم بن قطلوبغا الحنفي، والجوهر النقي في الرد على البيهقي لقاضي القضاة علاء الدين علي بن عثمان الحنفي الشهير بابن التركماني، والجامع الكبير للحافظ جلال الدين السيوطي، والمنهج المبين في أدلة المجتهدين للشيخ الشعراني، وغير ذلك من مسانيد وسنن ومعاجم وأجزاء متفرقات التي طالعتها واستفدت منها ولو مسألة، مع ما انضم إليها من كتب المذهب الأصلية والفرعية متونها وحواشيها، مما يسر الله على مراجعتها حسب الإمكان وسعة الوقت وفرصة الزمان.

وقصدت بهذا التأليف الرد على بعض المتعصبين ممن اعتسف عن واضح المشارع، ونسب إلى إمامنا أنه يقدم القياس على النص عن الشارع، ولعمري هذه النسبة إليه غير صحيحة، فإن الصحيح المنقول في مذهبه تقديم النص على القياس، وذلك في مسائل كثيرة يعرفها من مارس كتب مذهبه، وهذا عكس ما فعله غيره من تقديمه على الخبر الواحد وقال القياس أولى منه معللاً بأن الخبر ما أخذنا به إلا بحسن الظن برواته والشارع ﷺ قد نهانا عن مثل ذلك بخلاف القياس إلى الأصول الصحيحة.

ويحتاج هذا الموضع إلى بسط عبارة ليزيل بعض الأوهام القائمة في بعض الناس، مع زعمهم أن أدلة الإمام رضي الله عنه غالبها ضعيفة لتعصبهم عليه بغير حق، مع أن من طالع أدلة مذهبه وجدها ما بين صحيح وحسن ـ وهو الأكثر ـ أو ضعيف كثرت طرقه من ثلاثة إلى عشرة، ومعلوم أن الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه قام في منزلة أن يحتج به عند كثير من المحدثين، وهذا النوع يوجد كثيراً في غير مذهبه، كما يعرفه من مارس الفن.

فاعلم أن مذاهب الأئمة الأربعة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ منسوجة من الشريعة المطهرة سداها ولحمتها، لا سيما مذهب إمامنا

الأعظم، لكن وجوه استنباطه تدق عن إدراك غالب عقول طلبة العلم، وما يوجد في بعضها مما يخالف ظاهر الأحاديث فهو بالنسبة إلى مدارك أفهامنا، وإلا فقد صح عنده من قوله ﷺ أو فعله أو من آثار الصحابة ما قام عنده بمقام اليقين وجعله حجة، ثم أيده بالنظر فيه والاستكشاف لما يعارضه ويخالفه، إذ لا يقول عاقل إن الإمام ـ رضي الله عنه ـ يجد في مسألة نصاً عن الشارع ويخالفه بقياس ورأي، حاشاه من رأي أو قياس يخالفان الشريعة، والذي أجمع عليه أهل مذهبه أنه ـ رضي الله عنه ـ يأخذ بخبر النبي ﷺ ما جاء، فإن اختلف خبران وكان لأحدهما وجه في التأويل يوافق به الخبر الآخر الذي ليس له إلا وجه واحد في الظاهر وفّق بينهما، فإن لم يجد خبراً عن النبي ﷺ أخذ من آثار الصحابة ما كان أقرب إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ويسمى ذلك اجتهاداً.

وروى أبو جعفر الشيرمازي بسنده إلى الإمام أنه كان يقول: نحن لا نقيس في مسألة إلا عند الضرورة وذلك إذا لم نجد دليلاً في الكتاب والسنة ولا في أقضية الصحابة، وفي رواية أخرى عنه: أنه قال: إنا نأخذ أولاً بالكتاب ثم بأقضية الصحابة فنعمل بما تتفق عليه الصحابة، فإن اختلفوا قسنا حكماً على حكم إذا اشتركا في العلة الجامعة بينهما حتى يتضح المعنى، وفي رواية أخرى: إنا نعمل بكتاب الله ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بأحاديث أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وفي رواية أخرى عنه: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ ـ بأبي هو وأمي ـ فعلى الرأس والعين وليس لنا مخالفة، وما جاء عن الصحابة تخيرنا، وما جاء عن غيرهم فهم رجال ونحن رجال[١].

وروي عن أبي مطيع البلخي قال: دخل سفيان الثوري وحماد بن سلمة ومقاتل بن حيان وجعفر بن محمد وغيرهم على الإمام أبي حنيفة فقالوا: بلغنا عنك أنك تكثر من القياس في الدين وأول من قاس إبليس، فناظره الإمام يوم الجمعة في جامع الكوفة وعرض عليهم مذهبه وقال لهم: إني أقدم العلم بالكتاب ثم بالسنة ثم أنظر بعد ذلك في أقضية الصحابة فإذا اختلفوا ولم يتفقوا على شيء قِستُ حينئذ، فقبّلوا كلهم

(١) روي هذا القول عن أبي حنيفة عبد الله بن المبارك (كما في المدخل للبيهقي ص ١١١)... وأبو عصمة (الانتقاء ص ١٤٤).

يده، وقالوا: أنت سيد العلماء. وزاد في رواية: فاعف عنا ما مضى، فقال: عفا الله عنا وعنكم.

وكتب أبو جعفر المنصور إليه قبل أن يجتمع به: بلغني عنك أنك تقدم القياس على الحديث، فقال أبو حنيفة: ليس الأمر كما زعم من بلّغك عني ذلك إذا جاءوك فأعلمهم أيها الخليفة أني أعمل بكتاب الله عز وجل ثم بسنة رسول الله ﷺ، ثم بأقضية الصحابة، ثم أقيس بعد ذلك، وليس بين الله تعالى وبين خلقه قرابة.

فهذا تصريح من الإمام بأنه كان يقدم الأثر على القياس فضلاً عن الحديث النبوي ﷺ، وأنه كان لا يقيس إلا بعد أن لا يجد ذلك الأمر في الكتاب ولا في السنة ولا في أقضية الصحابة (رضي الله عنهم).

وروي عنه أيضاً أنه كان يقول: لا ينبغي لمن لا يعلم دليلي أن يفتي بكلامي، وكان إذا أفتى يقول: هذا رأي أبي حنيفة وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب، وهذا فيه غاية الورع والإنصاف.

ومما يروى عنه أنه كان يقول ضعيف الحديث أحب إليَّ من آراء الرجال، وكأن المراد منه الضعيف الذي من قبل سوء حفظ راويه، وقد قالوا: أرفع الضعيف رتبة ما احتج به كثير من العلماء أو بعضهم، ودونه تفرد سيء الحفظ، ودونه تفرد كثير الخطأ، ودونه المبهم.

ووجدت في كتب أصحابنا ما نصه: المرسل والمنقطع عندنا حجة بعد ثقة الرواة أي ولو لم يرو من وجه مسنداً، ووجدت بخط الحافظ السخاوي ما نصه: قال ابن المواق: يُحكى عن الحنفية قبول رواية المجهول حالاً أو عيناً على الإطلاق انتهى. وهذا أغرب ما رأيت ولا أخاله يصح، فإن الإمام روى حديث سعد في بيع الرطب بالتمر ـ ومداره على زيد بن عياش ـ وعلله بأنه مجهول كما سيأتي في محله، فإن صح عنهم ذلك فهو نص في المقصود الذي نحن فيه، وهو كمال الاعتناء فيما جاء عنه ﷺ بأي وجه كان وتقديمه على القياس والرأي، هذا ولم تزل الأئمة ومقلدوهم يقيسون في الأحكام من غير نكير فيما بينهم، بل جعلوا القياس من جملة الأدلة في كل مسألة لا نص فيها.

وكان الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ يقول: إذا لم نجد دليلاً

قسناها على الأصول، فعلم أنه لا خصوصية للإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ من بين الأئمة في العمل بالقياس عند فقد النصوص[(١)].

---

(١) قال سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي في شرح «مختصر الروضة» في أصول الحنابلة: واعلم أن أصحاب الرأي بحسب الإضافة هم كل من تصرف في الأحكام بالرأي، فيتناول جميع علماء الإسلام، لأن كل واحد من المجتهدين لا يستغني في اجتهاده عن نظر ورأي، ولو بتحقيق المناط وتنقيحه الذي لا نزاع في صحته، وأما بحسب العلمية فهو في عرف السلف «من الرواة» بعد محنة خلق القرآن علم على أهل العراق وهم أهل الكوفة وأبو حنيفة ومن تابعه منهم... وبالغ بعضهم في التشنيع عليه، وكثر عليه الطعن من أئمة السلف حتى بلغوا فيه مبلغاً لا تطيب النفس بذكره، وأبى الله إلا عصمته مما قالوه وتنزهه عما إليه نسبوه، وجملة القول فيه: إنه قطعاً لم يخالف السنة عناداً، وإنما خالف منها اجتهاداً بحجج واضحة، ودلائل صالحة لائحة، وحججه بين أيدي الناس موجودة، وله بتقدير الخطأ أجر، وبتقدير الإصابة أجران، والطاعنون عليه إما حُسّاد أو جاهلون بمواقع الاجتهاد، وآخر ما صح عن الإمام رضي الله عنه إحسان القول فيه، والثناء عليه، ذكره أبو الورد من أصحابنا في كتاب «أصول الدين» اهـ. (انتهى بحذف ورقة ٢١٤/ب و ٢١٥/١ من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق رقم: ٥٨٥٣).

وكيف لا يكون الإمام أحمد بن حنبل حسن الرأي في الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وكان يترحم على أبي حنيفة لما ضرب بسياط كما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٧) وطلب أحمد أولاً الحديث من أبي يوسف (تاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٥). ولما سئل من أين لك هذه الدقائق؟ قال: من كتب محمد بن الحسن (تاريخ بغداد ٢/ ١٧٧) وأخذ عن أبي يوسف ثلاثة قماطر من العلم (تاريخ بغداد ٣/ ١٥) وأخذ العلم عن كثيرين من تلامذة الإمام أبي حنيفة منهم مكي بن إبراهيم، والفضل بن دكين أبو نعيم الملائي الكوفي، وابن مخلد، وعبد الرزاق ابن همام، وأسباط بن محمد، وجعفر بن عون، وعائذ بن حبيب، وعباد بن العوام، وعبد الله يزيد المقري، وعبيد الله بن موسى الكوفي، وعلي بن عاصم الواسطي، وعمر بن هيثم، ومحمد بن يزيد الكلامي (راجع لتراجمهم تذكرة الحفاظ وتهذيب الكمال للحافظ المزي وتهذيب التهذيب للحافظ العسقلاني) ولأجل هذ المدارسة ومصاحبته لتلاميذ أبي حنيفة ثم أخذ أصحابه العلم عن أصحاب أبي حنيفة (كما ذكره ابن خلدون في مقدمته ص ٤٤٨) جاء مذهبه موافقاً لمذهب أبي حنيفة في المسائل التي لا تعد ولا تحصى، ولذلك قال الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي رحمه الله تعالى في مقدمة اللمعات: ومما سنح لي على الإجمال من الدليل على كون مذهب الإمام أبي حنيفة موافقاً للحديث والأثر موافقته لمذهب الإمام أحمد، ولا ريب أن مذهب هذا الإمام مؤسس على الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة، وما ذكر في كتبنا من الدلائل العقلية والقياسات الفقهية إنما هي لترجيح بعض الأحاديث على بعض بالخصوص، وليس كما زعم المخالفون من قبيل القياس في مقابلة النصوص، وأيضاً ما يضعفه الشافعية من بعض الأحاديث التي تمسك به أبو حنيفة فهو لضعف بعض الرواة الذين جاءوا بعده، لا في الذين قبله، فهو عنده كان صحيحاً بلا شك وارتياب، وأبو حنيفة رحمه الله يقدم أقساماً من الحديث على القياس، من غير خلاف ونزاع، فهو أكثر موافقة للأحاديث وأدخل وأثبت قدماً في الاتباع اهـ بحذف.

والإمام من أورع الأئمة وأكثرهم احتياطاً، وتشديده في رواية الحديث معلوم، فالمنصف الكامل في حق الإمام يعتقد ما قدمناه من مذهبه من تقديم الأثر على القياس والحديث الضعيف على الرأي، على أن غالب قياسات الإمام من القياس الجلي وهو الذي يعرف به موافقة الفرع للأصل بحيث ينتفي افتراقهما ويبعد، وذلك نحو قياس غير الفارة من الميتة إذا وقع في السمن على الفأرة، وقياس الغائط على البول في الماء الراكد، ونحو ذلك، ولا ينكر القياس الجليْ أحد من الأئمة إلا ما بلغنا عن أبي محمد بن حزم الظاهري فيما نقله ابن السبكي في الطبقات الكبرى، ورأيت رسالة سماها إبطال القياس وترك الإستحسان، وهذا مذهب مرفوض لا يعول عليه، فهذا ما يتعلق بالقياس.

وأما الرأي فهو على قسمين محمود ومذموم، واختلفوا في المذموم، فقال قوم: هو البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد، كرأي جهم وأتباعه ورأي المعتزلة حيث ردوا بآرائهم الأحاديث والآثار، فهذا معيب مهجور لا يحل النظر فيه ولا الاشتغال به، وقال الآخرون: هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً دون ردها على أصولها والنظر في عللها واعتبارها،

= ولقد صدق الشيخ المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى فيما قال، ومن ارتاب في ذلك فليطالع كتب المذهب الحنفي والمذهب الحنبلي وليقارن في المسائل الخلافية بين الأئمة الأربعة يظهر له صدق ما ادعاه المحدث الدهلوي، ومما اتفق عليه الإمامان الجليلان أبو حنيفة وأحمد ـ رحمهما الله ـ: انتقاض الوضوء بخروج الدم والصديد والقيء الفاحش، وعدم جواز القراءة ومس المصحف للحائض والجنب والنفساء، وعدم وجوب الترتيب والموالاة في الوضوء... وأن الأذان لا ترجيع فيه، وأن الإمام يسر بالبسملة ولو كان يجهر بالقراءة، وأن الفاتحة ليست بواجبة على المأموم في الجهرية ولا في السرية.

ومن ذلك اختيارهما تشهد ابن مسعود والثناء المعروف بعد تكبيرة الافتتاح أعني سبحانك اللهم الخ وأنه لا قنوت في الصبح، وأن سجود السهو واجب، وأن المسنون وضع اليدين تحت السرة في الصلاة.

كما اتفقا على ترك جلسة الاستراحة، وعلى أن الترتيب في قضاء الفوائت واجب، وعلى أن المرأة تجمع نفسها في الركوع والسجود، وعلى أن من لم يقدر على ستر العورة صلى جالساً يؤمي إيماء، فإن صلى جماعة عراة وقف الإمام وسطهم.

وعليك بمطالعة المغني لابن قدامة في فقه الحنابلة تجد نصوص هذه المسائل ومسائل أخرى كثيرة مما اتفق عليه الإمامان الجليلان، وإنا ذكرنا عدة مسائل التي يطعن عليه الخصم ويظن أن هذه المسائل انفرد بها الإمام أبو حنيفة، والله ولي التوفيق.

وقيل هو الاشتغال بأغلوطات المسائل ومعضلاتها، وقيل هو الإفتاء في النوازل قبل أن تقع، وقيل غير ذلك، وكل ذلك مذموم معيب.

وقد برّأ الله الأئمة المجتهدين من ارتكاب ذلك، وما نسب إليهم من الرأي فهو من قسم المحمود، وقد نقل عن ابن وهب أن رجلاً جاء إلى القاسم بن محمد فسأله عن شيء فأجابه، فلما ولّى الرجل دعاه فقال له: لا تقل إن القاسم يزعم أن هذا هو الحق، ولكن إن اضطررت إليه عملت به، وذكر البخاري عن أبي بكر عن الليث قال: قال ربيعة لابن شهاب: يا أبا بكر إذا حدثت الناس برأيك فأخبرهم أنه رأيك، وإذا حدثت الناس بشيء من السنة فأخبرهم أنه سنة لا يظنوا أنه رأيك، وقال القعنبي: دخلت على مالك فوجدته باكياً، فسلمت عليه فرد علي، ثم سكت عني يبكي، فقلت له: يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك؟ قال لي يا ابن قعنب: أنا لله أبكي على ما فرط مني من هذا الرأي وهذه المسائل، وقد كان لي سعة فيما سُبقتُ إليه، ويروى عن الإمام مالك أنه قال في بعض ما كان ينزل فيسأل عنه فيجتهد فيه رأيه: إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين.

وهذا شيخ مالك ربيعة بن أبي عبد الرحمن يعرف بالرأي وينسب إليه، وروى عبد الغني بن سعيد الثقفي قال: سمعت الليث ابن سعد يقول: رأيت ربيعة ابن أبي عبد الرحمن في المنام، فقلت له: أبا عثمان ما حالك؟ فقال: صرت إلى خير إلا أني لم أحمد على كثير مما خرج مني من الرأي، وقال سلمة بن شبيب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي سفيان كله رأي وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار، وروى عبدان عن ابن المبارك أنه قال: ليكن الذي تعتمد عليه الأثر، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث.

فهذا الذي أوردته من نسبة الرأي إلى من ذكر فإنما هو من الرأي المحمود لا المذموم، فما وجه تخصيص إمامنا الأعظم من دونهم، مع أنهم غالبهم استعملوا الرأي والقياس، إن هذا إلا تعصب محض.

ومما اعترض به بعضهم أيضاً على الإمام فقال: إن مذهبه أقل المذاهب احتياطاً، وهذا كلام من ليس له غوص في فهم العلم، فإن من تتبع أصول الشريعة من مذهبه وجد غاية الورع والاحتياط، على أنه ما

من إمام إلا وقد احتاط في أمور، وفاته الاحتياط في أمور أخر، كما يعلم ذلك من سبر المذاهب كلها، فبتقدير عدم الاحتياط في مسائل فقد احتاط في مسائل أخر، وهكذا القول في كل إمام، ومن طالع كتاب الميزان للشعراني اتضح له الحال، ثم إن الذي سماه المعترض قلة احتياط فليس هو من باب التساهل في الدين، وإنما هو من باب التوسعة على الأمة وعدم الحرج تبعاً للشارع ﷺ في نحو قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ وقوله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا» وقوله ﷺ فيما نسب إليه: اختلاف أمتي رحمة[١].

فمن توسعة الإمام رحمه الله تعالى قوله بصحة الوضوء والغسل من الحمامات المسخنة بالسرجين وعظام الميتة فإنه في غاية التوسعة على الخلق، فهو أوسع ممن قال من الأئمة بعدم صحتهما من ذلك لتنجس الماء عنده بذلك أو كراهية استعماله كما كره أكل الخبز المخبوز بالوقود النجس، ومن توسعة الإمام أيضاً قوله: إن النار تطهر كل شيء خلط بنجاسة، فلولا قوله بذلك ما جاز لنا استعمال شيء من الأزيار والخوابي والزبادي والشقف والأباريق والصحون والقلل والطواحن والكيزان، لأن هذه كلها تخلط بالسرجين وتطبخ به ليتم تماسكها كما أخبر به أهل الوثوق.

فلولا تقليد الناس في قوله بحل استعمال هذه الأمور لتكدر عيشهم وضاقت مصالحهم، لا سيما إن ضاق الأمر، وإمام عظيم يوسع علينا باجتهاده ونور بصيرته تبعاً للشارع ﷺ كيف يسوغ لنا الإنكار عليه مع شدة حاجتنا إليه ليلاً ونهاراً إلى ما وسع به علينا، هذا الإنكار والله من عمي البصيرة، فلقد كان الإمام والله من أورع الناس وأزهد الناس في الدنيا وأعف الناس وأعبد الناس ومن أشدهم احتياطاً في دينه كما شهد له بذلك أقرانه.

ألا ترى ما حكاه بشر بن الوليد عن أبي يوسف سألني الأعمش عن مسألة وأنا وهو لا غير فأجبته، فقال لي: من أين قلتَ هذا يا يعقوب؟ فقلتُ: بالحديث الذي حدثتني أنت ثم حدثته، فقال لي يا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث من قبل أن يجتمع أبواك ما عرفت تأويله إلا الآن،

---

(١) راجع لتحقيق لفظ هذا الحديث ومعناه «المقاصد الحسنة» للسخاوي (حديث رقم ٣٩).

وروي أنه جرى نحو هذا بين الأعمش وأبي حنيفة، فكان من قول الأعمش: أنتم الأطباء ونحن الصيادلة، ومن هنا قال اليزيدي إن من يحمل الحديث ولا يعرف فيه التأويل كالصيدلاني، وقال علي بن معبد بن شداد: حدثنا عبيد الله بن عمرو قال: كنت في مجلس الأعمش فجاءه رجل فسأله عن مسألة فلم يجبه فيها، ونظر فإذا أبو حنيفة، فقال: يا نعمان قل فيها، قال: القول فيها كذا، قال: من أين؟ قال: من حديث كذا أنت حدثتناه، قال فقال الأعمش: نحن الصيادلة وأنتم الأطباء، ولله در القائل:

ومليحة شهدت لها ضراتها
والحسن ما شهدت به الضرات

وقد أثنى على الإمام جماعة من الأئمة هم عدول هذه الأمة، فقد روى عباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول: أصحابنا يفرطون في أبي حنيفة وأصحابه، فقيل له أكان أبو حنيفة يكذب؟ قال: كان أنبل من ذلك، وذكر محمد بن الحسين الموصلي الحافظ في آخر كتابه في الضعفاء قال يحيى بن معين: ما رأيت أحداً أقدمه على وكيع وكان يفتي برأي أبي حنيفة، وكان يحفظ حديثه كله وكان قد سمع من أبي حنيفة حديثاً كثيراً، قال وكيع ليحيى بن معين: يا أبا زكريا أبو حنيفة كان يصدق في الحديث؟ قال: نعم[١] صدوق قال وقيل ليحيى بن معين: أيما أحب إليك أبو حنيفة أو الشافعي أو أبو يوسف القاضي؟ فقال أما الشافعي فلا أحب حديثه، وأما أبو حنيفة فقد حدث عنه قوم صالحون[٢] وأبو يوسف لم يكن من أهل الكذب كان

---

(١) وذكر ابن عبد البر في «الانتقاء» عن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: سئل ابن معين ـ وأنا أسمع ـ عن أبي حنيفة فقال: ثقة ما سمعت أحداً ضعفه، هذا شعبة بن الحجاج يكتب إليه أن يحدث ويأمره وشعبة وشعبة (ص ١٢٧) وقال محمد بن سعد العوفي: سمعت ابن معين يقول: كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث إلا بما حفظه ولا يحدث بما لا يحفظ (تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٥٥).

قلت: مثل أبي حنيفة الإمام العلم لا يحتاج في توثيقه وتعديله إلى مثل شعبة وابن معين، لكنا ذكرنا توثيقه عنهما إلجاماً للذين يبغضونه ويفرحون بقول من تجاسر في تضعيفه ـ بعد شعبة وابن معين ـ ولم يكن أهلاً لأن يتكلم في مثل هذا الإمام الجليل، والله يغفر للجميع ويسامحهم.

(٢) وهم ثقات أثبات أئمة أعلام، راجع ذكر تلاميذه في «تبييض الصحيفة» مع تراجمهم في تعليقنا.

صدوقاً، ولكن لست أرى حديثه يجزيء»، قلت: ولم يتابع يحيى بن معين أحد في قوله في الشافعي فقد رد عليه أحمد بن حنبل وقال: هو لا يعرف الشافعي ولا يعرف حديثه[١]، وقال الحسن بن علي الحلواني: قال لي شبابة بن سوار: كان شعبة حسن الرأي في أبي حنيفة، وقال علي بن المديني: أبي حنيفة روى عنه الثوري وابن المبارك وحماد بن زيد وهشيم ووكيع بن الجراح وعباد بن العوام وجعفر بن عون وهو ثقة لا بأس به، وقال يحيى بن سعيد: ربما استحسنا الشيء من قول أبي حنيفة فنأخذ به، قال يحيى: وقد سمعت من أبي يوسف الجامع الصغير ذكره الأزدي، حدثنا محمد بن حرب سمعت علي بن المديني فذكره من أوله إلى آخره حرفاً بحرف.

وقال ابن عبد البر في كتاب العلم[٢]: حدثني عبد الله بن محمد بن يوسف حدثنا ابن رحمون قال: سمعت محمد بن[٣] بكر بن داسة يقول سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث السجستاني يقول: رحم الله مالكاً كان إماماً، رحم الله الشافعي كان إماماً، رحم الله أبا حنيفة كان إماماً[٤].

قلت: فمن كان بهذه المثابة ممن أثنى عليه هؤلاء الأئمة ـ وشهدوا له بالصدق والأمانة والورع والاحتياط والإخلاص، ـ كيف يظن به أنه يترك الاحتياط في مذهبه، هذا عين الافتراء عليه، وحاشاه من ذلك ثم حاشاه، ثم إنه يكفينا قول الإمام مالك في حقه لما سئل عنه ـ فيما رواه البرقاني ـ قال: أخبرنا أبو العباس ابن حمدون لفظاً قال: حدثنا محمد بن أيوب حدثنا محمد بن الصباح قال: سمعت الشافعي محمد بن إدريس يقول: قيل لمالك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال:

---

(١) وكما لا يقبل قول ابن معين في الإمام الشافعي كذا لا يقبل قوله في الإمام أبي يوسف القاضي، (لست أرى حديثه يجزيء) وكيف لا يجزيء حديثه مع كونه ثقة حافظاً؟ وراجع لترجمته تذكرة الحفاظ وحسن التقاضي.

(٢) يعني كتابه المعروف (جامع بيان العلم وفضله).

(٣) هو أحد رواة سنن أبي داود عن أبي داود صاحب السنن، وصاحبُ السنن هو سليمان بن الأشعث السجستاني.

(٤) ذكر قول أبي داود هذا ابن عبد البر في «الانتقاء» أيضاً في تذكرة الإمام مالك، وذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ (ص ١٦٩) في تذكرة الإمام أبي حنيفة، واقتصر على ذكره..

نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته، وفي رواية أخرى: ماذا أقول في رجل لو ناظرني في أن نصف هذا العمود من ذهب ونصفه من فضة لقام بحجته، وقال ابن وضاح: سمعت محمد بن يحيى المصري قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: سئل مالك عن مسألة فأجاب عنها فقال السائل: إن أهل الشام يخالفونك فيها فيقولون كذا وكذا: قال: ومتى كان هذا الشأن بالشام، إنما هو وقف على أهل المدينة والكوفة، قلت: وشأن المسائل بالكوفة مدارها على أبي حنيفة وأصحابه، وكذلك قول الإمام الشافعي فيه: الناس كلهم عيال على أبي حنيفة في الفقه، وإذا مدح إمامك أحداً وجب عليك تعظيمه لأنك قد أوجبت على نفسك تقليد إمامك في كل ما يقول من غير مطالبة بدليل، وهذا من ذلك، فيحرم عليك الانتقاد على ذلك الإمام ويجب عليك التسليم، مع أن جميع المقلّدين للمذاهب دون الإمام أبي حنيفة في العلم بيقين، فإنه إمام عظيم اختاره الله لهداية عباده كسائر المذاهب المتبعة.

وقرأت في كتاب «خلاصة الأثر» للمحبي ما نصه: حكى لي بعض العلماء وأنا بمكة عن الشهاب أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي الشافعي رواية عن الإمام شمس الدين محمد بن العلاء البابلي الشافعي ـ وكان قد وصف بالحفظ والإتقان ـ أنه كان يقول: إذا سئلنا عن أفضل الأئمة نقول أبو حنيفة انتهى[1].

فهذا غاية الإنصاف من هذا الإمام في حق الإمام، أحل الله الجميع دار السلام، واشتهر عن الإمام الشافعي إنه لما زاره وصل الصبح عند قبره ترك القنوت في الصبح[2] أدباً مع الإمام لكونه لا يقول به، فانظر كثرة أدب الأئمة بعضهم مع بعض، وإياك والتعصب بغير علم.

وأما حكم قول العلماء بعضهم في بعض فقد عقد له الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب العلم باباً أطال فيه، ونحن نلخّص لك من سياقه ما يحسن إيراده هنا، قال: الصحيح في هذا الباب إن من صحت عدالته وثبتت في العلم إمامته وبانت ثقته وبالعلم عنايته لم يلتفت فيه

---

(١) راجع خلاصة الأثر (٤/ ٤٢).

(٢) وذكره الشاه ولي الله الدهلوي في حجة الله البالغة أيضاً (١/ ٥٩).

إلى قول أحد، إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب تصديقه فيما قاله لبراءته من الغل والحسد والعداوة والمنافسة وسلامته من ذلك كله، فذلك كله يوجب قبول قوله من جهة الفقه والنظر، وأما من لم تثبت إمامته ولا عرفت عدالته ولا صحت لعدم الحفظ والاتقان روايته فإنه ينظر فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه ويجتهد في قبول ما جاء به على حسب ما يؤدي النظر إليه، والدليل على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إماماً في الدين قولُ أحد من الطاعنين أن السلف رضي الله عنهم قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير، منه في حال الغضب ومنه ما حمل عليه الحسد ومنه على جهة التأويل مما لا يلزم المقول فيه ما قال القائل فيه، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً واجتهاداً لا يلزم تقليدهم في شيء منه دون برهان وحجة توجبه، ثم قال: وقد أفرط أصحاب الحديث في ذم الإمام أبي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك، والسبب الموجب له عندهم إدخاله الرأي والقياس على الآثار، وأكثر أهل العلم يقولون إذا صح الأثر في جهة الإسناد بطل القياس والنظر، وكان رده لما رده من الأحاديث بتأويل محتمل، وكثير منه فقد تقدمه إليه غيره وتابعه عليه مثله ممن قال بالرأي، وجُل ما يوجد له من ذلك ما كان منه اتباعاً لأهل بلده كإبراهيم النخعي وأصحاب ابن مسعود إلا أنه أغرق وأفرط في تنزيل النوازل هو وأصحابه والجواب فيها برأيهم واستحسانهم فيأتي منهم في ذلك خلاف كثير للسلف وشنع هي عند مخالفيهم بدع، وما أعلم أحداً من أهل العلم إلا وله تأويل في آية أو مذهب في سنة رد من أجل ذلك المذهب سنة أخرى بتأويل سائغ أو ادعاء نسخ. .

وقد ذكر يحيى بن سلام قال: سمعت عبد الله بن غانم في مجلس إبراهيم بن الأغلب يحدث عن الليث بن سعد أنه قال: أحصيت على مالك بن أنس سبعين مسألة كلها مخالفة لسنة رسول الله ﷺ مما قال فيها برأيه، قال: ولقد كتبت إليه أعظه في ذلك.

قال ابن عبد البر: ليس أحد من علماء الأمة يثبت حديثاً عن رسول الله ﷺ ثم يرده دون ادعاء نسخ ذلك بأثر مثله وبإجماع أو بعمل يجب على أصله الانقياد إليه أو طعن في سنده، ولو فعل ذلك أحد سقطت

عدالته فضلاً أن يتخذ إماماً، ولزمه اسم الفسق، ولقد عافاهم الله عز وجل من ذلك.

قال: ونقموا أيضاً على أبي حنيفة الإرجاء، ومن أهل العلم من ينسب إلى الإرجاء كثير، لم يعن أحد بنقل قبيح ما قيل فيه كما عنوا بذلك في أبي حنيفة لإمامته، وكان أيضاً مع هذا يحسد وينسب إليه ما ليس فيه، ويختلق عليه ما لا يليق به، قال: والذين رووا عن أبي حنيفة ووثقوه وأثنوا عليه أكثر من الذين تكلموا فيه، والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ما عابوا عليه الإغراق في الرأي والقياس والإرجاء، قلت: أما الجواب عن الرأي والقياس فقد تقدم ويكفينا في ذلك قول معاذ رضي الله عنه حين أرسله النبي ﷺ إلى اليمن وسأله بم تحكم؟ قال: أحكم بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلوا، فقال النبي ﷺ حينئذ: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله. وهذا حديث صحيح ثابت في الكتب، فمن طعن على الإمام أبي حنيفة في استعماله الرأي والقياس فقد طعن على معاذ بل على النبي ﷺ، واعلم: أنه إذا خطّأ أحد الثلاثة المجتمعة فقد خطّأ الآخرين ضرورة، وإذا خطّأ الثلاثة فإنما التخطئة لقاليهم، فكان ظاهر قوله الرد على أبي حنيفة والمقصود من قال بالرأي، فانظر إلى من جعل أبا حنيفة ذريعة إلى الرد على سائر أئمة الأمصار وهم موافقون له في الرأي والقياس.

وأما نسبة الإرجاء إليه فغير صحيح، فإن أصحاب الإمام كلهم على خلاف رأي أصحاب الإرجاء، فلو كان أبو حنيفة مرجئاً لكان أصحابه على رأيه، وهم الآن موجودون على خلاف ذلك، وإذا أجمع الناس على أمر وخالفهم واحد أو اثنان لم يلتفت إلى قوله ولم يصدق في دعواه، حتى إن الصلاة عند أبي حنيفة خلف المرجئة لا تجوز، ومن أجمع الأئمة على أنه أحد الأئمة الأربعة المجمع عليهم لا يقدح فيه قول من لا يعرفه إلا بعض المحدثين، وقد روي عن حماد بن زيد يقول: سمعت أيوب ـ يعني السختياني ـ وقد ذكر عنده أبو حنيفة بنقص ـ فقال: يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

وقد رأينا مذاهب جماعة ممن تكلم في أبي حنيفة قد ذهبت

واضمحلّت ومذهب أبي حنيفة باق إلى يوم القيامة، وكلما قدم ازداد نوراً وبركة، والناس الآن مطبقون على أن أصحاب السنة والجماعة هم أهل المذاهب الأربعة مثل أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وكل من تكلم في مذهب أبي حنيفة درس مذهبه حتى لا يعرف، ومذهب أبي حنيفة باق ملء الأرض شرقها وغربها وأكثر الناس عليه.

ثم قال ابن عبد البر: وكان يقال يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه، قالوا: إلا ترى إلى علي بن أبي طالب أنه قد هلك فيه فئتان محب مفرط ومبغض مفرط، وهذه صفة أهل النباهة ومن بلغ في الدين والفضل الغاية، ثم ساق بالسند إلى حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه رفعه: دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم، أفشوا السلام بينكم، أورده من طريقين.

وأخرجه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها.

ومن طريق أخرى عنه قال: خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض، فإنهم يتعايرون تعاير التيوس في الزريبة، ثم قال: وقد تكلم الشعبي في النخعي، والزهري في ربيعة وأبي الزناد والأعمش، وغيره في أبي حنيفة ومالك في ابن إسحاق، ويحيى بن معين في الشافعي، وابن أبي ذئب وغيره في مالك، فإن أهل العلم والفهم لا يقبلون قول بعضهم في بعض.

ثم قال: وما مثل من يتكلم في الأئمة إلا كما قال الشاعر الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها
فلم يضرها وأودى قرنه الوعل

أو كما قال الحسن بن حميد:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه
أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً
وللناس قال بالظنون وقيل

وقد روي أن موسى عليه السلام قال: يا رب اقطع عني ألسن بني إسرائيل، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى لم أقطعها عن نفسي، فكيف أقطعها عنك.

ولله در القائل:

ولست بناج من مقالة طاعن
ولو كنت في غار على جبل وعر
ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً
ولو غاب عنهم بين خافتي نسر

ثم قال: والله لقد تجاوز الناس الحد في الغيبة والذم فلم يقنعوا بذم العامة دون الخاصة، ولا يذم الجهال دون العلماء، وهذا كله يحمل عليه الجهل والحسد.

وقيل لابن المبارك: فلان يتكلم في أبي حنيفة، فانشد بيت ابن الرقيات:

حسدوك إن رأوك فضّلك الله
بما فضلت به النجباء

وقيل لأبي عاصم النبيل: فلان يتكلم في أبي حنيفة، فقال: هو كما قال نصيب:

سلمت وهل حي من الناس يسلم

وكما قال أبو الأسود الدؤلي:

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه
فالناس أعداء له وخصوم

فمن أراد أن يقبل قول العلماء الثقات الأئمة الأثبات بعضهم في بعض فليقبل قول من ذكرنا بعضهم في بعض من الصحابة والتابعين وأتباعهم، فإن فعل ذلك ضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً، فإن لم

يفعل ولن يفعل ـ إن هداه الله وألهمه رشده ـ فليقف عند ما شرطنا من أن يقبل فيمن صحت عدالته، وعلمت بالعلم عنايته، وسلم من الكبائر، ولزم المروءة والتعاون، وكان خيره غالباً، وشره أقل عمله، فهذا لا يقبل فيه قول القائل، ولا برهان له به، وهذا هو الحق الذي لا يصح غيره إن شاء الله، قال أبو العتاهية:

بكى شجوه الإسلام من علمائه
فما اكترثوا لما رأوا من بكائه
فأكثرهم مستقبح لصواب من
يخالفه مستحسن لخطائه
فأيهم المرجو فينا لدينه
وأيهم الموثوق فينا برأيه

وقد جمع الناس فضائل مالك والشافعي وأبي حنيفة وعنوا بسيرهم وأخبارهم فمن وقف عليها بعد فضائل الصحابة والتابعين وسعى في الاقتداء بهم وسلوك سبيلهم في عملهم وسمتهم وهديهم كان ذلك له عملاً زاكياً، نفعنا الله عز وجل بحبهم أجمعين، قال الثوري ـ رحمه الله ـ عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، ومن لم يحفظ من أخبارهم إلا ما ندر من بعضهم في بعض على الحسد والهفوات والغضب والشهوات دون أن يعني بفضائلهم ويروي مناقبهم حُرم التوفيق ودخل في الغيبة وحاد عن الطريق.

جعلنا الله وإياك ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، ومن صحبه التوفيق أغناه من الحكمة يسيرها، ومن المواعظ قليلها، إذا فهم واستعمل ما علم.

انتهى ما في مقدمة
«عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة»
للحافظ السيد محمد مرتضى الزبيدي
رحمه الله تعالى

---

(١) وعليك أن تطالع كتاب السيد محمد مرتضى الزبيدي كله من أوله إلى آخره تجد فيه دلائل المذهب الحنفي بما يثلج صدرك، وبالله التوفيق.

المواهب الشريفة

في مناقب الإمام أبي حنيفة

(رحمه الله تعالى)

جمعها الفقير إلى الله سبحانه

محمد عاشق إلهي البرني

(المهاجر المدني)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

أما بعد، فإن جماعة من أكابر العلماء وأماثل الفضلاء جمعوا مناقب الإمام الأعظم والهمام الأفخم أبي حنيفة النعمان بن ثابت ـ رحمه الله تعالى ـ فمنهم من أفرد في ذلك كتاباً، كالإمام أبي جعفر الطحاوي، والإمام ابن أبي العوام السعدي، والقاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، والحافظ جلال الدين السيوطي، والعلامة محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي، والفقيه أحمد بن حجر الهيتمي المكي رحمهم الله تعالى، ومنهم من أدرجها في ضمن مؤلفاتهم التي ألفوها في تراجم الأحبار وسير الأخيار كالحافظ جمال الدين المزّي في «تهذيب الكمال» والحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» وفي «سير أعلام النبلاء» والحافظ أبي عمرو يوسف بن عبد البر في «الانتقاء» وفي كتابه «جامع بيان العلم وفضله» والخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد».

إلا أنه توجد في كتاب الخطيب المثالب التي هي أقاويل مختلفة وأقاصيص مكذوبة جاءت بأسانيد فيها كذابون ومجاهيل، ويحسن الظن بالخطيب بعض أهل التحقيق ويرى أن إيرادها من مثل الخطيب بعد إيراد المناقب التي تبهر العقول بعيد جداً، وغالب الظن أنها كلها أو أكثرها مدسوسة في كتابه، ولو فرض أنه أدرجها هو بنفسه فهو على طريقة المؤرخين الذين يذكرون كل ما وصل إليهم من رطب ويابس، بغير نقد الرجال وغربلة الأسانيد، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال، ولما طالع تلك المثالب الذين يقعون في أبي حنيفة ويستلذّون باغتيابه طاروا بتلك المثالب وطفقوا ينشرونها ويدرجونها في كتبهم صارفين أنظارهم عما ذكره الخطيب نفسه وآخرون ممن ألف في السير والتراجم من مناقبه الجلية وفضائله العلية بالأسانيد الصحيحة.

فألقى الله في روعي أن أجمع مناقبه التي وردت في كتب الأعيان ورسائل الأعلام، وأعزوها إلى قائلها وإلى من ذكرها في كتابه من غير

أي زيادة كلمة مني ليعتبر بها حاسدوه ويتعظ بها حاقدوه، والله يرحم الجميع.

وسميت هذا المجموع بـ «**المواهب الشريفة في مناقب الإمام أبي حنيفة**» ـ رحمه الله تعالى ـ وألحقت في آخره تذكرة أصحابه الثلاثة أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ومحمد بن الحسن الشيباني، وزفر بن الهذيل العنبري البصري رحمهم الله تعالى.

والله أسأل أن يغفر لنا ذنوبنا ويمحو عنا حوبنا ويصلح أعمالنا وينجح آمالنا ويعافينا في الدارين إنه عليم خبير وبالإجابة جدير، وعلى كل شيء قدير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الهمام أبو حنيفة النعمان

عليه الرحمة والرضوان

المولود ٨٠ هـ ـ المتوفى ١٥٠ هـ

هو أبو حنيفة الإمام الأعظم فقيه العراق النعمان بن ثابت الكوفي، رأى أنس بن مالك غير مرّة لما قدم عليهم الكوفة، وكان قد تفقه بحماد بن أبي سليمان وغيره، وحدث عنه وكيع ويزيد بن هارون وأبو عاصم وعبد الرزاق (صاحب المصنف) وبشر كثير، وكان إماماً ورعاً عالماً عاملاً متعبداً كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويكتسب.

(تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ١/ ١٦٨).

كونه تابعياً:

رأى الإمام أبو حنيفة غير مرة أنس بن مالك الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وهو بهذا الاعتبار من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له، كالأوزاعي بالشام والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة ومسلم بن خالد بمكة والليث بن سعد بمصر.

(تبييض الصحيفة ص ٦).

شيوخه:

أخذ الإمام أبو حنيفة العلم عن أربعة آلاف شيخ من التابعين، ذكره محمد بن يوسف الصالحي الشافعي في عقود الجمان (ص ١٨٣).

وكان من شيوخه علامة التابعين عامر بن شراحيل الكوفي الشعبي، وهو أكبر شيخ لأبي حنيفة، أدرك خمس مائة من أصحاب النبي ﷺ.

(تذكرة الحفاظ ١/ ٧٩/ ٨١).

وأخذ الإمام أبو حنيفة عن عطاء بن أبي رباح أيضاً وهو أدرك مائتين من الصحابة.

(تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٠).

تلاميذه:

تلاميذ أبي حنيفة رحمهم الله تعالى جم غفير وجمع كثير، قال الصالحي في عقود الجمان: اتفق له من الأصحاب ما لم يتفق لأحد من بعده من الأئمة.

(عقود الجمان ص ١٨٣).

وذكر الصالحي في الباب الخامس من كتابه بعض الآخذين من أبي حنيفة الحديث والفقه من أهل مكة والمدينة ودمشق والبصرة والجزيرة وغيرها وقال: أنا مورد جماعة من الأعيان الآخذين عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه نحو الثمان مائة، ثم ذكر أسماءهم بالتفصيل.

(عقود الجمان ص ٨٨ إلى ص ١٥٨).

وسرد علي بن سلطان محمد القاري رحمه الله تعالى في كتابه (مناقب الإمام الأعظم) أسماء تلاميذه وقد بلغت إلى مائة وخمسين تقريباً، ثم قال في آخره هذا الذي اختصرناه من مناقب الكردري، وقال (الكردري) في آخره:

فهؤلاء سبع مائة وثلاثون رجلاً من مشايخ البلدان وأعلام ذلك الزمان، أخذوا عنه العلم ووصل إلينا بسعيهم واجتهادهم، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء يوم معادهم.

(راجع ذيل الجواهر المضية ص ٥١٨ إلى ٥٥٦).

مكانته في الحديث:

قال خلف بن أيوب: صار العلم من الله تبارك وتعالى إلى محمد ﷺ، ثم صار إلى أصحابه، ثم صار إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه، فمن شاء فليرض ومن شاء فليسخط.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦).

وقال أبو مطيع قال أبو حنيفة: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال لي: يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم؟ قال: قلت: عن حماد عن إبراهيم عن عمر[1] بن الخطاب، وعن علي بن أبي طالب، وعن عبد الله بن مسعود، وعن عبد الله بن عباس، قال: فقال أبو جعفر:

---

(١) أي من أصحاب هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

بخ بخ استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة الطيبين الطاهرين المباركين صلوات الله عليهم

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٤).

وقال مسعر بن كدام: طلبنا مع أبي حنيفة الحديث فغلبنا، فأخذنا في الزهد فبرع علينا، وطلبنا معه الفقه فجاء منه ما ترون.

(عقود الجمان ص ١٩٦).

وقال إسرائيل: كان نعم الرجل النعمان، ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه، وأعلمه بما فيه من الفقه.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٩).

وقال أبو يوسف رحمه الله تعالى: ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة، وقال أيضاً كان أبو حنيفة أبصر بالحديث الصحيح مني.

(عقود الجمان ص ١٦٦).

وكان رحمه الله تعالى بصيراً بعلل الأحاديث وبالتعديل والتجريح مقبول القول في ذلك.

(عقود الجمان ص ١٦٨).

وقال عبد الله بن داود: يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله تعالى لأبي حنيفة في صلواتهم، وذكر حفظه عليهم السنن والفقه.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٤).

وقال سفيان الثوري إن كان أبو حنيفة ليركب من العلم أحد من سنان الرمح، كان والله شديد الأخذ للعلم، ذاباً عن المحارم متبعاً لأهل بلده، ولا يستحل أن يأخذ إلا ما صح من آثار رسول الله ﷺ، شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه، وكان يطلب أحاديث الثقات والآخر من فعل رسول الله ﷺ، وما أدرك عليه علماء أهل الكوفة في اتباع الحق أخذ به وجعله دينه.

(عقود الجمان ص ١٩١).

وقال مكي بن إبراهيم: كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٥).

وقال يحيى بن نصر بن حاجب: سمعت أبا حنيفة رحمه الله

يقول: عندي صناديق من الحديث، ما أخرجت منها إلا اليسير الذي ينتفع به.

(مناقب أبي حنيفة للموفق المكي ص ٨٥).

وقال حسن بن زياد: كان الإمام يروي أربعة آلاف حديث، ألفين لحماد وألفين لسائر المشيخة.

(مناقب أبي حنيفة للموفق المكي ص ٨٥).

وقد انتخب أبو حنيفة رحمه الله الآثار من أربعين ألف حديث.

(مناقب أبي حنيفة للموفق المكي ص ٨٤).

مكانته في الفقه:

قال وكيع بن الجراح (شيخ الإمام الشافعي): ما لقيت أحداً أفقه من أبي حنيفة ولا أحسن صلاة منه.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٥).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه، فإن الناس كلهم عيال عليه في الفقه.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٦).

وقال أيضاً: من لم ينظر في كتب أبي حنيفة لم يتبحر في العلم ولا يتفقه، وكان أبو حنيفة وقوله في الفقه مسلّماً له.

(عقود الجمان ص ١٨٧).

وقال يزيد بن هارون: أكتب حديث مالك فإنه كان ينتقي الرجال، والفقه صناعة أبي حنيفة وصناعة أصحابه، والفرائض كأنهم خلقوا لها.

(عقود الجمان ص ١٩٤).

وقال النضر بن شميل: كان الناس نياماً عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه ولخصه.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٦).

وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازي: سمعت أبي يقول: ما رأيت أحداً أفقه من أبي حنيفة، وما رأيت أحداً أورع من أبي حنيفة..

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٩).

وقال جعفر بن الربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما

رأيت أطول صمتاً منه، فإذا سئل عن شيء في الفقه تفتح وسال كالوادي.

(تاريخ بغداد ١٣/٣٤٧).

وقال جرير: كان الأعمش إذا سُئل عن الدقائق أرسلهم إلى أبي حنيفة.

(مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للإمام الذهبي ص ١٨).

وقال ابن المبارك: إن كان الأثر قد عرف واحتيج إلى الرأي فرأى مالك وسفيان وأبي حنيفة، وأبو حنيفة أحسنهم وأدقهم فطنة وأغوصهم على الفقه، وهو أفقه الثلاثة.

(أيضاً ص ١٩).

وذكر الصالحي في عقود الجمان (ص ١٨٤): أن أبا حنيفة أول من دوّن الفقه ورتبه أبواباً، ثم تابعه مالك بن أنس في ترتيب الموطأ، لم يسبق أبا حنيفة أحد.

أمرهم شورىٰ بينهم:

وضع الإمام أبو حنيفة مذهبه شورى بينهم، ولم يستبدّ فيه بنفسه دونهم اجتهاداً منه في الدين ومبالغة في النصيحة لله ورسوله وللمسلمين، فكان يطرح مسألة ثم مسألة لهم يسأل ما عندهم ويقول ما عنده ويناظرهم في كل مسألة شهراً أو أكثر، ويأتي بالدلائل أنور من السراج الأزهر، ثم يثبتها الإمام أبو يوسف في الأصول بعدما تلقاه الفحول بالقبول، فإذا كان كذلك كان المذهب الذي وضع شورى بين الأئمة أولى وأصوب، وإلى السداد والاستقامة والصحة أقرب، والقلوب إليه أمثل وأسكن وأطيب، من مذهب من انفرد بوضع مذهبه لنفسه ورجع فيه إلى رأيه.

(مناقب أبي حنيفة للكردري ص ٥٧).

وقال أسد بن الفرات: كان أصحاب أبي حنيفة الذين دونوا الكتب أربعين رجلاً، فكان في العشرة المتقدمين أبو يوسف وزفر بن الهذيل وداود الطائي وأسد بن عمرو ويوسف بن خالد السمتي ويحيى بن زكريا

---

(١) معناه أنهم كانوا يقيمون في عامة المسائل ثلاثة أيام، ويقيمون في بعضها شهراً أو أكثر لغموض ودقة فيها.

بن أبي زائدة وهو الذي كان يكتبها لهم ثلاثين سنة.

(حسن التقاضي ص ١٢).

وقال أسد بن الفرات أيضاً: قال أسد بن عمرو: كانوا يختلفون عند أبي حنيفة في جواب المسألة فيأتي هذا بجواب وهذا بجواب ثم يرفعونها إليه ويسألونه عنها فيأتي الجواب من كثب ـ أي من قرب ـ وكانوا يقيمون في المسألة ثلاثة أيام ثم يكتبونها في الديوان اهـ.

(حسن التقاضي ص ١٢).

وقد أسند الصيمري إلى إسحاق بن إبراهيم أنه قال: كان أصحاب أبي حنيفة يخوضون معه في المسألة، فإذا لم يحضر عافية بن يزيد قال أبو حنيفة لا ترفعوا المسألة حتى يحضر عافية، فإذا حضر عافية ووافقهم قال أبو حنيفة: اثبتوها، وإن لم يوافقهم قال أبو حنيفة: لا تثبتوها اهـ.

(حسن التقاضي ص ١٢).

ودوّن الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ألوف آلاف مسألة، اختلف الناقلون في عددها، وأقل ما جاء في ذلك ثلاثة آلاف وثمانين ألف مسألة، ثمانية وثلاثين ألفاً في العبادات والباقي في المعاملات.

(راجع مناقب أبي حنيفة للكردري ص ١٦٢).

عقله وذكاءه:

قال يزيد: ما رأيت أحداً أورع ولا أعقل من أبي حنيفة.

(تذكرة الحفاظ ١/١٦٨).

وقيل للإمام مالك بن أنس هل رأيت أبا حنيفة؟ قال نعم، رأيت رجلاً لو كلّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته.

(تاريخ بغداد ١٣/٣٣٨).

وقال خارجة بن مصعب: لقيت ألفاً من العلماء فوجدت العاقل فيهم ثلاثة ـ أو أربعة ـ فذكر أبا حنيفة في الثلاثة ـ أو الأربعة ـ.

(تاريخ بغداد ١٣/٣٦٤).

عبادته:

قال سفيان بن عيينة: ما قدم مكة رجل من وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة.

(تاريخ بغداد ١٣/٣٥٣).

وقال أبو مطيع: كنت بمكة فما دخلت الطواف في ساعة من ساعات الليل إلا رأيت أبا حنيفة وسفيان في الطواف.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٣).

وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يسمى الوتَد لكثرة صلاته.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٤).

وقال حفص بن عبد الرحمن: كان أبو حنيفة يحيي الليل بقراءة القرآن في ركعة ثلاثين سنة.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٤).

خوفه وخشيته:

قال يزيد بن الكميت: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن في العشاء الآخرة إذا زلزلت وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يفكر ويتنفس.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٧).

وقال القاسم بن معن: قام أبو حنيفة ليلة بهذه الآية ﴿**بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**﴾ يرددها ويبكي ويتضرع.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٧).

وقال وكيع: كان والله أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان الله في قلبه جليلاً كبيراً عظيماً، وكان يؤثر رضاء ربه على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٨).

زهده، وورعه، وتقواه:

قال مكي بن إبراهيم: جالست الكوفيين فما رأيت أورع من أبي حنيفة.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٨).

وكذا قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى.

(أيضاً ١٣/ ٣٥٩).

وقال يحيى القطان: جالسنا والله أبا حنيفة وسمعنا منه، وكنت والله إذا نظرت إليه عرفت في وجهه أنه يتقي الله عز وجل.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٢).

وقال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة ما سمعته يغتاب عدواً له قط، قال: هو والله أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٣).

وقال ابن المبارك أيضاً ـ وذكر أبا حنيفة ـ ماذا يقال في رجل عرضت عليه الدنيا والأموال فنبذها، وضرب بالسياط فصبر عليها، ولم يدخل فيما كان غيره يستدعيه.

(عقود الجمان ص ٢٣٩).

وقال الحكم بن هشام الثقفي: كان أبو حنيفة أعظم الناس أمانة، وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره، فاختار عذابهم على عذاب الله.

(عقود الجمان ص ٢٤٣).

وقال الحسن بن صالح: كان أبو حنيفة شديد الورع هائباً للحرام، تاركاً لكثير من الحلال مخافة الشبهة، ما رأيت فقيهاً قط أشد صيانة منه لنفسه ولعلمه، وكان جهازه كله إلى قبره.

(عقود الجمان ص ٢٣٩).

وقال سهل بن مزاحم: كنا ندخل على أبي حنيفة فلا نرى في بيته شيئاً إلا البواري.

(عقود الجمان ص ٣٤١).

خلاله وخصاله:

قال مجاهد: كنت عند الرشيد إذ دخل عليه أبو يوسف، فقال له هارون (الرشيد): صف لي أخلاق أبي حنيفة رحمه الله، قال: كان والله شديد الذبّ عن حرام الله، مجانباً لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً، إن سئل عن مسألة كان عنده منها علم أجاب فيها، وما علم يا أمير المؤمنين إلا صائناً لنفسه ودينه مشتغلاً بنفسه عن الناس، لا يذكر أحداً إلا بخير، فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين.

(مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للحافظ الذهبي ص ٩).

وقال الفضيل بن عياض: كان أبو حنيفة رجلاً فقيهاً، معروفاً

بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع المال، معروفاً بالإفضال على كل من يطيف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار، حسن الليل، كثير الصمت، قليل الكلام حتى ترد مسألة في حلال أو حرام فكان يحسن أن يدل على الحق، هارباً من مال السلطان.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٠).

وقال شريك القاضي: كان أبو حنيفة طويل الصمت، كثير التفكر، دقيق النظر في الفقه، لطيف الاستخراج في العلم والعمل والبحث، وكان يصبر على من يعلمه، وإن كان الطالب فقيراً أغناه وأجرى عليه وعلى عياله حتى يتعلم، فإذا تعلم قال له: قد وصلت إلى الغني الأكبر بمعرفة الحلال والحرام، وكان كثير العقل، قليل المجادلة للناس، قليل المحادثة.

(عقود الجمان ص ٢٠٦).

ليله ونهاره:

قال الإمام زفر ـ رحمه الله ـ: جالست أبا حنيفة أكثر من عشرين سنة فلم أر أحداً أنصح للناس منه ولا أشفق عليهم منه، كان بذل نفسه لله تعالى، أما عامة النهار فهو مشتغل في العلم وفي المسائل وتعليمها وفيما يسأل من النوازل وجواباتها، وإذا قام من المجلس عاد مريضاً أو شيع جنازة أو واسى فقيراً أو وصل أخاً أو سعى في حاجة، فإذا كان الليل خلى للعبادة والصلاة وقراءة القرآن، فكان هذا سبيله حتى توفي رضي الله تعالى عنه.

(عقود الجمان ص ٢٠٨).

إمامته وجلالته:

قال الإمام أبو داود السجستاني (صاحب السنن): رحم الله مالكاً كان إماماً: رحم الله الشافعي كان إماماً، رحم الله أبا حنيفة كان إماماً.

(الانتقاء لابن عبد البر ص ٣٢).

وذكر الذهبي قول أبي داود هذا في تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٩) واكتفى على ذكر الإمام أبي حنيفة.

وقال عبد الله بن المبارك: ليس أحد أحق أن يقتدي به من أبي حنيفة لأنه كان إماماً تقياً ورعاً عالماً فقيهاً، كشف العلم كشفاً لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى.

(مناقب أبي حنيفة للكردري ص ٤٦).

وقال مسعر بن كدام: من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله تعالى رجوت أن لا يخاف ولا يكون فرط في الاحتياط لنفسه.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٩).

وقال يحيى بن معين: سمعت يحيى بن سعيد بن القطان يقول: لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، ولقد أخذنا بأكثر أقواله.

(تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٥).

وقال يحيى بن معين أيضاً: كان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوى إلى قول الكوفيين، ويختار قوله من أقواله، ويتبع رأيه من بين أصحابه.

(تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٦).

وقال يحيى بن معين أيضاً: ما رأيت أفضل من وكيع، كان يستقبل القبلة ويحفظ حديثه، ويقوم الليل ويسر الصوم، ويفتي بقول أبي حنيفة، وكان قد سمع منه شيئاً كثيراً، وكان يحيى بن سعيد القطان يفتي بقوله أيضاً.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٤٧٠).

وقال يحيى بن معين أيضاً: القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة، على هذا أدركت الناس.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤١).

بذله وسخائه وإنفاقه على المحدثين وطلبة العلم:

وكان قيس بن الربيع يحدث عن أبي حنيفة أنه كان يبعث بالبضائع إلى بغداد فيشتري بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم فيقول: أنفقوا في حوائجكم، ولا تحمدوا إلا الله، فإني ما أعطيتكم من مالي شيئاً ولكن من فضل الله عليَّ فيكم، وهذه أرباح بضائعكم فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدي.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٠).

وقال حفص بن حمزة القرشي: كان أبو حنيفة ربما يمر به الرجل فيجلس إليه بغير قصد ولا مجالسة، فإذا قام سأل عنه، فإن كانت به فاقة وصله، وإن مرض عاده حتى يجره إلى مواصلته.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٠).

وقال قيس بن الربيع: كان أبو حنيفة رجلاً ورعاً فقيهاً محموداً، وكان كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه، كثير الإفضال على إخوانه.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٠).

وفاته وارتحاله رحمه الله تعالى:

روى الخطيب وأبو محمد الحارثي أن أبا جعفر المنصور طلب أبا حنيفة من الكوفة إلى بغداد وطلب منه أن يلي القضاء وتكون قضاة بلد الإسلام من تحت يده، فاعتلّ بعلل ولم يقبل، فحبسه وأمر أن يخرج كل يوم فيضرب عشرة أسواط وينادي عليه في الأسواق، فأخرج وضرب ضرباً موجعاً يؤثر في بشرته أثراً ظاهراً، ونودي عليه في الأسواق والدم يسيل على عقبه، وأعيد إلى الحبس وضيق عليه تضييقاً شديداً في الطعام والشراب في الحبس، وفعل به جميع ذلك في عشرة أيام كل يوم عشرة أسواط، فلما تتابع عليه الضرب بكى وأكثر الدعاء فمكث بعد ذلك خمسة أيام وتوفي رحمه الله عليه ورضي الله عنه.

وروى أبو محمد الحارثي عن نعيم بن يحيى قال مات الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى غريباً مسموماً.

وعن أبي حسان الزيادي قال لما أحسّ الإمام أبو حنيفة بالموت سجد فخرجت نفسه وهو ساجد.

واتفقوا على أنه رضي الله عنه مات سنة مائة وخمسين.

(كله من عقود الجمان ص ٣٥٧ إلى ص ٣٥٩).

قال الخطيب: الصحيح أنه توفي وهو في السجن.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٨).

وقال إسماعيل بن سالم البغدادي: ضرب أبو حنيفة على الدخول في القضاء فلم يقبل القضاء، قال: وكان أحمد بن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة، وذلك بعد أن ضرب أحمد.

(تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٧).

رحم الله تعالى هذا الإمام الجليل الفقيه المتعبد الناسك المنيب إلى الله السخي الكريم الورع النقي الزاهد رحمة واسعة.

الإمام أبو يوسف الأنصاري

رحمه الله تعالى

المولود سنة ١١٣ هـ ـ المتوفى ١٨٢ هـ

هو القاضي أبو يوسف الإمام العلامة فقيه العراقيين يعقوب ابن إبراهيم الأنصاري الكوفي صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما، سمع هشام بن عروة وأبا إسحاق الشيباني وعطاء بن السائب وطبقتهم، وعنه محمد بن الحسن الفقيه وأحمد بن حنبل وبشر بن الوليد ويحيى بن معين وعلي بن الجعد وعلي بن مسلم الطوسي وعمرو بن أبي عمرو وخلق سواهم.

نشأ في طلب العلم وكان أبوه فقيراً فكان أبو حنيفة يتعاهد يعقوب بمائة بعد مائة.

وروى عباس عن ابن معين قال: أبو يوسف صاحب حديث وصاحب سنة.

(تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ص ١/ ٢٩٢).

وكان فقيهاً عالماً حافظاً كان يُعرف بحفظ الحديث، وإنه كان يحضر المحدث فيحفظ خمسين وستين حديثاً ثم يقوم فيمليها على الناس، وكان كثير الحديث.

(الانتقاء لابن عبد البر ص ١٧٢).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: أول ما طلبت الحديث ذهبت إلى أبي يوسف القاضي ثم طلبنا[1] بعده فكتبنا عن الناس.

(تاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٥).

---

(١) كتب أحمد بن حنبل عن أبي يوسف ثلاثة قماطر من العلم (حسن التقاضي ص ٢٠) والقمطر ما يحفظ فيه الكتب كما في القاموس.

وقال داود بن رُشيد: لو لم يكن لأبي حنيفة تلميذ إلا أبو يوسف لكان له فخراً على جميع الناس.

(حسن التقاضي ص ١٥).

ولازم أبو يوسف الإمام أبا حنيفة سبع عشرة سنة لم يفارقه في فطر ولا أضحى ولا من مرض، حتى إنه مات له ابن فلم يحضر جهازه ولا دفنه وتركه على جيرانه وأقربائه مخافة أن يفوت من أبي حنيفة شيء فلا تذهب حسرته.

(حسن التقاضي ص ٩ و ١٧).

وقال هلال بن يحيى: كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب وكان أقل علومه الفقه.

(تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٦).

وقال يحيى بن خالد: قدم علينا أبو يوسف وأقل ما فيه الفقه وقد ملأ بفقهه ما بين الخافقين[1].

(حسن التقاضي ص ١٥).

وسأل رجل المزني (تلميذ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى) فقال: ما تقول في أبي حنيفة؟ فقال سيِّدهم! قال فأبو يوسف؟ قال: أتبعهم للحديث. قال: فمحمد بن الحسين؟ قال: أكثرهم تفريعاً! قال فزفر؟ قال أحدُهم قياساً.

(تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٦).

وقال طلحة بن محمد: أبو يوسف مشهور الأمر، ظاهر الفضل، وهو صاحب أبي حنيفة وأفقه أهل عصره، ولم يتقدمه أحد في زمانه، وكان النهاية في العلم والحكم والرئاسة والقدر، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة وأملى المسائل ونشرها، وبثّ علم أبي حنيفة في أقطار الأرض.

(تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٥).

وقال محمد بن سماعة: كان أبو يوسف يصلي بعد ما وليَ القضاء في كل يوم مائتي ركعة.

(تاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٥).

---

(١) إذا كان أقل علومه الفقه ـ وقد ملأ فقهه الخافقين ـ فما ظنك به في التفسير والحديث والمغازي.

وقال محمد بن الصباح: كان أبو يوسف رجلاً صالحاً وكان يسرد الصوم.

(كتاب الثقات لابن حبان ٧/٦٤٦).

وأبو يوسف أول من دُعي بقاضي القضاة في الإسلام.

(تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢).

الإمام محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني

رحمه الله تعالى

المولود سنة ١٣٢ هـ ـ المتوفى سنة ١٨٩ هـ

ولد بواسط ونشأ بالكوفة وسمع العلم بها من أبي حنيفة ومسعر بن كدام وسفيان الثوري وكتب أيضاً من مالك بن أنس (صاحب الموطأ وهو من رواته) وأبي عمرو الأوزاعي وأبي يوسف القاضي، وطلب الحديث وسمع سماعاً كثيراً، قدم بغداد فنزلها واختلف إليه الناس وسمعوا منه الحديث والرأي، وروى عنه محمد بن إدريس الشافعي وأبو سليمان الجوزجاني وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهم.

(تاريخ بغداد ٢/ ١٧٢).

قال محمد بن الحسن: ترك أبي ثلاثين ألف درهم، فأنفقت خمسة عشر ألفاً على النحو والشعر، وخمسة عشر ألفاً في الحديث والفقه.

(تاريخ بغداد ٢/ ١٧٣).

وكتب يحيى بن معين عنه الجامع الصغير.

(تاريخ بغداد ٢/ ١٧٦).

انتهت إليه رياسة الفقه بالعراق بعد أبي يوسف، وتفقه به أئمة وصنف التصانيف، وكان من أذكياء العالم.

(مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للحافظ الذهبي ص ٥٠).

وقال محمد: أقمت على باب مالك ثلاث سنين وكسراً، وكان يقول سمعت منه لفظاً أكثر من سبعة مائة حديث.

(تاريخ بغداد ٢/ ١٧٣).

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن، لو أشاء أن أقول أن القرآن نزل بلغة محمد بن الحسن لقُلته

لفصاحته، وفي رواية عن الشافعي قال: ما رأيت أعقل من محمد بن الحسن.

(تاريخ بغداد ٢/ ١٧٥).

وقال الشافعي أيضاً: حملت عن محمد بن الحسن وقر بختي (أي جمل) كُتباً، وقال أيضاً: أمَنُّ النَّاس عليّ في الفقه محمد بن الحسن.

(تاريخ بغداد ٢/ ١٧٦).

وذكر البويطي عن الشافعي أنه قال: أعانني الله تعالى في العلم برجلين، في الحديث بابن عيينة، وفي الفقه بمحمد بن الحسن رضي الله عنهما.

(ذيل الجواهر المضية ص ٥٢٧).

وروى الديلمي أن الشافعي قال: جالسته عشر سنين وحملت من كلامه حملي جملٍ، لو كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا كلامه، ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا.

(ذيل الجواهر المضية ص ٥٢٨).

وقال الشافعي أيضاً: ما ناظرت أحداً إلا تمعرّ وجهه ما خلا محمد بن الحسن.

(تاريخ بغداد ٢/ ١٧٧).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: إذا كان في المسألة قول ثلاثة لم يسع مخالفتهم، قيل من هم؟ قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن، فأبو حنيفة أبصر الناس بالقياس، وأبو يوسف أبصر الناس بالآثار، ومحمد بن الحسن أبصر الناس بالعربية.

(الأنساب للسمعاني ٨/ ٢٠٤).

وقال إبراهيم الحربي: سألت أحمد بن حنبل هذه المسائل الدقائق من أينَ لك؟ قال من كتب محمد بن الحسن.

(تاريخ بغداد ٢/ ١٧٧).

وذكر بعض أصحاب محمد بن الحسن أنه كان حزبه في كل يوم وليلة ثلث القرآن، ويحكى عنه ذكاء مفرط وعقل تام وسؤدد وكثرة تلاوة.

(مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للحافظ الذهبي ص ٥٩).

وخرج الكسائي ومحمد بن الحسن مع هارون الرشيد إلى الريّ فماتا بها في يوم واحد، فقال الرشيد: دفنت اليوم اللغة والفقه.

(تاريخ بغداد ٢/ ١٨١ و ١٨٢).

الإمام زفر بن الهذيل

رحمه الله تعالى

المولود سنة ١١٠ هـ ـ المتوفى سنة ١٥٨ هـ

هو زفر بن الهذيل بن قيس البصري، كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يجُله ويعظمه يقول: هو أقيس أصحابي.

(الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٧٥).

وقال ابن معين وأبو نعيم: كان ثقة مأموناً، وقال أبو عمر: كان زفر ذا عقل ودين وفهم وورع وكان ثقة في الحديث.

(الجواهر المضية ١/ ٢٤٣/ ٢٤٤).

وقال إبراهيم بن سليمان: كان إذا جالسناه لم نقدر أن نذكر الدنيا بين يديه فإذا ذكرها واحد منا قام عن مجلسه وتركه في موضعه.

وقال ابن المبارك: سمعت زفر يقول: لا نأخذ بالرأي ما دام أثر، وإذا جاء الأثر تركنا الرأي.

وقال وكيع ما نفعني مجالسة أحد مثل ما نفعني مجالسة زفر.

وقال فضل بن دكين: لما مات الإمام (أبو حنيفة) لزمته (يعني زفر)، لأنه كان أفقه أصحابه وأورعهم فأخذت الحظ الأوفر منه.

وقال الحسن بن زياد: كان زفر وداود الطائي متواخيين فترك داود الفقه وأقبل على العبادة، وأمّا زفر فجمع بينهما.

وقال محمد بن وهب: إنه كان من أصحاب الحديث وكان أحد العشرة الذين دوّنوا الكتب.

(هذا كله من ذيل الجواهر ٥٣٤ ـ ٥٣٦).

ولقد تمت هذه الرسالة بيد العبد الفقير إلى رحمة مولاه الغني

محمد عاشق إلهي البرني

عفا الله عنه وعافاه

١

فهرس الآيات القرآنية

على وفق ورودها في الكتاب

٢

فهرس الأحاديث والآثار

٣

فهرس الأشعار

٤

الكتب ومؤلفوها

٥

المصادر والمراجع

حرف الألف

إحياء علوم الدين، للغزالي.
أخبار أبي حنيفة وأصحابه، للصيمري.
أسد الغابة: لابن الأثير.
إعلام الموقعين، ابن القيم.
الإرشاد في النحو، للتفتازاني.
الأشباه والنظائر، للحموي.
الإصابة، لابن حجر العسقلاني.
الاقتراح في بيان الاصطلاح: ابن دقيق العيد.
الألقاب، للشيرازي.
الانتصار والترجيح، ابن علي الحداد.
الانساب، للسمعاني.
الانتصار، سبط ابن الجوزي.
الانتقاء، ابن عبد البر.
الأوسط، الطبراني.

حرف الباء

البحر الرائق، ابن نجيم.
البداية والنهاية، ابن كثير.
بيان مشكل الآثار، الطحاوي.

حرف التاء

تأنيب الخطيب، الكوثري.
تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.
التاريخ الكبير، للعيني.

تبييض الصحيفة، للسيوطي.
تخريج أحاديث الاختيار، ابن قطلوبغا.
تدريب الراوي، السيوطي.
ترتيب المدارك، للقاضي عياض.
تذكرة الحفاظ، للذهبي.
الترغيب والترهيب، للمنذري.
التقريب، للنووي.
تهذيب التهذيب، ابن حجر.
تهذيب الكمال، للمزي.
التلويح على التوضيح، التفتازاني.

حرف الثاء

الثقات، ابن حبان.

حرف الجيم

جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر.
جامع المسانيد، الخوارزمي.
الجواهر المضية، القرشي.
الجوهر النقي، للبيهقي.

حرف الحاء

حاشية الكشاف، التفتازاني.
الحاوي في سيرة الإمام الطحاوي، الكوثري
حجة الله البالغة، الكاندهلوي.
حسن التقاضي، الكوثري.

حرف الخاء

خلاصة الأثر، للمحبي.

حرف الدال

الدر المختار، ابن عابدين.

حرف الراء

رجال شرح معاني الآثار، ابن قطلوبغا.

حرف السين

سنن أبي داود، أبو داود السجستاني.
السهم المصيب في كبد الخطيب، الملك المعظم.

حرف الشين

شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي.
شرح تلخيص المفتاح، التفتازاني.
شرح درر البحار، ابن قطلوبغا.
شرح الشمسية، التفتازاني.
شرح منظومة ابن الجزري، ابن قطلوبغا.
شرح النخبة، ابن حجر.
شرح النسفية، التفتازاني.

حرف الصاد

صحيح البخاري.
صفة الصفوة، ابن الجوزي.

حرف الطاء

طبقات الحفاظ، السيوطي.
طبقات الشافعية الكبرى، السبكي.

حرف العين

عقود الجمان، الصالحي.
عقود الجواهر المنيفة، الزبيدي.
العلل، الترمذي.
عين الإصابة، شمس الدين الشامي.

حرف الفاء

فتح الباري، ابن حجر.
فضائل أبي حنيفة وصاحبيه: ابن أبي العوام.
الفوائد البهية، اللكنوي.
الفوائد المجموعة، الشامي.

حرف القاف

القاموس المحيط، الفيروز آبادي.

حرف الكاف

الكفاية، الخطيب البغدادي.
كشف الظنون، حاجي خليفة.

حراف اللام

لامع الدراري.
لذة العيش في طرق حديث: «الأئمة من قريش»، ابن حجر.
لسان الميزان، ابن حجر.

حرف الميم

ما رواه الأكابر عن مالك، ابن مخلد العطار.
مجمع الزوائد، الهيثمي.
مختصر الروضة.
المدخل، البيهقي.
المستدرك للحاكم النيسابوري.
المسند، الإمام أحمد بن حنبل.
معالم السنن، الخطابي.
معجم البلدان، لياقوت.
المغني، لابن قدامة.
المقاصد الحسنة، السخاوي.
مقدمة ابن خلدون.
مناقب أبي حنيفة وصاحبيه، الذهبي.
مناقب أبي حنيفة، للموفق المكي.
المنقذ من الضلال، الغزالي: ١٤.
٨٤ ـ الموضوعات الكبرى، ابن الجوزي.
ميزان الاعتدال، الذهبي.

حرف النون

النشر، ابن الجزري.
النكت الطريفة، الكوثري.

فهرس المحتويات